

المصحبي

في فقه اللغة العربية ومسائلها
وسنن العرب في كلامها

للعامة الإمام
أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي

حَقَّقَهُ وَصَبَّطَ نَصْرُوحَهُ وَقَدَّمَ لَهُ
الدكتور عمر فاروق الطيب
دكتوراه دوكته في الآداب
مدير المركز اللبناني للفهرسة العلمية

مكتبة المحاريف
بيروت

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤١٤هـ ~ ١٩٩٣م

بيروت - لبنان

المصطفى

مكتبة
المعارف
مؤسسة خيرية للعلم والثقافة
الاستيراد والتصدير

رُطِبَ مِنْ مَكْتَبَةِ الْعَارِفِ - حَرَبْ : ١٧٦١ - ١١ - بَيْرُوتِ - لِبْنَانِ



مقدمة المعقّق

بقلم الدكتور عمر فاروق الطّباع

التعريف

بأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا
الرازي اللغوي مصنف كتاب
«الصّاحبيّ»

● موطنه الأول:

هو أحمد بن فارس، بن زكريا بن محمد، بن حبيب الرازي اللغوي^(١) ويكنّى بأبي الحسين، ويقال له أيضاً القزويني^(٢) الزهراوي الأشتاجردي، كما ذكر أبو الحسن الباخريزي نقلاً عن تصانيف بعض المتأخرين^(٣).

-
- (١) ابن خلكان: وفيات الأعيان (الجزء الأول ص ٣٥).
(٢) هذا ما أورده ياقوت في معجم الأدباء (٤/٨٢) نقلاً عمّا ذكره الحافظ السلفي في شرح مقدّمة معالم السنن للخطّابي.
(٣) معجم الأدباء: هامش ٤/٨٠.

غير أن المصدر الذي أخذ عنه البخارزي نفى صحة انتسابه إلى قزوين، واعتبر أن هذه النسبة قد لحقته، لأنه «كان يتكلم بكلام القزاونة» لا لأنه من أهل هذه البلدة. ونفهم من ذلك أن ابن فارس اختلف في تحديد موطنه الأول، لكن موطنه لا يبقى مجهولاً حين تسمع ما حدث به مجمع بن محمد عن أبيه بقوله: «وجدت على نسخة قديمة بكتاب المجل، من تصنيف ابن فارس ما صورته: تأليف الشيخ أبي الحسين، أحمد بن فارس، بن زكريا الزهراوي، الأستاذ خرزي واختلفوا في وطنه فقيل: كان من رستاق الزهراء من القرية المعروفة بكُرْسُفَة وجيانا باذ، وقد حضرت القريتين مراراً، ولا خلاف أنه قروي»^(١). ويردف مجمع قائلاً:

«حدثني والدي.. وكان من جملة حاضري مجالسه^(٢)، قال: أتاه آت فسأله عن وطنه فقال: كُرْسُف، قال فتمثل الشيخ (بهذا البيت):

بلادُ بها شُدَّتْ عليَّ تمائمي^(٣) وأوَّل أرضٍ مسَّ جلدي ترابُها
لكنَّ ما نقله أبو الحسن البخارزي عن أبي القاسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني يجعل موطنه الأول (همذان) وهو ما سنعود إليه في الكلام على أخباره وجوانب من سيرته.

● مولده:

ليس في المراجع التي بأيدينا أية دلالة على مولد ابن فارس.

(١) معجم الأدباء: ٩٢/٤.

(٢) أي مجالس ابن فارس.

(٣) التمام: جمع تميمة، وهي خرزة أو نحوها كان الأعراب يضعونها على أولادهم للوقاية من العين ودفع الأرواح الشريرة.

فلا ياقوت ولا ابن خلكان ولا السيوطي أشاروا إلى ذلك. ومع هذا فنحن لا نعدم الوسيلة إلى تعيين زمن قريب من تاريخ ولادته ونشأته بدليل أن بديع الزمان الهمداني و«الصاحب بن عباد» كانا من تلامذته فضلاً عن أنه كان يعتدّ بشيوخه الذين أخذ العلم عنهم وفيهم أبو الحسن علي بن إبراهيم القظان، وأبو بكر أحمد بن الحسين الخطيب وأبو عبدالله أحمد بن طاهر المنجم. فاستناداً إلى هذه الوقائع ومنها أن ولادة الهمداني كانت سنة (٣٥٨ هـ) وولادة الصاحب سنة (٣٢٧ هـ). ليس مستبعداً أن يكون ابن فارس من مواليد العقد الثاني أو الثالث من القرن الرابع للهجرة. وهذا الإستنتاج يتلاءم مع ما أثبتته الزركلي في «الأعلام» حين جعل ولادة ابن فارس سنة (٣٢٩ هـ). ولئن كان مثل هذا التاريخ ليس مستغرباً إلا أننا نتساءل كيف تمّ لصاحب الأعلام أن يطرح هذا التاريخ بمثل هذا التحديد الجازم؟ وإذا كان استند إلى مصدر في هذا فلماذا لم يذكره لا سيّما أن كبار مصنفي كتب التراجم - كياقوت وابن خلكان - قد أغفلوا سنة مولد ابن فارس لعدم توفر أسباب ذلك.

فإذا تجاوزنا هذه المسألة حول تاريخ مولد ابن فارس، للعناية بتحديد سنة وفاته وجدنا في «معجم الأدباء» تاريخين متباعدين أوردهما ياقوت. لا شك أن أحدهما مغلوط ومستبعد. ففي مستهل ترجمته لابن فارس يذكر أنه «مات سنة تسع وستين وثلاثمائة»، وفي سياق هذه الترجمة يثبت ما قاله مجّمع بن محمد من أن وفاته كانت «بالريّ سنة خمس وتسعين وثلاثمائة»، وأنه - دفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة، أبي الحسن علي بن عبدالعزيز. الجرجاني». وممّا لا ريب فيه أن ما عيّنه مجّمع هو التاريخ الصواب، لإجماع المؤرخين عليه أمثال الزنجاني والباخري قديماً والزركلي من المحدثين. لكنّ ابن خلكان

أورد خلاف ذلك فقال في موضع: إنه مات سنة «تسعين وثلاثماية» ثم أورد عبارته: «وقيل إنه توفي في صفر سنة خمس وسبعين وثلاثمئة بالمحمدية^(١)، والأول أشهر^(٢)».

● عهد الطلب: شيوخه:

نشأ ابن فارس محباً للعلم راغباً في التحصيل تواقاً إلى مناهل المعرفة وموارد الفكر في عصره. وإذا صحَّ أنه قروي من «كرسف جيانا باذ» أو أنه من همذان، وعلمنا أنه رحل في عهد الطلب إلى قزوين، وزنجان، وميانج، ساعياً إلى الأخذ عن شيوخ زمانه. . لمسنا مقدار ما كان يجيش في نفسه من شغف بزاد العقل ومؤنته من الأصول والفروع في المسائل الدينية واللسانية وأهم معطيات العلوم العقلية.

ونحن واجدون في «معجم الأدباء» - ممَّا نقله ياقوت عن الحافظ السلفي - أسماء عدد من شيوخه الذين كان لهم شأن في تكوين شخصيته العلمية، دون أن يفوتنا أن أعظم أساتذته وأولهم في بداية نشأته إنما هو والده الذي حدّث ابن فارس عنه فقال: «سمعت أبي يقول: حججت فلقيت ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم، فما عرفوا أحداً منهم، ولكني رأيت أمثلاً^(٣) الجماعة رجلاً فصيحاً، وأنشدني:

إِذَا لَمْ تَحْظْ فِي أَرْضٍ فَدَعَّهَا وَحُثَّ الِيعْمَلَاتِ عَلَى وَجَاهَا^(٤)

(١) يقصد مدينة المحمدية.

(٢) انظر هامش معجم البلدان (٨٢/٤).

(٣) أمثلاً: أفضل وأحسن.

(٤) اليعملات: جمع يعملة وهي الناقة الناشطة في العمل.

ولا يغررُكَ حَظُّ أخيك فيها إذا صَفِرَتْ يمينُك من جَداها (١)
ونفسُك فزبها إن خِفْتَ ضيماً وخلَّ الدَّارَ تنعى من بكأها
فإنَّك واجد أرضاً بأرض ولستَ بواجدٍ نفساً سواها

فوالده إذاً كان في طليعة مؤدِّبيه ولذا قال السيوطي في «طبقات اللغويين والنحاة» إنه: «قد تعلم العلم عن أبيه».

أما أساتذته بعد أبيه على نحو ما رواه السلفي الأنف الذكر، فمنهم:

— أبو بكر، أحمد بن الحسين الخطيب وكان راوية ثعلب، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القَطَّان، وأبو عبدالله أحمد بن طاهر المنجم وعلي بن عبدالعزيز المكي، وأبو عبيد، وأبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني.

ولعلَّ ابن فارس قد خصَّ أحد شيوخه بالمزيد من الثناء والتقدير، وفاءً واعترافاً بالفضل حين قال «ما رأيت مثل أبي عبدالله بن طاهر - المنجم - ولا رأى هو مثل نفسه» (٢). وممَّا يحملنا على هذا الرأي أنه - كما روى يحيى بن مُنذَةَ الأصبهاني - جاء بغداد طالباً للحديث وأنه حضر مجلس بعض أصحاب الحديث. . دون أن يسمي أحداً ممن سمعهم أو جلس في حلقته، وكان حريّاً أن لا يغفل هذا لو أنه شغف ببعض هؤلاء على نحو ما أعجب بابن طاهر المنجم. وأياً كان مصداق هذا التصوّر فالذي يهتَمنا في هذا السياق، عناية ابن فارس بتثقيف عقله وركوبه الصعب سعيّاً وراء موارد العرفان الثرة

(١) الجدي: العطاء.

(٢) انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (ج ٣ ص ٣٦).

يشهد على ذلك هذان البيتان اللذان نقلهما عن لسانه أبو الفتح،
سليم بن أيوب الفقيه الرّازي، وهما:

إذا كنتَ تأذى بحرّ المصيفِ وكرب الخريف وبردِ الشّتَا
ويُلهيك حسنُ زمانِ الرّبيعِ فأخذك للعلمِ قلّ لي متى؟^(١)

فهذا البيان عن الهمة القعساء واللامبالاة بوطأة الفصول والأيام
في سبيل أخذ العلم مثال صادق للفضول العلمي الذي يسّر لابن
فارس طول الباع في العديد من المسائل العلمية على اختلاف ألوانها
وهو ما يكشف عنه عهد الأستاذية في سيرته.

● أستاذه ونبوغه:

تواترت الروايات التي تصف ابن فارس بصفات النابهين والنوابغ
الذين مارسوا دور الأستاذية ببراعة. والذين تألّق من تلامذتهم العديد
من المشاهير والأعلام. فقد اعتبره الزنجاني «من أئمة أهل اللغة في
وقته» وقال: «كان أبو الحسين، أحمد بن فارس.. محتجاً به في
جميع الجهات، غير منازع، منجياً في التعليم، ومن تلاميذه بديع
الزمان الهمداني، وغيره»^(٢).

وحدّث البخارزي فقال: «أبو الحسن بن فارس، إذا ذكرت اللغة
فهو صاحب مجملها»^(٣)، وعندي أن تصنيفه ذلك من أحسن ما صنّف
في معناها، وأن مصنّفها إلى أقصى غايات الإحسان تناهى»^(٤).

(١) انظر معجم الأدباء: حاشية ص ٨١ (الجزء الرابع).

(٢) م. ن.

(٣) المجمل: من كتب ابن فارس في اللغة.

(٤) معجم الأدباء: هامش صفحة ٨٠ (الجزء الرابع).

وإلى مثل هذه المعاني أشار ابن خلكان بقوله: «كان إماماً في علوم شتى، خصوصاً اللغة، فإنه أتقنها وألف كتابه المجمل.. وهو على اختصاره جمع شيئاً كثيراً، وله كتاب حلية الفقهاء وله رسائل أنيقة ومسائل في اللغة.. منه اقتبس الحريري صاحب القامات.. ذلك الأسلوب.. وعليه اشتغل بديع الزمان الهمداني صاحب المقامات.. وله أشعار جيدة ذكرها ياقوت»^(١).

وقد أفرد الثعالبي في يتيمة الدهر حيزاً مرموقاً ترجم فيه لابن فارس نقتطع منه ما يلي:

«كان - أي ابن فارس - بهمدان من أعيان العلم وأفراد الدهر، يجمع إتقان العلماء، وظرف الكتاب والشعراء. وهو بالجبل كابن لنكك^(٢) بالعراق، وابن خالويه^(٣) بالشام، وابن العلاف^(٤) بفارس،

(١) ابن خلكان: وفيات الأعيان (١/٣٥ - ٣٦).

(٢) ابن لنكك: هو محمد بن محمد بن جعفر البصري المتوفى سنة ٣٦٠ هـ = ٩٧٠ م) من الشعراء المجيدين اعتبره الثعالبي صدر أدباء البصرة وقال: أكثر شعره ملح وطرف، جلّها في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره وهو القائل:

نعيب زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذا هجانا
(٣) ابن خالويه: من علماء اللغة في عصره (توفي سنة ٣٧٠ هـ = ٩٨٠ م)، أخذ العلوم اللسانية عن أئمة عصره أمثال ابن دريد وابن الأنباري والسيرافي. وكان في مسائل اللغة والنحو ذا مذهب معتدل بين الكوفيين والبصريين.

(٤) ابن العلاف: هو الحسن بن علي بن أحمد النهرواني، المكنى بأبي بكر (٢١٨ - ٣١٨ هـ = ٨٣٣ - ٩٣٠ م)، عاش في بغداد وكان شاعراً يحسن منادمة الخلفاء. له قصيدة في رثاء الهرّ، رمز بها إلى عبدالله بن المعتز لأنه خشي أن يرثيه خوفاً من نعمة الخليفة المقتدر. ومن القصيدة قوله: «يا هرّ فارقتنا ولم تعد».

وأبي بكر الخوارزمي^(١) بخراسان وله كتب بديعة، ورسائل مفيدة، وأشعار مليحة، وتلامذة كثيرة منهم بديع الزمان، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحظة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر يتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم^(٢).

ولم تقتصر أستاذية ابن فارس على ما أشار إليه الثعالبي وقراءة بديع الزمان الهمداني عليه فقد أجمعت المصادر على أن صاحب بن عبّاد «كان.. يكرمه، ويتلمذ له ويقول: شيخنا أبو الحسين، ممن رزق حسن التصنيف، وأمن فيه من التصحيف»^(٣).

ومن الأخبار القمينة بتأكيد جليل مكانته وعظيم منزلته في عصره، وسعي أركان السلطان إليه آنذاك، للإفادة من سعة اطلاعه وعميق إلمامه بلغة العرب وآدابهم، أنه استوطن بالحرّة «وكان سبب ذلك أنه رحل إليها من همدان، ليقراً عليه مجد الدولة، أبو طالب فخر الدولة فسكنها واكتسب مالاً وبلغ ذلك بتعليمه في النجّابة مبلغاً مشهوراً»^(٤).

ووجود ابن فارس في السريّ هو الذي جمع بينه وبين صاحب بن عبّاد وكان وقتذاك وزير فخرالدولة بن بويه، فتعارفا وقويت بينهما أواصر الصداقة وبات ابن فارس موضع حفاوة صاحب

(١) أبو بكر الخوارزمي: من الكتاب والشعراء المرموقين في القرن الرابع الهجري (٣٢٤ - ٣٨٣ هـ = ٩٣٥ - ٩٩٣ م)، عاش في الشام قرب حلب ومن آثاره رسائل مسجّعة في المدح والهجاء والثناء.

(٢) أوردنا هذه الرسالة بعد هذه الترجمة.

(٣) معجم الأدباء: ٨٣/٤.

(٤) م. ن: هامش ص ٨١، ومتن ص ٨٣.

وتكريمه، كما بات صاحب الوزير موطن إعجاب أبي الحسين الذين هزته مرودة صاحب وإيثاره إياه بالحفاوة وإشادته بفيض أدبه ومعرفته فألف كتابه «الصاحبي»^(١) رمزاً للمودة القائمة بينهما ووفاء للوزير الصديق، وهكذا أفادت اللغة وبالتالي المتأدبون وأرباب العلم من جنى هذا اللثام الذي انعقدت راياته في دولة الأدب بين الكتاب وأصحاب المقامات من الخلفاء والوزراء.

● باقة من أخباره:

نستهل هذه الباقة، بما يتناسب واطراد السياق الذي تقدّم ويكشف عن طبائع الزمن إذا تصرّم. فبعد أن كان صاحب وابن فارس حليفي رخاء وألوفي حبّ وصفاء، فرقت بينهما مفارقات السياسة وأهواء المناصب والسيادة فانحرف الوزير صاحب عن ابن فارس - كما أثبت ياقوت والثعالبي - لانتساب - العلامة أبي الحسين - إلى خدمة آل العميد وتعصّبه لهم». وعندما «أنفذ - ابن فارس - إلى صاحب - من همذان كتاب الحجر من تأليفه: قال صاحب ردّ الحجر من حيث جاءك. ثم لم تطبّ نفسه يتركه فنظر فيه، وأمر له بصلة»^(٢).

وواضح من كلام ياقوت أنّ صاحب هو الذي انحرف عن ابن فارس للأسباب التي ذكرناها، ولم يكن ابن فارس المبادئ بالجفاء بدليل كتاب الحجر الذي أنفذه إليه. هكذا تتجلى شيمة كريمة من شيم مصنف «الصّاحبي» ألا وهي الترفع عن العصية والإخلاص لعهد

(١) واضح أن اسم الكتاب إنما هو نسبة إلى «الصاحب» بن عبّاد.

(٢) معجم الأدباء: ٨٧/٤.

الأصحاب والخلآن. فقد كان معروفاً بكرم الأصالة وسمة النبالة. واشتهر عنه الإيثار لا الأثرة:

فقد «كان كريماً جواداً لا يبقي شيئاً وربما سئل فوهب ثياب جسمه وفرش بيته. واعترف له الصاحب بن عباد نفسه بهذا الفضل وقال: «دخلتني الحمية لهذا البلد - يريد الريّ - كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل؟ المقبول القول عن جميع الألسنة»^(١) وأيد الزنجاني هذه الصفات حين قال: «كان ابن فارس كريم النفس جواد اليد لا يكاد يردّ سائلاً».

أما شخصيته كأديب ناقد وعالم باحث فتميّز بإدراك أثر البيئة والعصر، والاعتقاد ببواعث التحول والتطور، فلم يكن تقليدياً متزمتاً، وإنما كان ذا وجدان يقظ، ذواقة للشعر. فاعترف للمتأخرين بالكثير من أسباب تألقهم على نحو ما نجد في رسالته التي كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب وهي الرسالة التي أثبتتها الثعالبي في يتيمة الدهر، والتي سنضمها إلى هذا «التصدير..» الذي يعرفه بابن فارس، ففي هذه الرسالة مثال للناقد المتبحر في اللغة والأدب الملم بأفانين الكلام والشعر غير المنحاز للقديم بوصفه قديماً ولا للحديث لمجرد كونه جديداً، فالذي يعلو عنده حسن الصياغة وجودة الأداء وطرافة المعنى ومذهبه في النقد والرأي إنما يركز على أن البراعة والإجادة ليستا وقفاً على زمن أو عصر وإنما هما في متناول الشعراء والأدباء على كَرِّ الدهور.

(١) انظر: أبناء الرواة (١/٨٦). أيضاً: معجم الأدباء (٤/٨١).

● ملامح من شاعريته :

لابن فارس شعر رقيق طالعتنا منه أبيات في مستهل هذا التقديم
تكشف عن نفس طموحة رضية ظلت محتفظة من أصالة الحياة القروية
بجمال الاعتزاز النفسي وإباء الضيم أو المهانة أليس هو القائل :

وَنَفْسِكَ فُزْبَهَا - إِنْ خِفْتَ ضَيْمًا وَخَلَّ الدَّارَ تَحْزَنُ مَنْ بَكَاهَا
فَإِنَّكَ وَاجِدٌ أَرْضًا بِأَرْضٍ وَلَسْتَ بِوَاجِدٍ نَفْسًا سِوَاهَا

وكان رضي النفس، غير ملحاح في شهوات الدنيا وملاذ الحياة،
يقنع بالعيش فيجد الهناءة في هذه القناعة وهكذا لا يتخلى عن الرجاء
والأمل واجداً المسرة بين دفاتره وفي ضوء سراجِه . إسمعه يقول :

وَقَالُوا: كَيْفَ أَنْتَ؟ فَقُلْتَ خَيْرٌ تُقَضِّي حَاجَةً وَيَفُوتُ حَاجُ
إِذَا ازْدَحَمْتُ هَمُومُ الْقَلْبِ قُلْنَا عَسَى يَوْمًا يَكُونُ لَهَا انْفِرَاجُ
نَدِيمِي هَرَّتِي وَسُرُورُ قَلْبِي دَفَاتِرُ لِي وَمَعْشُوقِي السَّرَاجُ

وكان ابن فارس سمحاً، جمع إلى سماحته رزانة وعقلاً وواقعية
بعيدة عن الافتئات والصلف. ألا ترى هذه المحامد في هذين البيتين :

عَتَبْتُ عَلَيْهِ حِينَ سَاءَ صَنِيعُهُ وَأَلَيْتُ لَا أَمْسَيْتُ طَوْعَ يَدَيْهِ
فَلَمَّا خَبَرْتُ النَّاسَ خَيْرَ مَجْرَبٍ وَلَمْ أَرْخِرًا مِنْهُ عَدْتُ إِلَيْهِ

ويدعو إلى الرضى بالقضاء فيقول :

تَلْبَسُ لِبَاسَ الرِّضَى بِالْقِضَا وَخَلَّ الْأُمُورَ لِمَنْ يَمْلِكُ
تَقَدَّرَ أَنْتَ وَجَارِي الْقِضَا ءَ مِمَّا تَقَدَّرَهُ يَضْحَكُ

وجاء في معجم الأدباء قول ياقوت الحموي : قرأت بخط الشيخ
أبي الحسن علي بن عبدالرحيم السلمي : وجدت بخط ابن فارس على

وجه (المجمل) والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه ابن زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:

يادارُ سَعْدِي، بذات الضَّالِّ مِنْ إِضْمٍ سَقَالِكِ صَوَّبَ حَيًّا مِنْ وَاكِفِ الْعَيْنِ^(١)
 إِنِّي لِأَذْكَرُ أَيَّاماً بِهَا، وَلَنَا فِي كُلِّ إِصْبَاحٍ يَوْمَ قَرَّةِ الْعَيْنِ^(٢)
 تَدْنِي مُشْعَشَعَةً مِّنَّا مَعْتَقَةً تَشْجَهَا عَذْبَةً مِنْ نَابِعِ الْعَيْنِ^(٣)
 إِذَا تَمَرَّزَهَا شَيْخٌ بِهِ طَرَقَ سَرَّتْ بِقَوَّتِهَا فِي السَّاقِ وَالْعَيْنِ^(٤)
 وَالزَّقْ مَلَّانَ مِنْ مَاءِ السَّرُورِ، فَلَا تَخْشَى تَوَلَّهَ مَا فِيهِ مِنَ الْعَيْنِ^(٥)
 وَغَابَ عَدْلَانَا عَنَّا، فَلَا كَدْرَ فِي عَيْشِنَا مِنْ رَقِيبِ السُّوءِ وَالْعَيْنِ^(٦)
 يُقَسِّمُ الْوَدَّ فِيمَا بَيْنَنَا قِسْمًا مِيزَانُ صَدُقِ، بَلَا بَخْسٍ وَلَا عَيْنِ^(٧)
 وَفَائِضُ الْمَاءِ يَغْنِينَا بِحَاضِرِهِ فَتَكْتَفِي مِنْ ثَقِيلِ الدِّينِ بِالْعَيْنِ^(٨)
 و «الْمُجْمَلُ»^(٩) الْمُجْتَبَى تُغْنِي فَوَائِدُهُ

حفاظه عن كتاب «الجيم»^(١٠) و «العين»^(٩)

وفي هذه الأبيات تظهر مقدرة ابن فارس في اللغة متمثلة

-
- (١) العين: السحاب.
 - (٢) المقصود عين الإنسان.
 - (٣) أي ما ينبع من الماء.
 - (٤) الطرق: ضعف في الركبتين - العين (هنا) عين الركبة.
 - (٥) توله (هنا): تسرب الماء - العين (هنا): الثقب في الزادة.
 - (٦) العين (هنا): الرقيب.
 - (٧) العين في الميزان.
 - (٨) العين: المال.
 - (٩) أي كتاب المجمل وهو لابن فارس.
 - (١٠) أي كتاب الجيم في اللغة لأبي عمرو إسحق الشيباني الكرماني (٢٠٦ هـ).
 - (١١) أي كتاب العين في اللغة للخليل بن أحمد (١٧٥ هـ).

بالجناسات العديدة المتأتية من استعمال «العين» بضروب من الدلالات.

وفي شعره ظرف ودعابة لا تخلو من التعريض الخفي بالدهر القاهر الذي لا مكانة فيه إلا للدرهم. ألا ترى ما عينا من خلال ما أورده البيروني له من أبيات في كتابه «الآثار الباقية»:

قَدْ قَالَ فِيمَا مَضَى حَكِيمٌ مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِأَصْغَرِيهِ
فَقُلْتُ قَوْلَ امْرِئٍ لَبِيبٍ مَا الْمَرْءُ إِلَّا بِدَرْهَمِيهِ
مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ دِرْهَمَاهُ لَمْ تَلْتَفِتْ عِرْسُهُ إِلَيْهِ (١)
وَكَانَ مِنْ ذَلِكَ حَقِيرًا تَبُولُ سِنُّورُهُ عَلَيْهِ

ومن مطولات ابن فارس قصيدته إلى القاسم بن حَسَوَلَةَ يذكر فيها كيف توقع أن يزوره ابن بابك عندما قدم هذا الأخير إلى الري في أيام الصحاب بن عبّاد لكي يقضي له حقّ علمه وفضله، وكيف أن ابن بابك كان يتوقع زيارة ابن فارس له ليقضي حقّ مقدمه، بينما «لم يفعل أحدهما ما ظنَّ صاحبه» (٢). ومن هذه القصيدة قوله:

تَعَلَّيْتُ فِي وَصْلِي فَعَدَّيْ عِتَابَكَ وَأُذْنِي بَدِيلاً مِنْ نَوَاكٍ إِيَابِكَ (٣)
تَيَقَّنْتُ أَنَّ لَمْ أَحْظُ وَالشَّمْلُ جَامِعٌ بِأَيْسَرِ مَطْلُوبٍ فَهَلَّا كِتَابَكَ
ذَهَبَتْ بَقْلِبٍ عَيْلٌ بَعْدَكَ صَبْرُهُ غَدَاةً أَرْتَنَا الْمَرْقَلَاتُ ذَهَابَكَ (٤)

وكان آخر منظوم ابن فارس من الشعر، هذان البيتان اللذان قالهما قبل وفاته بيومين كما ذكر ياقوت:

(١) العرس: زوجة الرجل.

(٢) انظر القصيدة وردّ ابن بابك في معجم الأدباء: (٤/٩٤ - ٩٨).

(٣) النوى: البعد - والإياب: العودة والرجوع.

(٤) المرقلات: جمع مرقلة: النوق السريعة.

يارب إن ذنوبي قد أحطت بها علما، وبإعلاني وأسراري
أنا الموحد، لكني المقرّبها فهب ذنوبي لتوجيهي وإقراري

● آثار ابن فارس:

لم يكن الشعر في أدب ابن فارس سوى ملمح من رواء أدبه فهو من المقلّين في هذا الباب الذي عبّر فيه عن بعض خواطره ومواقفه وشكواه الرقيقة من وطأة الدهر مع العسر والفقّر. لذلك لم تكن وقفتنا أما شاعريته إلا وقفة العجلان ما دام الذي يستأثر باهتمامنا الجانب الآخر من آثاره، وهو تصانيفه في اللغة بعامة ومنها كتاب «الصاحبي» بخاصة. لذ رأينا من المفيد أن نضع بين يدي القارئ العربي الغيور على تراث أمته واللصيق الصلة بهذا التراث والراغب في أن ينمي معرفته بخصائص العربية وآثارها ثبثاً من آثار أبي الحسين أحمد بن فارس، قبل أن نخوض في ثنايا فصول «الصاحبي» ومسائله. وأهم هذه التصانيف الآتية:

- كتابُ المُجْمَلِ.
- كتابُ متخَيَّرِ الألفاظِ.
- كِتَابُ فِقْهِ اللُّغَةِ.
- كِتَابُ تَفْسِيرِ أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ.
- كِتَابُ ذَخَائِرِ الكَلِمَاتِ.
- كِتَابُ الْحَجَرِ.
- كِتَابُ غَرِيبِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ.
- كِتَابُ الْعِرْقِ.
- كِتَابُ جَامِعِ التَّأْوِيلِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ.
- كِتَابُ مَقَائِسِ اللُّغَةِ.

- كِتَابُ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ .
- كِتَابُ مُقَدِّمَةِ الْفَرَائِضِ .
- كِتَابُ حَلِيَةِ الْفُقَهَاءِ .
- كِتَابُ مُقَدِّمَةِ كِتَابِ دَارِ الْعَرَبِ .
- كِتَابُ سِيرَةِ النَّبِيِّ ﷺ .
- كِتَابُ الْعَمِّ وَالْخَالِ .
- كِتَابُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .
- كِتَابُ أَصُولِ الْفِقْهِ .
- كِتَابُ شَرْحِ رِسَالَةِ الزُّهْرِيِّ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مِرْوَانَ .
- كِتَابُ الثِّيَابِ وَالْحُلِيِّ .
- كِتَابُ كِفَايَةِ الْمُتَعَلِّمِينَ فِي اخْتِلَافِ النَّحْوِيِّينَ .
- كِتَابُ «الصَّاحِبِيِّ» الَّذِي صَنَّفَهُ لِخَزَانَةِ الصَّاحِبِ وَهُوَ مَوْضُوعٌ هَذَا الْمُؤَلَّفِ .



تلك كانت أبرز الجوانب في حياة العلامة أحمد بن فارس وسيرته وأخباره وشخصيته وآثاره نسأل الله أن تكون وافية بحقه وأن يكون تقديم كتابه «الصاحبي» للمثقف العربي وأرباب العربية القيمين على تراثها وافية بحق الحفاظ على تراث العربية ونشر آثاره .

بيروت ٢ شعبان ١٤١٣

٢٥ كانون الثاني ١٩٩٣

رسالة أحمد بن فارس

لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب

●

تناول ابن فارس في هذه الرسالة مسألة المفاضلة: بين شعراء الجاهلية والموالدين

...

قدّم الثعالبي لهذه الرسالة بقوله: - إنها - في غاية الملاحه، وقد تضمّنت نماذج من ملح شعراء الجبل وغيرهم من المعاصرين، وفيها ظرف أخبارهم.. وهذا نصّها:

«ألهمك الله الرشاد، وأصبحك السداد. وجنبك الخلاف، وحبب إليك الإنصاف.

وسبب دعائي بهذا لك - إنكارك على (أبي الحسن محمد بن علي العجلي) تأليفه كتاباً في الحماسة، وإعظامك ذلك. ولعله لو فعل - حتى يصيب الغرض الذي يريده، ويرد المنهل الذي يؤمه - لاستدرك من جيد الشعر ونقيه، ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول.

فماذا الأنكار، ولمه هذا الاعتراض، ومن ذا حذر على المتأخر مضادة المتقدم؟ ولمه تأخذ بقول من قال: «ما ترك الأول للآخر شيئاً» وتدع قول الآخر: «كم ترك الأول للآخر؟» وهل الدنيا إلا أزمان، ولكل زمن منها رجال؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات الأفهام ونتائج العقول؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم، ووقفها

على وقت محدود؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول - حتى يؤلف مثل تأليفه، ويجمع مثل جمعه، ويرى في كل ذلك مثل رأيه؟ .

وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من نوازل الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم؟ أو ما علمت أن لكل قلب خاطراً ولكل خاطر نتيجة؟ ولمه جاز أن يقال بعد (أبي تمام) مثل شعره ولم يجز أن يؤلف مثل تأليفه؟ ولمه حجرت واسعاً وحظرت مباحاً. وحرمت حلالاً. وسددت طريقاً مسلوكاً؟ وهل (حبيب) إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم؟ ولماذا جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم وأهل النحو في مصنفاتهم والنظار في موضوعاتهم وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ولم يجز معارضة أبي تمام في كتاب شدّ عنه في الأبواب التي شرعها فيه؟ أمر لا يدرك ولا يدرى قدره . . .

ولو اقتصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير. ولذهب أدب غزير. ولضلت أفهام ثاقبة. ولكت ألسن السنة. ولما توشى أحد لخطابة. ولا سلك شعباً من شعاب البلاغة. ولمجت الأسماع كل مردّد مكرّر، وللفظت القلوب كل مرجع ممضّغ. وحتام لا يسأم:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلي

وإلى متى:

صفحنا عن بني ذهل

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيحاً وإبطاء وإقواء ونقلًا لأبيات عن أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها، إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة وأمور عليّة؟ .

ولمه رضيت لنا بغير الرضى؟ وهلا حثت على إثارة ما غيبتة
الدهور وتجديد ما أخلقتة الأيام وتدوين ما نتجته خواطر هذا الدهر
وأفكار هذا العصر؟.

على أن ذلك لو رامه رائم لأتعبه. ولو فعله لقرأت ما لم ينحط
عن درجة من قبله من جدّ يروعك وهزل يروك واستنباط يعجبك
ومزاج يلهيك.

وكان بقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر
طعاماً، وإلى جنبه رجل أكل فأحسّ أبو حامد بجودة أكله، فقال:

وصاحب لي بطنه كالهواية،
كأن في أمعائه معاوية

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ، وجودة وقوع الأمعاء إلى جنب
معاوية. وهل ضرّ ذلك إن لم يقله حمّاد عجرد وأبو السمقمق؟ وهل
في إثبات ذلك عار على مثبته، أو في تدوينه وصمة على مدونه؟.

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني، نظر إلى حاكم من
حكامها - من أهل طبرستان - مقبلاً، عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق
وقميص شديد البياض وخفُّه أحمر، وهو مع ذلك كله قصير، على
برذون أبلق هزيل الخلق طويل الحلق، فقال حين نظره:

وحاكم جاء على أبلقي،
كعمقمق جاء على لقلق

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة
التشبيه وجودة التمثيل ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار بن برد:

كأن مشار النقع^(١) فوق رؤوسهم
وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا، وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود
تجويده؟ .

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل
بشيراز يعرف بالهمذاني، وهو اليوم حيّ يرزق، وقد عاب بعض كتابها
على حضوره طعاماً مرض منه:

وُقِيَتَ الرَّدَى وَصُرُوفَ الْعَلَلِ
وَلَا عَرَفْتَ قَدَمَاكَ الرَّزْلِ
شَكَى الْمَرَضَ الْمَجْدُ لَمَّا مَرَضَتْ
فَلَمَّا نَهَضَتْ سَلِيمًا أَبْلُ
لَكَ الذَّنْبُ، لَا عَتَبَ عَلَيْكَ
لِمَاذَا أَكَلْتَ طَعَامَ السَّفَلِ؟
طَعَامَ يَسْوَى بَبِيْعِ النَّبِيذِ
وَيَصْلِحُ مِنْ خُدْرِ ذَاكَ الْعَمَلِ

وأنشدني في شاعر، هو اليوم هناك، يعرف بابن عمرو الأسدي،
وقد رأيتَه فرأيتَ صفةً وافقت الموصوف:

وأصفر اللون، أزرق الحدقة،
في كلِّ ما يدَّعيه غير ثقته
كأنه مالكُ الحزين إذا
همَّ بزرق وقد لوى عنقه

(١) النقع: الغبار.

إن قمتُ في هجوه بقافية
فكلُّ شعر أقوله صدقه

وأنشدني عبدالله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه، من أهل
قزوين، ويعرف بابن المنادي:

إذا ما جئت أحمد مستميحاً
فلا يغرك منظره الأنيقُ
له لطف وليس لديه عرف،
كبارقة تروق ولا تريقُ
فما يخشى العدو له وعيداً،
كما بالوعد لا يثق الصديقُ

وليوسف محاسن كثيرة، وهو القائل، ولعلك سمعت به:

حجٌ مثلي زيارة الخمار،
واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري إذا توقر ذو الشي
بة وسط الندي ترك الوقار
ما أبالي إذا المدامة دامت
عذل ناه ولا شناعة جارٍ
ربُّ ليل كأنه فرع ليلي
ما به كوكب يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل
أحور الطرف فاتن سحارٍ
وعكفنا على المدامة فيه

فرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى، وفي ذكرها كلها تطويل والإيجاز أمثل.
وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً.

ومدح رجل بعض أمراء البصرة، ثم قال بعد ذلك - وقد رأى
توانياً في أمره - قصيدة يقول فيها كأنه يجب سائلاً:

جَوَّدتْ شعرك في الأمير
فكيف أمرك؟ قلت فاتر

فكيف تقول لهذا ومن أي وجه تأتي فتظلمه. وبأي شيء تعانده
فتدفعه عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام، وأنت
الذي أنشدتني:

سَدَّ الطريق على الزمان
وأقام في وجه القطوب

كما أنشدني لبعض رجال الموصل:

فديتك، ما شبت عن كبرة
وهذي سنيّ وهذا الحسابُ
ولكن هجرتَ فحلَّ المشيب
ولو قد وصلتَ لعاد الشبابُ

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها فحولة الشعراء
وشياطين الأنس ومردة العالم في الشعر؟.

وأنشدني أبو عبدالله المغلسي المراغي لنفسه:

غداة تولت عيسُهم فترحلوا،
بكيث على ترحالهم فعميتُ

فلا مقلتي أدت حقوق ودادهم،
ولا أنا عن عيني بذاك رضيتُ

وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره، وهو اليوم حي
يرزق:

زارني في الدُّجى فنمَّ عليه
طيب أردافه لدى الرقباء
والثريا كأنها كفُّ خود
أبرزت من غلالة زرقاء

وسمعت أبا الحسين السروجي يقول: «كان عندنا طبيب يسمى
النعمان ويكنى أبا المنذر، فقال فيه صديق لي:

أقولُ لنعمانٍ، وقد ساق طِبُّهُ
نفوساً نفيساتٍ إلى باطن الأرضِ
أبا مُنذرٍ أفنيتَ، فاستبقِ بعضنا
حنائيك: بعضُ الشرِّ أهونُ من بعضِ



القسم الأول

الصاحبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وبه نستعين، وصلى الله تعالى على محمد وآله.

قال الشيخ أبو الحسين أحمد بن فارس أدام الله تأييده:

هذا (الكتابُ الصَّاحِبِيُّ) في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها. وإنما عُنُوَّتُهُ بهذا الاسم لأنِّي لما أَلْفُتُهُ أودعته خزانة (الصَّاحِبِ)^(١) الجليل كافي الكفاة، عَمَرَ اللَّهُ عِرَاصَ العلم والأدب والخير والعدل بطول عمره، تَجَمُّلاً بذلك وتحسُّناً، إذ كان يقبله كافي الكفاة من علم وأدب مَرْضِيّاً مقبولاً، وما يَرُدُّهُ أو يَنْفِيهِ منفيّاً مَرْدُولاً، ولأنَّ أحسنَ ما في كتابنا هذا مأخوذاً عنه ومُفَادٌ منه. فأقول:

إنَّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً: أمَّا الفرعُ فمعرفة الأسماء والصفات كقولنا: «رجل» و«فرس» و«طويل» و«قصير». وهذا هو الذي يُبدأ به عند التعلُّم.

وأما الأصلُ فالقولُ على موضوع اللغة وأوليئها ومنشأها، ثمَّ على

(١) هو أبو القاسم الصَّاحِبِ بن عيَّاد، إسماعيل بن عباد بن العباس بن عباد بن أحمد بن إدريس الطالقاني. وزير مؤيد الدولة أبي منصور بن بويه وفخر الدولة. وصحب أبا الفضل الوزيرين العميد وأخذ عنه الأدب والشعر والترسل، وبصحته لقب بالصَّاحِبِ. كانت ولادة الصَّاحِبِ في ١٤ ذي القعدة سنة ٣٢٦ هـ (٩٣٧ م)، توفي ليلة الجمعة ٢٤ صفر سنة ٣٨٥ هـ (٩٩٥ م).

رسوم العرب في مخاطبتها، وما لها من الأفتنان تحقيقاً ومجازاً.

والنَّاسُ في ذلك رجلاَن: رجلٌ شُغل بالفرع فلا يَعْرِفُ غيره،
وآخرُ جَمع الأمرين معاً، وهذه هي الرتبة العُلَيَا، لأنَّ بها يُعلم خطابُ
القرآن والسُّنة، وعليها يُعول أهلُ النَّظر والفتيا، وذلك أنَّ طالبَ العلم
العُلويَّ يكتفي من سماء «الطويل» باسم الطويل، ولا يَضِيرُهُ أن لا
يعرف «الأشَقَّ»^(١) و«الأمَقَّ»^(٢) وإن كان في علم ذلك زيادةٌ فضل.

وإنما لم يَضِرْهُ خفاءُ ذلك عليه لأنه لا يكاد يجدُ منه في
كتاب الله جل ثناؤه شيئاً فيُحَوِّجُ إلى علمه؛ ويقبَلُ مثله أيضاً في ألفاظ
رسول الله ﷺ، إذ كانت ألفاظه ﷺ هي السهلة العُدبة.

ولو أنَّه لم يَعْلَمْ توسُّع العرب في مخاطباتها لَعَيَّ بكثير من علم
مُحكَم الكتاب والسُّنة، ألا تسمع قول الله جل ثناؤه: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ
يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾^(٣) إلى آخر الآية؟ فسِرُّ
هذه الآية في نطقها لا يكون بمعرفة غريب اللغة والوَحشيِّ من
الكلام، وإنما معرفته بغير ذلك مما لعلَّ كتابنا هذا يأتي على أكثره
بعون الله تعالى.

والفرق بين معرفة الفروع ومعرفة الأصول أن مُتَوَسِّمًا بالأدب لو
سُئِلَ عن «الجُزْم» والتَّسويد^(٤) في علاج النوق، فتوقف أو عيَّ به أو

(١) الأشَقُّ: الطويل من الرجال والخيل (لسان العرب) نقلاً عن الأصمعي وابن
الأعرابي.

(٢) الأمَقُّ: يقال بلد أمق (مؤنثه مقاء ج مق) : بعيد الأطراف، الطويل طولاً
فاحشاً في دقة. من المَقَّق وهو كل تباعد بين شيئين.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأنعام: الآية ٥٢.

(٤) التسويد: من سَوَدَ للابل تسويداً إذا دَقَّ المسح البالي من شَعَرِ فداوى به
أديبارها (لسان العرب مادة «سود»).

لم يعرفه، لم ينقصه ذلك عند أهل المعرفة نقصاً شائناً، لأن كلام العرب أكثر من أن يُحصى. ولو قيل له: هل تتكلم العرب في النفي بما لا تتكلم به في الإثبات، ثم لم يعلمه لنقصه ذلك في شريعة الأدب عند أهل الأدب، لا أن ذلك يُردد دينه أو يجره لمأثم.

كما أن مُتوسِّماً للنحو لو سُئل عن قول القائل:

لَهْنِكِ^(١): من عبسية لو سيمة
على هنوات كاذب من يقولها

فتوقَّف أو فكَّر أو استمهَّل لكان أمره في ذلك عند أهل الفضل هيناً، لكن لو قيل له مكان «لَهْنِكِ»: ما أصل القسم، وكم حروفه، وما الحروف الخمسة المشبهة بالأفعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً؟ فلم يُجب لحكم عليه بأنه لم يُشأم^(٢) صناعة النحو قط.

فهذا الفصل بين الأمرين.

والذي جمعناه في مؤلَّفنا هذا مفرَّق في أصناف^(٣) العلماء المتقدمين رضي الله عنهم وجزاهم عنا أفضل الجزاء. وإنما لنا فيه اختصارٌ مبسوط أو بسطٌ مختصرٌ أو شرحٌ مُشكِّلٌ أو جمعٌ متفرِّقٌ.

فأول ذلك:

(١) لَهْنِكِ: أي لأنك، وهي للتأكيد.

(٢) لم يشأم الشيء... لم يدخل فيه ولم يخالطه.

(٣) أي التصانيف.

باب القول على لغة العرب

أتوقيف، أم اصطلاح

أقول: إن لغة العرب توقيف^(١). ودليل ذلك قوله جل ثناؤه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾^(٢) فكان ابن عباس يقول: علّمه الأسماء كلّها وهي هذه التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها.

وروى خُصَيْفٌ عن مُجَاهِدٍ قال: علّمه اسم كلّ شيء.
وقال غيرهما: إنما علّمه أسماء الملائكة.
وقال آخرون: علّمه أسماء ذريته أجمعين.

والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه عن ابن عباس. فإن قال قائل: لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال: «ثم عرضهن أو عرضها» فلما قال: «عرضهم» علم أن ذلك لأعيان بني آدم أو الملائكة، لأن موضوع الكناية في كلام العرب يُقال لما يَعْقِلُ «عرضهم» ولما لا يعقل «عرضها أو عرضهن» - قيل له: إنما قال ذلك والله أعلم لأنه جمع ما يعقل وما لا يعقل فغلب ما يعقل، وهي سنة من سنن العرب، أعني (باب التغليب). وذلك كقوله جل ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ: فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾^(٣) فقال: ﴿مِنْهُمْ﴾ تغليبا لمن يمشي على رجلين وهم بنو آدم.

(١) التوقيف: نصّ الشارع المتعلّق بأمر كاللغة، وهو يقابل عند أهل العلم الوضع والاصطلاح.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية ٣١.

(٣) القرآن الكريم: سورة النور: الآية ٤٥.

فإن قال: أفقولون في قولنا سيف وحسام وعَضْب^(١) إلى غير ذلك من أوصافه أنه توقيف حتى لا يكون شيء منه مُصْطَلِحاً عليه؟ قيل له: كذلك نقول: (والدليل على صِحَّة ما نذهب إليه إجماع العلماء على الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه، ثم احتجاجهم بأشعارهم، ولو كانت اللغة مُواضِعَةً واصطلاحاً لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم بأولى منا في الاحتجاج لو اصطَلَحنا على لغة اليوم ولا فرق).

ولعلَّ ظاناً يظنُّ أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد. وليس الأمر كذا، بل وقَّف الله جلَّ وعزَّ آدمَ عليه السلام على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه، وانتشر من ذلك ما شاء الله، ثم علَّم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبياً نبياً ما شاء أن يعلمه، حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فاتاه الله جلَّ وعزَّ من ذلك ما لم يؤته أحداً قبله، تماماً على ما أحسنه من اللغة المتقدمة. ثم قر الأمر قراره فلا نعلم لغة من بعده حدثت.

فإن تعمَّل^(٢) اليوم لذلك متعمِّل وجد من نُقاد العلم من ينفيه ويرُده.

ولقد بلغنا عن (أبي الأسود)^(٣) أن امرأ كلمه ببعض ما أنكره أبو

(١) العَضْب: السيف القاطع.

(٢) تعمَّل: تكلف العمل، والمتعمِّل: المتكلف في عمله.

(٣) هو أبو الأسود الدؤلي: هو من شعراء بني ديل، ينسب إليه أنه وضع أسس

علم النحو العربي بأمر من الإمام علي بن أبي طالب مات سنة ١٠ هـ

(٦٨١ م).

الأسود فسأله أبو الأسود عنه فقال: «هذه لغة لم تبلغك» فقال له: «يا ابن أخي لا خير لك فيما لم يبلغني» فعرفه بلطف أن الذي تكلم به مختلق.

✓ وخلة^(١) أخرى أنه لم يبلغنا أن قوماً من العرب في زمانٍ يُقارب زمانه أجمعوا على تسمية شيء من الأشياء مصطلحين عليه، فكنا نستدل بذلك على اصطلاح كان قبلهم.

✓ وقد كان في الصحابة رضي الله تعالى عنهم - وهم البلغاء والفصحاء - النظر في العلوم الشريفة ما لا خفاء به. وما علمناهم اصطلاحوا على اختراع لغةٍ أو إحداث لفظةٍ لم تتقدمهم.

✓ ومعلوم أن حوادث العالم لا تنقضي إلا بانقضائه ولا تزول إلا بزواله، وفي ذلك دليل على صحة ما ذهبنا إليه من هذا الباب.

باب القول على الخط العربي

وأول من كتب به

يُروى أن أول من كتب الكتاب العربيَّ والسريانيَّ والكُتُب كلها (آدم) عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في طين وطبخه. فلما أصاب الأرض الغرقُ وجد كلُّ قوم كتاباً فكتبوه، فأصاب (إسماعيلُ) عليه السلام الكتابَ العربيَّ.

وكان (ابنُ عباس) يقول: أوَّل من وضع الكتابَ العربيَّ (إسماعيلُ) عليه السلام، وضعه على لفظه ومنطقه.

(١) الخلة: جمع خِلال وخلل: الثقب، والخلة أيضاً: الحاجة.

والروايات في هذا الباب تكثر وتختلف .

والذي نقوله فيه : إن الخطَّ توقيف ، وذلك إظهار قوله عز وجل :
﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، إِقْرَأْ وَرَبُّكَ
الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(١) وقال جلُّ
ثناؤه : ﴿والقلم وما يسطرون﴾ وإذا كان كذا فليس ببعيد أن يوقَّف آدمُ
عليه السلام أن غيره من الأنبياء عليهم السلام على الكتاب .

فأما أن يكون مُخْتَرَع اختراعه من تلقاء نفسه فشيء لا تُعَلِّمُ
صِحته إلا من خبر صحيح .

وزعم قوم أن العرب العاربة^(٢) لم تعرف هذه الحروف
بأسمائها، وأنهم لم يعرفوا نحواً ولا إعراباً ولا رفعاً ولا نصباً ولا
همزاً . قالوا والدليل على ذلك ما حكاه بعضهم عن بعض الأعراب أنه
قيل له : أتهمز إسرائيل؟ فقال : «إني إذن لرجل سوء!» قالوا : وإنما
قال ذلك لأنه لم يعرف من الهمز إلا الضغط والعصر . وقيل لآخر أتجرُّ
فلسطين؟ فقال : «إني إذن لقوي!» . قالوا : وسُمع بعض فصحاء
العرب يُنشد :

نحن بني علقمة الأخيارا

فقيل له : لم نصبت «بني»؟ فقال : ما نصبته ، وذلك أنه لم
يعرف من النَّصْب إلا إسناد الشيء^(٣) . قالوا : وحكى (الأخفش) عن

(١) القرآن الكريم : سورة القلم : الآية ٤ .

(٢) العرب العاربة : العرب الصرحاء الخُص، وأما الدخلاء فيسمون : العرب
المتعربة والمستعربة .

(٣) لأنه لم يعرف معنى النَّصْب على الاختصاص أي : نحن - أخص - بني
علقمة . . .

أعرابي فصيح أنه سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الدال فقال: وما الدال؟
وحكي أن (أبا حية النُميري) سُئِلَ أن يُنشد قصيدة على الكاف فقال:

كفى بالنأي من أسماء كاف
وليس لسقمها إذ طال شاف

قلنا: والأمر في هذا بخلاف ما ذهب إليه هؤلاء. ومذهبنا فيه التوقيف فنقول: إن أسماء هذه الحروف داخلة في الأسماء التي أعلم الله جل ثناؤه أنه علّمها آدم عليه السلام، وقد قال جل وعز: ﴿علّمه البيان﴾^(١)، فهل يكون أول البيان إلا علم الحروف التي يقع بها البيان؟ ولم لا يكون الذي علّم آدم عليه السلام الأسماء كلها هو الذي علّمه الألف والباء والجيم والدال؟ فأما من حُكي عنه من الأعراب الذين لم يعرفوا الهمز والجرّ والكاف والدال فإننا لم نزعم أن العرب كلها مدرّاً ووبراً قد عرفوا الكتابة كلها والحروف أجمعها، وما العرب في قديم الزمان إلا كنحن اليوم: فما كلُّ يعرف الكتابة والخطّ والقراءة، و(أبو حية) كان أمس؛ وقد كان قبله بالزمن الأطول من يعرف الكتابة ويخطّ ويقرأ، وكان في أصحاب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كاتبون منهم (أمير المؤمنين عليّ) صلوات الله تعالى عليه و(عثمان) و(زيد) وغيرهم.

فحدثني أبو الحسن عليّ بن إبراهيم القطّان قال أخبرنا عليّ بن عبدالعزيز عن أبي عبيد قال: حدثنا ابن مهديّ عن ابن المبارك قال حدثني أبو وائل شيخ من أهل اليمن عن (هانيء) قال: كنت عند (عثمان) رضي الله تعالى عنه، وهم يعرضون المصاحف، فأرسلني بكتيف شاة إلى (أبي بن كعب) فيها «لم يتسنّ» و«فأمهل الكافرين»

(١) القرآن الكريم: سورة الرحمن: الآية ٤.

و«لا تبديل للخلق» قال فدعا بالدّواة فمحا إحدى اللامين وكتب ﴿لخلق الله﴾ ومحا فأمهل وكتب ﴿فَمَهْلٌ﴾ وكتب ﴿لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ الحق فيها هاء. أفيكون جهل (أبي حيّة) بالكتابة حجةً على هؤلاء الأئمة؟.

والذي نقوله في الحروف هو قولنا في الإعراب والعروض. والدليل على صحة هذا وأن القوم قد تداولوا الإعراب أنا نستقريء^(١) قصيدة (الحطّيئة)^(٢) التي أولها:

شَاقْتُكَ أَظْعَانُ لَيْلَى
دُونِ نَاطِرَةِ بَوَاكِرِ

فَنَجِدُ قَوَافِيهَا كُلَّهَا عِنْدَ التَّرْتِمِ^(٣) وَالْإِعْرَابِ تَجِيءُ مَرْفُوعَةً، وَلَوْلَا عِلْمُ (الْحَطِّيئَةِ) بِذَلِكَ لِأَشْبَهَ أَنْ يَخْتَلِفَ إِعْرَابُهَا، لِأَنَّ تَسَاوِيَهَا فِي حَرَكَةِ وَاحِدَةٍ اتِّفَاقًا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ - لَا يَكَادُ يَكُونُ.

فإن قال قائل: فقد تواترت الروايات بأن (أبا الأسود) أول من وضع العربية، وأن (الخليل)^(٤) أول من تكلم في العروض. قيل له: نحن لا ننكر ذلك، بل نقول إن هذين العُلمين قد كانا قديماً وأتت عليهما الأيام وقلّ في أيدي الناس، ثم جددهما هذان الإمامان، وقد تقدم دليلنا في معنى الإعراب.

وأما العروض فمن الدليل على أنه كان متعارفاً معلوماً اتفاق أهل

(١) نستقريء القصيدة: نتبع معانيها لمعرفة خصائصها. والاستقراء في المنطق:

إثبات الحكم للكليّ بإثبات الحكم لأفراد هذا الكليّ.

(٢) الحطّيئة: من شعراء بني عبس، مخضرم. شارك في حروب الردّة. كان بارعاً في الهجاء، مات سنة ٥٩ هـ (٦٧٨ م).

(٣) الترتيم: الطرب والغناء.

(٤) أي الخليل بن أحمد الفراهيدي (٩٤ - ١٦٢ هـ - ٧١٢ - ٧٧٨ م)، واضع علم العروض. تتلمذ على أيوب السخيتاني ومن تلاميذه سيبويه والأصمعي.

العلم على أن المشركين لما سمعوا القرآن قالوا أو من قال منهم: «إنه شعر» فقال (الوليدُ بنُ المغيرة) منكرًا عليهم «لقد عرضتُ ما يقرؤه محمد على أقرء»^(١) الشعر، هزجه ورجزه وكذا وكذا، فلم أره يشبه شيئاً من ذلك» أفيقول (الوليدُ) هذا، وهو لا يعرف بحور الشعر؟.

وقد زعم ناس أن علوماً كانت في القرون الأوائل والزمن المتقادم، وأنها درست وُجِّدَت منذ زمان قريب، وترجمت وأصلحت منقولة من لغة إلى لغة. وليس ما قالوا ببعيد، وإن كانت تلك العلوم بحمد الله وحسن توفيقه مرفوضة عندنا.

فإن قال: فقد سمعناكم تقولون إن العرب فعلت كذا ولم تفعل كذا، من أنها لا تجمع بين ساكنين، ولا تبتديء بساكن، ولا تقف على متحرك، وأنها تسمي الشخص الواحد الأسماء الكثيرة، وتجمع الأشياء الكثيرة تحت الاسم الواحد. قلنا: نحن نقول إن العرب تفعل كذا بعدما وطأناه أن ذلك توقيف حتى ينتهي الأمر إلى الموقف الأول.

ومن الدليل على عرفان القدماء من الصحابة وغيرهم بالعربية كتابتهم المصحف على الذي يعلله النحويون في ذوات الواو والياء والهمز والمد والقصر فكتبوا ذوات الياء بالياء وذوات الواو بالواو ولم يصوروا الهمزة إذا كان ما قبلها ساكناً في مثل «الخبء» و«الدفء» و«الملء» فصار ذلك كله حجة، وحتى كره من العلماء ترك اتباع المصحف من كره.

فحدثني عبدالرحمن بن حمدان عن محمد بن الجهم السمرّي

(١) أقرء وقروء، وأقرؤ: جمع قرء (بالفتح) وقرء (بالضم)، وهو القافية.

عن (الفراء)^(١) قال: «اتباعُ المصحف - إذا وجدت له وجهاً من كلام العرب - وقراءةُ الفراء أحبُّ إليَّ من خلافه» قال وقد كان (أبو عمرو بن العلاء)^(٢) يقرأ ﴿إن هذين لساحران﴾^(٣) ولست أجتريء على ذلك. وقرأ ﴿فأصدّق وأكون﴾ فزاد واواً في الكتاب ولن أستحب ذلك.

والذي قاله (الفراء) حسن، وما بحسن قول (ابن قتيبة)^(٤) في أحرف ذكرها، وقد خالف الكتابُ المصحفُ في هذا.

٦

باب القول في أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها

قال جلّ ثناؤه: ﴿وإنه لتنزيلُ ربِّ العالمين، نزل به الروح الأمين على قلبك، لتكون من المُنذرين، بلسان عربيّ مبين﴾^(٥) فوصفه جلّ ثناؤه بأبلغ ما يوصف به الكلام، وهو البيان.

(١) الفراء: (٢٠٧ هـ - ٨٢٢ م)، أحد كبار لغويي الكوفة، أخذ العلم عن الكسائي، واستدعاه المأمون لتأديب ولديه، من آثاره كتاب «الحدود».

(٢) أبو عمرو بن العلاء: من قدماء النحاة البصريين (٧٠ - ١٨٤ هـ - ٦٨٩ - ٨٠٠ م) جمع شعر الجاهلين وشرحه، ثم عني بالعلوم الدينية ويعتبر: أحد القراء السبعة.

(٣) القرآن الكريم: سورة طه: الآية ٦٣.

(٤) ابن قتيبة الدينوري: (٢١٣ - ٢٧٦ هـ = ٨٢٨ - ٨٨٩ م) من مواليد الكوفة عاش في بغداد وتولى التدريس بها ثم القضاء في دينور (اقليم الجبال)، ومن آثاره «الشعر والشعراء» و«عيون الأخبار» و«أدب الكاتب».

(٥) القرآن الكريم: سورة الشعراء: الآية ١٩٢.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾^(١) فقدّم جلّ ثناؤه ذكر البيان على جميع ما توحد بخلقه وتفرّد بإنشائه، من شمس وقمر ونجم وشجر وغير ذلك من الخلائق المحكّمة والنشاي المتّقنة. فلما خصّ جلّ ثناؤه اللسان العربيّ بالبيان علّم أن سائر اللغات قاصّرة عنه وواقعة دونه.

فإن قال قائل: فقد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كلّ من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بيّن. قيل له: إن كنت تريد أن المتكلّم بغير اللغة العربية قد يُعربُ عن نفسه حتّى يفهم السامع مراده فهذا أخس مراتب البيان، لأن الأبكّم قد يدلُّ بإشارات وحركات له على أكثر مراده ثم لا يسمّى متكلّماً، فضلاً عن أن يُسمّى بيّناً أو بليغاً. وإن أردت أن سائر اللغات تبين إبانة اللغة العربية فهذا غلط، لأننا لو احتجنا أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد، ونحن نذكر للسيف بالعربية صفات كثيرة، وكذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسمّاة بالأسماء المترادفة. فأين هذا من ذلك، وأين لسائر اللغات من السّعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نُهيّة^(٢).

وقد قال بعضُ علمائنا حين ذكر ما للعرب من الاستعارة والتمثيل والقلب والتقدير والتأخير وغيرها من سنن العرب في القرآن فقال: ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة كما نُقل الإنجيل عن السريانية إلى الحبشية والرّومية وترجمت التوراة والزبور وسائرُ كتب الله عزوجل بالعربية، لأن العجم لم تتسع في

(١) القرآن الكريم: سورة الرحمن: الآية ٤.

(٢) نُهيّة: جمع نهى، اسم من النهي (العقل).

المجاز اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ﴾^(١) لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ المؤدّية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول: «إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ما شرطته لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على استواء» وكذلك قوله جل ثناؤه: ﴿فَضْرِبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ﴾^(٢).

فإن قال قائل: فهل يوجد في سنن العرب ونظومها ما يجري هذا المجرى؟ قيل له: إن كلام الله جل ثناؤه أعلى وأرفع من أن يُضاهى أو يُقابل أو يعارض به كلام، وكيف لا يكون كذلك وهو كلام العليّ الأعلى خالق كل لغة ولسان، لكنّ الشعراء قد يومثون إيماءً ويأتون بالكلام الذي لو أراد مُريد نقله لاغتاص وما أمكن إلا بمبسوط من القول وكثير من اللفظ. ولو أراد أن يعبر عن قول امرئ القيس:

فدع عنك نهباً ضيحا في حَجَرَاتِهِ^(٣)

بالعربية فضلاً عن غيرها لطلال عليه. وكذا قول القائل:

«وَالظَّنُّ عَلَى الْكَاذِبِ»^(٤).

(١) القرآن الكريم: سورة الأنفال: الآية ٥٩.

(٢) القرآن الكريم: سورة الكهف: الآية ١١.

(٣) هذا صدر بيت من قصيدة له عرض فيها بخالد بن سدوس، وأما عجزه فهو: ولكن حديثاً ما حديث الرواحل.

(٤) هو الشطر الثاني من بيت الحارث بن هجم الشيباني، ورد في حماسة أبي تمام وشطره الأول: أن ابن زيابة، أن تدعني آتك، والظن على الكاذب.

- و «نَجَارُهَا نَارُهَا» (١).
و «عَيَّ بِالْأَسْنَفِ» (٢).
و «أَنْشَائِي يُرَمَ لِكَ». و «هُوَ بَاقِعَةٌ» (٣).
و «قَلْبٌ لَوْ رَفَعَ». و «عَلَى يَدِي فَأَخْضَمَ». و «وَشَأْنُكَ إِلَّا تَرَكُهُ مُتَّفَاقِمٌ».

وهو كثير بمثله طالت لغة العرب اللغات. ولو أراد معبراً بالأعجمية أن يعبر عن الغنيمة والإخفاق واليقين والشك والظاهر والباطن والحق والباطل والمبين والمشكل والاعتزاز والاستسلام لعي به. والله جلّ ثناؤه أعلم حيث يجعل الفضل.

ومما اختصت به لغة العرب - بعد الذي تقدم ذكرناه قلبهم الحروف عن جهاتها، ليكون الثاني أخفّ من الأول، نحو قولهم: «ميعاد» ولم يقولوا «مؤعاد» وهما من الوعد، إلا أن اللفظ الثاني أخفّ.

ومن ذلك تركهم الجمع بين السّاكنين، وقد تجتمع في لغة العجم ثلاث سواكن. ومنه قولهم: «يا حارٍ» ميلاً إلى التخفيف.

-
- (١) النجار: الأصل، النار: المسة. و «نجارها نارها» مثل يضرب للأمر الظاهرة الدالة على بواطنها، على أساس أن سمة الإبل تدل على أصلها.
(٢) السناف مثل اللب للفرس. وفي هذا قول الزمخشري: عي فلان بالأسناف، إذا دهش من الفزع كمن لا يدري أين يشدّ السناف (انظر أساس البلاغة). وفي هذا قوله:
إذا ما عي الأسناف قوم من الهول المشبه أن يكوننا
(٣) الباقعة: الداهية من الرجال (انظر أساس البلاغة).

ومنه اختلاسهم الحركاتِ في مثل:

فاليومَ أَشْرَبَ غيرَ مُسْتَحْقِبٍ^(١)

ومنه الادغامُ، وتخفيفُ الكلمة بالحذف، نحو «لَمْ يَكْ» و«لَمْ أَبْلُ» ومن ذلك إضمارهم الأفعال، نحو «امراً أتقى الله» و«أمرَ مُبكياتك، لا أمرَ مضحكاتك».

ومما لا يمكن نقله البتة أوصافُ السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة. ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد غير اسم واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم.

وحدثني أحمد بن محمد بن بندار قال: سمعت (أبا عبد الله بن خالويه الهمداني) يقول: جمعت للأسد خمس مائة اسم وللحية مائتين.

وأخبرني عليُّ بن أحمد بن الصباح قال: حدثنا أبو بكر بن دريد قال: حدثنا (ابن أخي الأصمعي) عن عمه أن (الرشيد)^(٢) سأله عن شعر لـ (ابن حزام العُكَلِيّ) ففسره، فقال: «يا أصمعي، إن الغريب عندك لغير غريب» فقال: «يا أمير المؤمنين، ألا أكون كذلك وقد حفظت للحجر سبعين اسماً؟». وهذا كما قاله الأصمعي^(٣): ولكافي

(١) وتمام هذا البيت: إثمًا من اللّه ولا واغل

(٢) أي هارون الرشيد.

(٣) الأصمعي: هو عبد الملك الأصمعي (١٢٣ - ٢١٣ هـ - ٧٤٠ - ٨٢٨ م) من كبار علماء البصرة، وفيها ولد. أخذ العلم عن الخليل بن أحمد، ومن تلامذته الرياشي وأبو عبيدة والسجستاني والسكري استدعاه الرشيد لتعليم الأمين ومن آثاره «الأصمعيات» و«الأراجيز» وسواهما.

الكفاة^(١) أدام الله أيامه وأبقى للمسلمين فضله - في ذلك كتاب مجرد.

فأين لسائر الأمم ما للعرب؟ ومن ذا يمكنه أن يُعبر عن قولهم: ذات الزُّمَيْن، وكثرة ذات اليد، ويد الدهر، وتَخَاوَصَت النجوم، ومَجَّت الشمسُ ريقها، ودراً الفياء، ومفاصل القول، وأتى بالأمر من فصّه، وهو رَحْب العَطَن، وغَمْرُ الرِّداء، ويَخْلُق، ويفري، وهو ضيق المَجَم، قَلِق الوَضِين، رابط الجأش، وهو أَلوى، بعيد المُسْتَمَرّ، وهو شراب بأنقع، وهو جُدَيْلُهَا المُحَكِّكُ وعُدَيْقُهَا المُرَجَّب، وما أشبه هذا من بارع كلامهم ومن الإيماء اللطيف والإشارة الدالة.

وما في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب العالي أكثر وأكثر، قال الله جلّ وعزّ: ﴿ولكم في القصص حياة﴾^(٢) و﴿يحسبون كلّ صيحة عليهم﴾^(٣)، و﴿وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها﴾^(٤) و﴿إن يتبعون إلا الظنّ وإن الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً﴾^(٥) و﴿إنما نغيكم على أنفسكم﴾^(٦)، ﴿ولا يُحقيق المكر السيء إلا بأهله﴾^(٦) وهو أكثر من أن تأتي عليه.

وللعرب بعد ذلك كَلِم تلوح في أثناء كلامهم كالمصاييح في الدجى، كقولهم للجَموع للخير: قُثوم، وهذا أمر قاتِم الأعماق، أسود النواحي، واقتحف الشراب كلّه، وفي هذا الأمر مصاعب وقُحَم،

(١) كافي الكفاة: يقصد الصحاب بن عبّاد، وهذا ما وصفه به في بداية فاتحة هذا الكتاب.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة المنافقون: الآية ٤.

(٤) القرآن الكريم: سورة الفتح: الآية ٢١.

(٥) القرآن الكريم: سورة النجم: الآية ٢٨.

(٦) القرآن الكريم: سورة يونس: الآية ٢٣.

وامرأة حيية قديعة^(١)، وتقادَعوا تقادَع^(٢) الفراش في النار، وله قَدَمِ
 صِدْق، وذا أمر أنت أردته ودبّرتَه، وتقادَفْت بنا النوى، واشتَفَّ
 الشراب، ولك قُرعة هذا الأمر (خياره)، وما دخلت لفلان قريعة^(٣)
 بيت، وهو يَبْهَر القرينة إذا جاذبته، وهم على قرو واحد (أي طريقة)،
 وهؤلاء قَرابينُ الملك، وهو قشع (إذا لم يثبت على أمر)، وقشبه بقبيح
 (لطنخه) وصبي قَصِيع (لا يكاد يشب)، وأقلت مَقاصِرُ الظلام، وقطع
 الفرسُ الخيلَ تقطيعاً (إذا خَلَّفها)، وليس أقعس (لا يكاد يبرح)، وهو
 منزل قفر.

وهذه كلمات من قُرحة^(٤) واحدة، فكيف إذا جال الطرف في
 سائر الحروف مجاله؟ ولو تفحصنا ذلك لجاوزنا الغرض ولما حوته
 أجلاذ وأجلاذ.

باب القول في لغة العرب

وهل يجوز أن يحاط بها؟

قال بعض الفقهاء: «كلام العرب لا يحيط به إلا نبي».

وهذا كلام حري أن يكون صحيحاً. وما بلغنا أن أحداً ممن
 مضى ادعى حفظ اللغة كلها. فأما الكتاب المنسوب إلى (الخليل) وما
 في خاتمته من قوله: «هذا آخر كلام العرب» فقد كان الخليل أورع
 وأتقى لله جل ثناؤه من أن يقول ذلك.

(١) المرأة القديعة: المرأة الحية، القليلة الكلام.

(٢) تقادع: تتابع.

(٣) قريعة البيت: سقفه.

(٤) القُرحة: الغرة.

ولقد سمعت عليَّ بن مِهْرُويَه يقول: سمعت هرون بن هزاري يقول: سمعت (سُفيان بن عُيينة) يقول: «من أحب أن ينظر إلى رجل خُلِق من الذهب والمِسْك فليَنظر إلى الخليل بن أحمد». وأخبرني أبو داود سليمان بن يزيد عن ذلك المصاحفي عن (النضر بن شُمَيْل) قال: «كنا نُمَيِّل بين (ابن عون) و(الخليل بن أحمد) أيهما تقدّم في الرّهد والعبادة فلا ندرى أيهما تقدّم» قال: وسمعت النضر بن شميل يقول: «ما رأيت أعلم بالسُّنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد» قال: وسمعت النضر يقول: «أكلت الدنيا بأدب الخليل وكتبه وهو في خُصّ لا يُشعر به».

قلنا فهذا مكان الخليل من الدين، أفترأه يُقدّم على أن يقول: «هذا آخر كلام العرب؟».

ثم إن في الكتاب الموسوم به من الإخلال ما لا خفاء به على علماء اللغة، ومن نظر في سائر الأصناف الصحيحة علم صحة ما قلناه.

باب القول في اختلاف لغات العرب

اختلاف لغات العرب من وجوه:

أحدها: الاختلاف في الحركات كقولنا: «نَسْتَعِين» و«نِسْتَعِين» بفتح النون وكسرها. قال (الفراء): هي مفتوحة في لغة قريش، وأسد وغيرهم يقولونها بكسر النون.

والوجه الآخر: الاختلاف في الحركة والسكون مثل قولهم: «معكم» و«معكم». أنشد الفراء:

وَمَنْ يَتَّقِ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَهُ
ورزق الله مُؤْتَابٌ وِغَادٍ

ووجه آخر: وهو الاختلاف في إبدال الحروف نحو: «أولئك»
و«الأيك». أنشد الفراء:

أَلَيْكَ قَوْمِي لَمْ يَكُونُوا أَشَابَةً^(١)،
وَهَلْ يَعِظُ الضَّيْلَ أَلَيْكَا؟

ومنها قولهم: «أَنَّ زَيْدًا» و«عَنَّ زَيْدًا».

ومن ذلك: الاختلاف في الهمز والتلين نحو «مستهزؤون»
و«مستهزؤون».

ومنه: الاختلاف في التقديم والتأخير نحو «صاعقة» و«صاقعة».

ومنها: الاختلاف في الحذف والإثبات نحو «استحييت»
و«استحييت» و«صدّدت» و«أصدّدت».

ومنها: الاختلاف في الحرف الصحيح يبدل حرفاً معتلاً نحو «أما
زيد» و«أيما زيد».

ومنها: الاختلاف في الإمالة^(٢) والتفخيم في مثل «قضى»
و«رمى» فبعضهم يفخّم وبعضهم يُمِيل.

ومنها: الاختلاف في الحرف الساكن يستقبله مثله، فمنهم من
يكسر الأول ومنهم من يضمّ، فيقولون: «اشترَوْ الضلالة» و«اشترَوْ
الضلالة».

(١) الأَشَابَةُ: جمع أشائب: أخلاط النَّاسِ، والأشابة أيضاً: الكسب الذي
يخالطه الحرام.

(٢) الإمالة (في القراءة): من أمال إمالة الشيء: صيره مائلاً.

ومنها: الاختلاف في التذكير والتأنيث فإن من العرب من يقول «هذه البقر» ومنهم من يقول: «هذا البقر» و«هذا النخيل» و«هذا النخيل».

ومنها: الاختلاف في الإدغام نحو «مهتدون» و«مُهْدُون».

ومنها: الاختلاف في الإعراب نحو «ما زيد قائماً» و«ما زيد قائم» و«إن هذين» و«إن هذان» وهي بالألف لغة لـ (بني الحارث بن كعب) يقولون لكل ياء ساكنة انفتح ما قبلها ذلك. وينشدون:

تزوّد مِنَّا بَيْنَ أذناه ضربةً
دَعَتْهُ إِلَى هابي التراب عقيم

وذهب بعض أهل العلم إلى أن الإعراب يقتضي أن يقال: «إن هذان» قال: وذلك أن «هذا» اسم منهوك^(١)، ونُهْكَهُ أنه على حرفين أحدهما حرف علة وهي (الألف) و(ها) كلمة تنبيه ليست من الاسم في شيء، فلما تُنِّي احتيج إلى ألف التثنية، فلم يوصل إليها لسكون الألف الأصلية، واحتيج إلى حذف أحديهما فقالوا: إن حذفنا الألف الأصلية بقي الاسم على حرف واحد، وإن أسقطنا أَلِفَ التثنية كان في النون منها عوض ودلالة على معنى التثنية، فحذفوا أَلِفَ التثنية.

فلما كانت الألف الباقية هي ألف الاسم، واحتاجوا إلى إعراب التثنية - لم يغيروا الألف عن صورتها لأن الإعراب واختلافه في التثنية والجمع إنما يقع على الحرف الذي هو علامة التثنية والجمع، فتركوها على حالها في النصب والخفض.

(١) الاسم المنهوك: الذي حذف حرف أو أكثر من حروفه - وفي العروض: البيت الذي حذف ثلثاه.

قال: ومما يدلّ على هذا المذهب قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَذَانِكَ
برهانان من ربّك﴾^(١) لم تحذف النون - وقد أضيف - لأنه لو حذفت
النون لذهب معنى التثنية أصلاً، لأنه لم تكن للتثنية ها هنا علامة إلاّ
النون وحدها، فإذا حذفت أشبهت الواحد لذهاب علامة التثنية.

ومنها: الاختلاف في صورة الجمع نحو «أسرى» و«أسارى».

ومنها: الاختلاف في التحقيق والاختلاس نحو «يأمركم»
و«يأمرُكم» و«عُفِيَ له» و«عُفِيَ له».

ومنها: الاختلاف في الوقف على هاء التأنيث مثل «هذه أمّة»
و«هذه أمّت».

ومنها: الاختلاف في الزيادة نحو «أنظُر» و«أنظور». أنشد

الفراء:

الله يعلم أنا في تلقّتنا
يوم الفراق - إلى جيراننا - صُورُ
وأني حيث ما يثني الهوى بصري
- من حيث ما سلكوا - أدنو فأنظورُ

وكلّ هذه اللغات مسماة منسوبة إلى أصحابها، لكن هذا موضع
اختصار، وهي وإن كانت لقوم دون قوم فإنها لما انتشرت تعاورها
كلّ.

ومن الاختلاف: اختلاف التضادّ، وذلك قول (جمير) للقائم
«ثب» أي اقعده.

(١) القرآن الكريم: سورة القصص: الآية ٣٢.

فحدثنا علي بن إبراهيم القَطَّان عن المفسر عن القتيبي عن إبراهيم بن مسلم عن الزبير عن ظُمَياء بنت عبدالعزيز بن مَوَالة قالت: حدثني أبي عن جَدِّي (مَوَالة) أن (عامر بن الطُّفَيْل)^(١) قدم على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فَوُثِّبَهُ وِسَادَةٌ، يريد فرشه إياه وأجلسه عليها.

والوِثَاب: الفراش بلغة جَمِير. قال: وهم يسمون الملك إذا كان لا يغزو «موثبان» يريدون أن يطيل الجلوس ولا يغزو، ويقولون للرجل «ثب» أي اجلس.

وروي أن (زيد بن عبدالله بن دارم) وفد على بعض ملوك جَمِير فألفاه في مُتَصَيْدٍ^(٢) له على جبل مُشْرِفٍ، فسلم عليه وانتسب له، فقال له الملك «ثب» أي اجلس، وظن الرجل أنه أمره بالوثوب من الجبل فقال: «لتجدني أيها الملك مطواعاً» ثم وثب من الجبل فهلك، فقال الملك: ما شأنه؟ فخبّروه قصته وغلطه في الكلمة، فقال: «أما أنه ليست عندنا عربيّ: من دخل (ظَفَارٍ) حَمْرًا وظفار المدينة التي كان بها، وإليها ينسب الجَزَعُ الظَّفَارِي. أراد: من دخل ظفار فليتعلم الحميرية^(٣).

(١) عامر بن الطفيل: شاعر جاهلي: (١٤ هـ - ٦٣٥ م)، وهو من فرسان العرب، قدم على النبي في أواخر حياته. له ديوان شعر جمعه أبو بكر الأنباري.

(٢) المتصيد: موضع الصيد.

(٣) الحميرية: إحدى اللغات السامية وهي لغة حمير من شعوب اليمن القديمة.

باب القول في أفصح العرب

أخبرني أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم بقرّوين^(١)، قال: حدثنا أبو الحسين محمد بن عباس الخشكي، قال: حدثنا (إسماعيل بن أبي عبيد الله) قال:

أجمعَ علماؤنا بكلام العرب، والرّواة لأشعارهم، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ومحلّهم أن (قريشاً) أفصحُ العرب ألسنةً وأصفاهم لغةً. وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبيّ الرحمة محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم. فجعل قريشاً قُطان^(٢) حَرَمِهِ، وجيران بيته الحرام، وولّاته. فكانت وفود العرب من حُجاجها وغيرهم يَفدون إلى مكة للحج، ويتحاكمون إلى قريش في أمورهم. وكانت قريش تعلمهم مناسكهم وتحكّم بينهم. ولم تزل العرب تعرف لقريش فضلها عليهم وتسميها (أهل الله) لأنهم الصّريح من ولد (إسماعيل) عليه السلام، لم تشبهم شائبة، ولم تنقلهم عن مناسبتهم ناقلةً، فضيلةً من الله - جلّ ثناؤه - لهم وتشريفاً. إذ جعلهم رهط نبيّه الأذنين، وعترته^(٣) الصالحين.

وكانت قريش، مع فصاحتها وحسن لغاتها وريقة ألسنتها، إذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم. فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات إلى نحائزهم^(٤) وسلائقهم^(٥) التي طبعوا عليها. فصاروا بذلك أفصح العرب.

(١) قرّوين: من مدن إيران.

(٢) قُطان: جمع قاطن اسم فاعل من قطن قطونا في المكان وبه: أقام فيه وتوطّنه.

(٣) عترته: ولد الرجل وذريته أو عشيرته ممّن مضى.

(٤) نحائز: جمع نحيزة، الطبيعة. يقال هو كريم النحيزة.

(٥) سلائق: جمع سليقة، الطبيعة.

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم (عَنْعَنَة تَمِيم) ولا (عَجْرَفِيَّة قَيْس) ولا (كَشْكَشَة أَسَد) ولا (كَسْكَسَة رَيْبَعَة) ولا الكَسْر الذي تسمعه من (أَسَد) و(قَيْس) مثل: «تَعْلَمُونَ» و«نَعْلَمُ» ومثل «شَعِير» و«بَعِير»؟.

باب اللغات المذمومة

أما (العَنْعَنَة) التي تُذكر عن (تَمِيم) - فقلبهم الهمزة في بعض كلامهم عِيناً. يقولون: «سمعتُ عَن فلاناً قال كذا» يريدون «أَنَّ».

وروي في حديث (قَيْلَة): «تَحَسب عَنِّي نَائِمَةٌ» قال (أبو عُبَيْد): أَرَادَتْ تَحَسب أَنِّي، وهذه لُغَة تَمِيم. قال (ذو الرِّمَّة) (١):
 أَعْنُ تَرَسَّمَتْ مِنْ خَرَقَاءِ مَنُولَةٍ
 مَاءُ الصُّبَابَةِ مِنْ عَيْنِكَ مَسْجُومٌ؟
 أراد «أَنَّ» فجعل مكان الهمزة عِيناً.

وأما (الكَشْكَشَة) التي في (أَسَد) (٢) - فقال قوم: إنهم يبدلون الكاف شيئاً فيقولون: «عَلَيْشَ» بمعنى «عليك». ويُشَدُّون:
 فَعَيْنَاشِ عَيْنَاهَا، وَجِيدُشِ جِيدُهَا،
 وَلَوُنُشِ - إِلَّا أَنهَا غَيْرُ عَاطِلٍ
 وقال آخرون: يَصِلُونَ بالكاف شيئاً، فيقولون: «عَلَيْكِش».

(١) ذو الرِّمَّة: لقب الشاعر غيلان بن عقبة من أهل البادية. عاصر جرير والفرزدق وكان يفد من البادية إلى البصرة والكوفة. مات سنة ١١٧ هـ (٧٣٥ م).

(٢) أي في بني أسد.

وكذلك (الكسكسة) التي في (ربيعة)^(١) - إنما هي أن يصلوا بالكاف سينا، فيقولون: «عليكس».

وحدثني علي بن أحمد الصبّاحي، قال سمعت (ابن دُرَيْد)^(٢) يقول: حروف لا تتكلم بها العرب إلا ضرورة، فإذا اضطرُّوا إليها حولوها عند التكلم بها إلى أقرب الحروف من مخارجها.

فمن تلك الحروف الحرف الذي بين الباء والفاء. مثل «بور» إذا اضطرُّوا. فقالوا: «فور».

ومثل الحرف الذي بين القاف والكاف والجيم - وهي لغة سائرة في اليمن - مثل: «جَمَل» إذا اضطرُّوا قالوا: «كَمَل».

قال: والحرف الذي بين الشين والجيم والياء: في المذكر «غَلَامِج» وفي المؤنث «غَلَامِش».

فأما (بنو تميم) فإنهم يلحقون القاف باللهة حتى تغلظ جداً فيقولون: «القوم» فيكون بين الكاف والقاف، وهذه لغة فيهم. قال الشاعر:

ولا أكوُلُ لِكَدْرِ الكَّومِ: قد نضجت^(٣)
ولا أكوُلُ لِبابِ الدَّارِ: مَكْفُولُ

(١) أي بني ربيعة.

(٢) ابن دريد (٢٢٣ - ٣٢١ هـ = ٨٣٧ - ٩٣٣ م) من كبار لغويي ونحاة العرب وكان شاعراً ملماً بأداب الأقدمين. من أشهر آثاره «المقصورة» المعروفة باسمه والواقعة في ٢٢٩ بيتاً. قيل عنه: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء.

(٣) وفي نسخة: غليت.

وكذلك الياء تجعل جيماً في النَّسَب. يقولون: «غَلَامِجٌ» أي «غلامي».

وكذلك الياء المشدّدة تحوّل جيماً في النَّسَب. يقولون: «بَصْرَجٌ» و«كُوفِجٌ» قال الرَّاجِز:

خَالِي عُويْفٌ، وَأبو عَلِجٍ^(١)،
المُطْعِمَانِ اللَّحْمَ بِالْعَشِجِ،
وبالغداة فلقَ الأبرنجِ.

وكذلك ما أشبهه من الحروف المرغوب عنها. كالكاف التي تحوّل شيئاً.

قلنا: أما الذي ذكره (ابن دُرَيْد) في «بور» و«فور» فصحيح. وذلك أن بور ليس من كلام العرب، فلذلك يحتاج العربيّ عند تعريبه إياه أن يُصَيِّرَه فاءً. وأما سائر ما ذكره فليس من باب الضرورة في شيء. وأيُّ ضرورة بالقائل إلى أن يقلب الكاف شيئاً، وهي ليست في سجع ولا فاصلة؟ ولكن هذه لغات للقوم على ما ذكرناه في باب اختلاف اللغات.

وأما من زعم أن (ولد إسماعيل) عليه السلام يُعَيَّرُون (وَلَدَ قَحْطَانَ) أنهم ليسوا عرباً، ويحتجّون عليهم بأنّ لسانهم (الحَمِيرِيَّة) وأنهم يُسَمُّون اللَّحِيَةَ بغير اسمها - مع قول الله جلّ ثناؤه في قصة من قال: لا تأخذ بِلِحِيَّتِي ولا بِرَأْسِي - وأنهم يُسَمُّون الذَّيْبَ «الْقَلُوبَ» - مع قوله: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّئْبُ﴾ - ويسمون الأصابع «الشَّنَاتِرَ» - وقد

(١) أبو عليج: أي أبو علي، بسبب جعل الياء جيماً، وهكذا: العَشِج: العشيّ وهكذا.

قال الله جل ثناؤه: «يجعلون أصابعهم في آذانهم» - وأنهم يسمون الصديق «الخلم» - والله جل ثناؤه يقول: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾ - وما أشبه هذا. فليس اختلاف اللغات قادحاً^(١) في الأنساب.

ونحن وإن كنا نعلم أن القرآن نزل بأفصح اللغات، فلسنا نُنكر أن يكون لكل قوم لغة. مع أن (قحطان) تذكر أنهم (العرب العاربة)، وأن من سواهم (العرب المتعربة)، وأن (إسماعيل) عليه السلام بلسانهم نطق، ومن لغتهم أخذ، وإنما كانت لغة أبيه ﷺ (العبرية) وليس ذا موضوع مفاخرة فنستقصي.

ومما يُفسد الكلام ويعيبه (الخزم) ولا نريد به الخزم المستعمل في الشعر، وإنما نريد قول القائل:

ولئن قوم أصابوا غرة^(٢)،
وأصبنا من زمان رققا^(٣)
للقد كنا لدى أزماننا
لشريجين لباسٍ وتقى
فزاد لأمأ على «لقد» وهو قبيح جداً.

ويزعم ناس أن هذا تأكيد كقول الآخر:

فلا والله لا يُلْفَى لِمَا بِي^(٤)،
ولا لِمَا بِهِمْ - أبداً - دواءً

(١) قادحاً: اسم فاعل من «قَدَحَ، قَدَحًا». في عرضه: طعن فيه وعابه وتنقصه.

(٢) الغرة: جمع غِرْر: الغفلة.

(٣) الرقق: كناية عن الضعف.

(٤) يُلْفَى (مبني للمجهول): من لفا يلفو لِفْواً. فلاناً حقّه: يخسه.

فزاد لاماً على «لما» وهذا أقبح من الأول. فأما التأكيد فإن هذا لا يزيد الكلام قُوَّة، بل يقبَّحه. ومثله قول الآخر:

وصاليات^(١) كَمَا يوْثَقَيْنِ
شوكل ذا من أغاليطٍ من يغلَط، والعرب لا تعرفهُ.

(١) صاليات: جمع صالية: اسم فاعل مؤنث من صلى صلياً اللحم: شواه، فاللحم مصلي، والنار صالية، أيضاً: صلى فلاناً النار: أدخله إياها وشواه فيها.

باب القول

في اللغة التي بها نزل القرآن

وأنه ليس في كتاب الله جل ثناؤه شيء بغير لغة العرب

حدّنا أبو الحسن عليُّ بنُ ابراهيم القطان قال حدثنا عليُّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد عن شيخ له أنه سمع الكلبي يحدث عن أبي صالح عن (ابن عباس) قال: نزل القرآن على سبعة أحرف أو قال بسبع لغات، منها خمسُ بلغة العَجْز من هَوازِن وهم الذين يقال لهم (عُلياً هَوازِن) وهي خمس قبائل أو أربع، منها (سَعْدُ بن بكر) و(جُشمُ بن بكر) و(نَصْر بن مُعاوية) و(ثَقِيف).

قال (أبو عبيد): وأحسب أفصح هؤلاء (بني سعد بن بكر) لقول رسول الله ﷺ: «أنا أفصح العرب مَيد^(١) أني من قريش وأنّي نشأت في بني سعد بن بكر» وكان مُسترضعاً فيهم، وهم الذين قال فيهم (أبو عمرو بن العلاء): أفصح العرب (عُلياً هَوازِن) و(سُفلى تميم).

وعن (عبدالله بن مسعود) أنه كان يَسْتَحِبُّ أن يكون الذين يكتبون المصاحف من (مُضر).

(١) مَيد: لغة نادرة في بَيد.

وقال (عمر): لا يُمَلِّينَ^(١) في مَصَاحِفِنَا إِلَّا غُلَمَان (قريش) و(ثَقِيف).

وقال (عثمان): اجعلوا المُمَلِّيَ^(٢) من (هُذَيْل) والكَاتِبَ من (ثَقِيف).

قال (أبو عبيد): فهذا ما جاء في لغات مُضَر^(٣) وقد جاءت لغاتُ لأهل (اليَمَن) في القرآن معروفةً. منها قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿مُتَكَبِّرِينَ﴾ فيها على الأرائك ﴿فحدَّثَنَا أبو الحسن علي عن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد قال حدَّثَنَا هُشَيْمٌ أَخْبَرَنَا منصور عن (الحسن) قال: «كُنَّا» يقال إنها بِالْحَبَشِيَّةِ. وقوله «هَيْتَ لَكَ» يقال إنها بِالْحَوْرَانِيَّةِ. قال: فهذا قول أهل العلم من الفُقهَاءِ.

قال: وزعم أهل العربية أن القرآن ليس فيه من كلام العَجَمِ شيءٌ وأنه كَلَّمَهُ بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ، يتأولون قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾^(٤) وقوله ﴿بِلِسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٥).

قال (أبو عبيد): والصواب من ذلك عندي - والله أعلم - مذهب فيه تصديق القولين جميعاً. وذلك أن هذه الحروف وأصولها عجمية -

(١) لا يُمَلِّينَ: من أملى يملئ عليه الكلام: قاله له فكتب عنه.

(٢) المملئ: اسم الفاعل من أملى.

(٣) مضر: أي بنو مضر بن نزار: إحدى أكبر القبائل العربية. وديار مضر في ما بين النهرين.

(٤) القرآن الكريم: سورة الزخرف: الآية ٣.

(٥) القرآن الكريم: سورة الشعراء: الآية ١٩٥.

كما قال الفقهاء - إلا أنها سقطت إلى العرب فأعربت بها بألستها، وحوّلتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربيّة. ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب. فمن قال إنها عربيّة فهو صادق، ومن قال عجمية فهو صادق.

قال: وإنما فسّرنا هذا لثلاثا يُقدّم أحد على الفقهاء فينسبهم إلى الجهل، ويتوهم عليهم أنهم أقدموا على كتاب الله جلّ ثناؤه بغير ما أَرَادَهُ اللهُ جلّ وعزّ، وهم كانوا أعلمم بالتأويل وأشدّ تعظيماً للقرآن.

قال أحمد بن فارس: ليس كل من خالف قائلاً في مقالته فقد نسب إلى الجهل. وذلك أن الصدر الأول اختلفوا في تأويل آي من القرآن فخالف بعضهم بعضاً. ثم خالف من بعدهم من خلف، فأخذ بعضهم بقولٍ وأخذ بعض بقول، حسب اجتهادهم وما دلّتهم الدلالة عليه. فالقول إذن ما قاله أبو عبيد، وإن كان قوم من الأوائل قد ذهبوا إلى غيره.

فإن قال قائل: فما تأويل قول أبي عبيد، فقد أعظم وأكبر؟

قيل له: تأويله أنه أتى بأمر عظيم وكبير. وذلك أن القرآن لو كان فيه من غير لغة العرب شيء، لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها، وفي ذلك ما فيه.

وإذا كان كذا فلا وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير مُعجزة. وإنما أمر الله جلّ ثناؤه بقراءة القرآن العربي المعجز. ولو جازت القراءة بالترجمة الفارسية لكانت كتب التفسير والمصنفات في معاني القرآن باللفظ العربي أولى بجواز الصلاة بها، وهذا لا يقوله أحد.

باب القول في مأخذ اللغة

تؤخذ اللغة اعتياداً كالصبي العربيّ يسمع أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات.

وتؤخذ تلقُّناً^(١) من ملقن.

وتؤخذ سماعاً من الرّواة الثقات^(٢) ذوي الصدق والأمانة، ويتقّى المظنون.

فحدثنا عليُّ بن ابراهيم عن المَعْدَانِيّ عن أبيه عن معروف بن حسان^(٣) عن اللَّيْث عن (الخليل) قال: إنَّ النَّحَارِيرَ رُبَّمَا أَدخَلُوا عَلَى النَّاسِ مَا لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ إِرَادَةَ اللَّبْسِ وَالتَّعْنِيتِ.

قلنا فَلْيَتَحَرَّ أَحْذِ اللُّغَةَ وَغَيْرَهَا مِنَ الْعُلُومِ أَهْلُ الْأَمَانَةِ وَالثَّقَاتِ وَالصِّدْقِ وَالْعَدَالَةِ. فَقَدْ بَلَّغْنَا مِنْ أَمْرِ بَعْضِ مَشِيخَةِ بَغْدَادِ مَا بَلَّغْنَا. وَاللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَسْتَهْدِي التَّوْفِيقَ، وَإِلَيْهِ نَرْغَبُ فِي إِرْشَادِنَا لِسُبُلِ الصِّدْقِ، إِنَّهُ خَيْرٌ مَوْفِقٌ وَمَعِينٌ.

(١) التَّلْقِنُ: مَصْدَرٌ تَلَقَّنَ - الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ: أَخَذَهُ عَنْهُ مَشَافَهَةً وَفَهَمَهُ وَلَقَّنَهُ الْكَلَامَ: فَهَّمَهُ إِيَّاهُ مَشَافَهَةً.

(٢) الثَّقَاتُ: مَنْ يُؤْتَمَنُ وَيَعْتَمَدُ عَلَيْهِ. وَيَسْتَعْمَلُ بِلَفْظِ وَاحِدٍ لِلْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُوثِ وَالْمُفْرَدِ وَالْجَمْعِ، وَقَدْ يَجْمَعُ فَيُقَالُ ثِقَاتٌ لِلْمَذْكَرِ وَالْمَوْثُوثِ، وَقَوْلُهُمْ فُلَانٌ أَخُو ثِقَةٍ: أَيُّ أَنَّهُ شَجَاعٌ وَاثِقٌ بِشَجَاعَتِهِ.

(٣) وَفِي رِوَايَةٍ: أَبُو مَعَاذٍ مَعْرُوفٌ بِنِ حَسَّانٍ.

باب القول في الاحتجاج باللغة العربية

لغة العرب يحتج بها فيما اختلف فيه، إذا كان أيام أقرائك. قال (أبو بكر): ومن العظيم أن علياً وعمر رضي الله عنهما قد قالا «القرؤ الحيص» فهل يُجترأ على تجهيلهما باللغة؟

ومنها قوله في قوله جل ثناؤه ﴿حَرَّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ﴾^(١) أنه أراد الذكور دون الإناث. قال: وهذا من غريب ما يغلط فيه مثله. يقول الله جل ثناؤه ﴿يا بني آدم!﴾ أفترأه أراد الرجال دون النساء؟

قال ابن داود: وإن قبيحاً مُفْرِطَ القَبَاحَةِ بمن يعيب (مالك بن أنس)^(٢) بأنه لَحَنَ في مخاطبة العامة بأن قال: «مُطَرْنَا البَارِحَةَ مَطْرًا أَيَّ مَطْرًا» أن يَرْضَى هو لنفسه أن يتكلم بمثل هذا. لأن الناس لم يزالوا يلحنون ويتلأحنون فيما يخاطب بعضهم بعضاً اتِّقَاءً للخروج عن عادة العامة فلا يعيب ذلك من يُنصِفهم من الخاصة، وإنما العيب على من غلِط من جهة اللغة فيما يغير به حكم الشريعة والله المستعان.

فلذلك قلنا: إنَّ علم اللغة كالواجب على أهل العلم، لئلاَّ يَحِيدُوا في تأليفهم أو فتياهم عن سَنَنِ^(٣) الاستواء.

وكذلك الحاجة إلى علم العربية، فإن الإعراب هو الفارق بين

(١) القرآن الكريم: سورة النساء: الآية ٨٣.

(٢) مالك بن أنس: (٩٧ - ١٧٩ هـ - ٧١٥ - ٧٩٥ م). أحد الأئمة الأعلام وصاحب المذهب المالكي، من مؤلفاته كتاب موطأ الإمام مالك «الذي يشكل أساس المذهب المالكي».

(٣) السَّنَن: الطريقة، يقال: استقام على سَنَن واحد أي على طريقة واحدة، و«امضِ على سَنَنِكَ»: أي على وجهك. وأما السُّنَن، والسُّنَن والسُّنَن من الطريق: معظمه، ونهجه. والسُّنَّة جمع سُنَن: السيرة، الطريقة.. الخ.

المعاني . ألا ترى أن القائل إذا قال: «ما أحسن زيد» لم يفرّق بين التعجب والاستفهام والذمّ إلا بالأعراب . وكذلك إذا قال: «ضرب أخوك أخانا» و«وجّهك وجهه حرّاً» و«وجّهك وجهه حرّاً» وما أشبه ذلك من الكلام المشتبه .

هذا وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أعربوا القرآن» .

وقد كان الناس قديماً يجتنبون اللحن^(١) فيما يكتبونه أو يقرأونه اجتنابهم بعض الذنوب . فأما الآن فقد تجوزا حتى أن المحدث يحدث فيلحن . والفقهاء يؤلف فيلحن . فأذا نُبها قالوا: ما ندري ما الإعراب وإنما نحن محدّثون وفقهاء . فهما يسران بما يساء به اللبيب .

ولقد كلمت بعض من يذهب بنفسه ويراهها من فقه الشافعي بالرتبة العليا في القياس ، فقلت له: ما حقيقة القياس ومعناه ، ومن أي شيء هو؟ فقال: ليس عليّ هذا وإنما عليّ إقامة الدليل على صحته .

فقل الآن في رجل يروم^(٢) إقامة الدليل على صحة شيء لا يعرف معناه ، ولا يدري ما هو . ونعوذ بالله من سوء الاختيار .

باب القول على لغة العرب

هل لها قياس ، وهل يُشْتَقُّ بعض الكلام من بعض؟

أجمع أهل اللغة - إلا من شدّ عنهم - أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشقّ بعض الكلام من بعض .

(١) اللحن في الكلام: الخطأ في الإعراب والبناء كرفع المنصوب أو فتح المضموم ، جمع ألحان ولحون .

(٢) رام يروم روماً ومراماً الشيء: أراداه فهو رائم جمع روم وروام .

وأن اسم الجنّ مشتق من الاجتنان. وأن الجيم والنون تدلّان
أبداً على الستر. تقول العرب للدّرع: جُنّة. وأجنة الليل. وهذا
جنين، أي هو في بطن أمّه أو مقبور.

وأن الإنس من الظهور. يقولون: آنست الشيء: أبصرته.
وعلى هذا سائر كلام العرب، علم ذلك من علم وجهله من
جهل.

قلنا: وهذا أيضاً مبنيّ على ما تقدم من قولنا في التوقيف. فإن
الذي وقفنا على أن الاجتنان التستر هو الذي وقفنا على أن الجنّ
مشتق منه. وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول غير ما قالوه ولا أن
نقيس قياساً لم يقيسوه، لأن في ذلك فساد اللغة وبطلان حقائقها.
ونكتة الباب^(١) أن اللغة لا تؤخذ قياساً نقيسه الآن نحن.

باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكليتها

وأن الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير
وأن كثيراً من من الكلام ذهب بذهاب أهله.

ذهب علماؤنا أو أكثرهم إلى أنّ الذي انتهى إلينا من كلام
العرب هو الأقلّ. قال: ولو جاءنا جميع ما قالوه لجاءنا شعرٌ كثيرٌ
وكلام كثير.

وأحر^(٢) بهذا القول أن يكون صحيحاً. لأننا نرى علماء اللغة

(١) نكتة الباب (تبعاً للسياق): المسألة الدقيقة، أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر.

(٢) أحر به: أجدر به.

يختلفون في كثير مما قالته العرب، فلا يكاد واحد منهم يُخبر عن حقيقة ما خولف فيه، بل يسلك طريق الاحتمال والامكان.

ألا ترى أنا نسألهم عن حقيقة قول العرب في الإغراء «كذبتك كذا» وعما جاء في الحديث من قوله: «كذبت عليكم الحج» و«وكذبتك العسل»

وعن قول القائل:

كذبتُ عليكم أوعدوني وَعَلَّلُوا
بِي الْأَرْضَ وَالْأَقْوَامَ قِرْدَانَ مَوْظَبًا.

وعن قول الآخر:

كذبت العتيق وماء شن بارد
إن كنت سائلتي غبوقاً فاذهب.

ونحن نعلم أن قوله «كذب» يبعد ظاهره عن باب الإغراء.

وكذلك قولهم «عنك في الأرض» و«عنك شيئاً» وقول الأفوه^(١):

عنكم في الأرض إنا مذجج
ورويداً يفضح الليل النهار.

ومن ذلك قولهم: «أعمد من سيد قتله قومه؟» أي «هل زاد؟»

فهذا من مشكل الكلام الذي لم يفسر بعد. قال ابن ميادة:

وأعمد من قوم كفاهم أخوهم
صدام الأعادي حين فلت نيوبها؟

(١) الأفوه: هو الأفوه الأودي، صلاة بني عمرو من مذحج، ويكنى أبا ربيعة،

ومن جيد شعره قوله:

لا يصلح آل قوم فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهألهم سادوا

قال الخليل وغيره: «معناه هل زدنا على أن كفيينا؟» وقال أبو

ذؤيب:

صَخِبُ الشَّوَارِبِ لَا يَزَالُ كَأَنَّهُ
عَبْدُ لَالِ أَبِي رَبِيعَةَ مُسْبَعُ.

فقوله «مُسْبَعُ» ما فُسِّرَ حَتَّى الْآنَ تَفْسِيرًا شَافِيًا.

ومنه قول الأعشي:

ذَاتُ غَرْبٍ تَرْمِي الْمُقَدَّمَ بِالرُّدِّ
فَ، إِذَا مَا تَتَابَعِ الْأُرُوقِ.

وقوله في هذه القصيدة:

الْمِهْنِينَ مَا لَهُمْ فِي زَمَانِ الْ
جَدْبِ، حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا.

ومن هذا الباب قولهم «يا عيد مَالِكُ» و«يا هيء مَالِكُ» و«يا

شيء مَالِكُ».

ولم يفسر قولهم «صَهُ» و«وَيْهَكَ» و«إِنِّيهِ» ولا قول القائل:

بِخَائِبِكَ الْحَقُّ يَهْتَفُونَ وَحَيَّ هَلْ.

ويقولون «خَائِبِكُما» و«خَائِبِكُمْ».

فأما (الرَّجْرُ والدَّعَاء) الذي لا يفهم موضوعه - فكثير. كقولهم:

«حَيَّ هَلَا» و«بَعِينِ مَا أَرَيْتُكَ» - في موضعِ أَعْجَلِ. و«هَجْ»

و«هَجَا» و«دَعْ» و«دَعَا» و«لَعَا» - للعائِرِ يدعون له. وينشدون:

وَمَطِيَّةٌ حَمَلَتْ ظَهْرَ مَطِيَّةٍ
حَرَجٍ تُنَمِّي مِلَّ عِشَارٍ بِدَعْدَعٍ.

ويروى عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «لا تقولوا: دَعَدَعٌ ولا نَعَلَعٌ، ولكن قولوا: اللهم اَرْفَعْ وانْفَعْ». فلولا أن للكلمتين معنى مفهوماً عند القوم ما كَرِهَهُمَا النبي صلى الله تعالى عليه وسلم.

وكقولهم في الزجر «أَخْرَ» و«أَخْرِي» و«ها» و«هَلا» و«هابٍ» و«ارْحَبِي» و«عَدِي» و«عاجٍ» و«ياعاطٍ» و«يعاطٍ» وينشدون:

وما كان على الجيءِ ولا الهيءِ امتداحيكا.

وكذلك «إَجْدٍ» و«أَجْدِمٌ» و«جِدَجٌ» لا نعلم أحداً فسّر هذا. وهو باب يكثرُ ويصححُ ما قلناه.

ومن المُشْتَبِه^(١) الذي لا يقال فيه اليومَ إلا بالتقريب والاحتمال وما هو بغريب اللفظ لكنَّ الوقوف على كُهنه مُعتاصِر^(٢) - قولنا: «العَيْنُ» و«الزَّمانُ» و«الدَّهرُ» و«الأوانُ» - إذا قال القائل أو حَلَفَ الحالف: «والله لا كلمته حيناً ولا كلمته زماناً أو دهرأً».

وكذلك قولنا: «بِضْعِ سِنِينَ» مُشْتَبِه. وأكثر هذا مُشْكِل لا يُقْصِر بشيء منه على حدِّ معلوم.

ومن الباب قولهم في الغنى والفقر وفي الشريف والكريم واللثيم، إذا قال: «هذا لأغنياء أهلي» أو «فقرائهم» أو «أشرافهم» أو «كرامهم» أو «لثامهم». وكذلك ان قال: «أمنعوه سفهاء قومي» لم يمكن تحديد السَّفه.

(١) المشتبه الأمور: المشكِل، آلملتيس، من: شَبَّهَ عليه الأمر، لئس.
(٢) كنه الشيء: جوهره: أصله وقدره وحقيقته - اعتاصَّ اعتياصاً الأمرُ على فلانٍ: اشتدَّ وأمتنعَ عليه، فلم يهتدِ إلى الصواب.

ولقد شاهدتُ منذ زمانٍ قريبٍ قاضياً يريد حَجْرًا^(١) على رجل مَكْتَهَلٍ. فقلت: «ما السبب في حجره عليه؟» فقال: «يَزْعَمُ أَنَّهُ يَتَصَيَّدُ بِالْكَلَابِ وَأَنَّهُ سَفِيهٌ» فقريء على القاضي قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ، فَكَلَّمُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾^(٢) فَأَمْسَكَ الْقَاضِي عَنِ الْحَجْرِ عَلَى الْكَهْلِ.

وكذلك اذا قال: «مالي لِذَوِي الْحَسَبِ» أو «امنعوه السُّفِلَةَ» وما أشبه هذا مما يطول الباب بذكره فلا وَجْهَ في شيء من هذا غير التقريب والاحتمال، وعلى اجتهاد الموصى اليه أو الحاكم فيه. والا فأنَّ تحديده حتى لا يجوز غيره بعيدٌ.

وقد كان لذلك كله ناس يعرفونه. وكذلك يعلمون معنى ما نستغربه اليوم نحن من قولنا: «عُبْسُور» في الناقة: و«عَيْسَجُور» و«امرأة ضِنَانِي» و«فرس أشقُّ أمقُّ خَبِقُّ» ذهب هذا كله بذهاب أهله ولم يبق عندنا الا الرسم^(٣) الذي نراه.

وعلماء هذه الشريعة، وان كانوا اقتصروا من علم هذا على معرفة رَسْمِهِ دون علم حقائقه؛ فقد اعتاضوا عنه دقيقَ الكلام في أصول الدين وفروعه من الفقه والفرائض. ومن دقيق النحو وجليله. ومن علم العروض الذي يربي بحسنه ودقته واستقامته على كل ما ييجح به الناسبون أنفسهم الى التي يقال لها: الفلسفة. ولكل زمان علم، وأشرف العلوم علم زماننا هذا والحمد لله.

(١) الحجر: المنع مطلقاً.

(٢) القرآن الكريم: سورة المائدة: الآية ٤٨.

(٣) الرِّسْمُ: تمثيل الشيء، العلامة.

باب انتهاء الخلاف في اللغات

تقع في الكلمة الواحدة لُغتان^(١). كقولهم: «الصَّرام» و«الصَّرَام». و«الحِصاد» و«الحَصَاد».

وتقع في الكلمات ثلاث لُغات. نحو: «الزُّجاج» و«الزَجَاج» و«الزَّجاج» و«وَشَكَانَ ذَا» و«وَشَكَانَ ذَا» و«وَشَكَانَ ذَا».

وتقع في الكلمة أربع لُغات. نحو: «الصِّدَاق» و«الصِّدَاق» و«الصِّدَاق» و«الصِّدَاق».

وتكون منها خمس لُغات. نحو: «الشَّمَال» و«الشَّمَل» و«الشَّمَل» و«الشَّمَل» و«الشَّمَل».

وتكون فيها ست لُغات: «قُسْطَاس» و«قِسْطَاس» و«قُسْطَاس» و«قُسْطَاس» و«قُسْطَاس» و«قُسْطَاس».

ولا يكون أكثر من هذا.

* * *

والكلام بعد ذلك أربعة أبواب:

الباب الأوَّل: المجمع عليه الذي لا علة فيه، وهو الأكثر والأعم. مثل: الحمد والشكر، لا اختلاف فيه في بناء ولا حركة.

والباب الثاني: ما فيه لغتان وأكثر إلا أن إحدى اللُّغات أفصح. نحو: «بَغْدَاد» و«بَغْدَاد» و«بَغْدَان» هي كلها صحيحة، إلا أن «بَغْدَاد»^(٢) في كلام العرب أصحّ وأفصح.

(١) اللغة: جمع لغى ولغات ولغون: الكلام المصطلح بين كل قوم.

(٢) تلك هي اللغات في اسم العلم الدال على مدينة بغداد.

والثالث: ما فيه لُغتان أو ثلاث أو أكثر، وهي متساوية، كـ«الحِصَاد» و«الحِصَاد». و«الصِّدَاق» و«الصِّدَاق»، فأياً ما قال القائل: فصحيح فصيح.

والباب الرابع: ما فيه لغة واحدة، إلا أن المؤلِّدين^(١) غَيَّرُوا فصارت ألسنتهم بالخطأ جاريةً. نحو قولهم: «أَصْرَفَ اللهُ عَنْكَ كَذَا» و«إِنْجَاصٌ» و«إمْرَأَةٌ مُطَاعَةٌ» و«عِرْقُ النِّسَاءِ» بكسر النون، وما أشبه ذا. وعلى هذه الأبواب الثلاثة بنى (أبو العباس ثعلب^(٢)): كتابه المسمَّى (فصيح الكلام) أخبرنا به (أبو الحسن القَطَّان) عنه.

باب مراتب الكلام في وضوحه وإشكاله

أما واضح الكلام - فالذي يفهمه كلُّ سامع عرَفَ ظاهرَ كلام العرب. كقول القائل: شربت ماءً ولقيت زيداً.

وكما جاء في كتاب الله جلَّ ثناؤه من قوله: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالِدُومٌ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾^(٣) وكقول النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: «إِذَا اسْتَيْقَظَ أَحَدُكُمْ مِنْ نَوْمِهِ، فَلَا يَغْمِسُ يَدَهُ فِي الْإِنَاءِ حَتَّى يَغْسِلَهَا ثَلَاثًا». وكقول الشاعر:

(١) المؤلِّدون: المحدثون.

(٢) أبو العباس ثعلب (٢٠٠ - ٢٩٢ هـ / ٨١٥ - ٩٠٤ م) هو إمام النحاة في القرن الثالث للهجرة بلا منازع. تجاوزت آثاره العشرين مصنفاً من: أبرزها «قواعد الشعر» وكتاب «الفصيح».

(٣) سورة البقرة: الآية ١٧٣.

إن يحسدوني فاني غير لائِمهم :
قبلي - من الناس - أهل الفضل قد حَسِدُوا .

وهذا أكثر الكلام وأعمه .

وأما المشكل - فالذي يأتيه الاشكال من غرابة لفظه ، أو أن تكون فيه إشارة إلى خبر لم يذكره قائله على جهته ، أو أن يكون الكلام في شيء غير محدود ، أو يكون وحيثاً في نفسه غير مبسوط^(١) ، أو تكون ألفاظه مُشتركة .

فأما المُشكَل لغرابة لفظه - فقول القائل : «يَمَلِّحُ فِي الْبَاطِلِ مَلْحًا يَنْقُضُ مِدْرَوِيَهُ» وكما أنه قيل : «أَيُّدَالِكُ الرَّجُلِ الْمَرْأَةُ؟» قال : «نعم ، إذا كان مُلْفَجًا» ومنه في كتاب الله جُلُّ ثَنَاوَهُ ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ ، ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ﴾ ، ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا﴾ ، ﴿وَيُبْرِيءُ الْأَكْمَةَ﴾ وغيره مما صَنَّفَ علماءنا فيه كَتَبَ غَرِيبَ الْقُرْآنِ . ومنه في حديث النبي صلى الله تعالى عليه وسلم : «عَلَى التَّيِّعَةِ شَاةٌ وَالتَّيِّمَةُ لِمَصْحَبِهَا . وَفِي السُّيُوبِ الْخُمْسُ لَا خِلَاطٌ وَلَا وِرَاطٌ وَلَا سِنَاقٌ وَلَا سِغَارٌ . مَن أُجْبِيَ فَقَدْ أَرْبِيَ» وهذا كتابه الى الأقبال العَبَاهِلَةِ . ومنه في شعر العرب :

وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ شَازٍ بِمَنْ عَوَّهُ
مَضْبُورَةَ قَرَوَاءٍ هِرْجَابٍ فُنُقِ .

وفي أمثال العرب : «بَاقِعَةٌ» و«شَرَابٌ بَأْتِقٌ» و«مُخْرَبُوقٌ لَيْتَبَاعٌ» .

والذي أشكَل لايماء قائله الى خبر لم يُفصح به - فقول القائل :
«لَمِ أفرَّ يَوْمَ عَيْنِينَ» و«رُويِدًا سَوَقَكَ بِالْقَوَارِيرِ» وقول امرئ القيس :

(١) المبسوط: المدود، الموسع، وغير المبسوط: المحدود المختصر.

دع عنك نهياً صيحح في حَجْرَاتِهِ .

وقول الآخر:

ان العصا قُرِعَتْ لِذِي الْحِلْمِ .

وفي كتاب الله جلّ ثناؤه ما لا يعلم معناه الا بمعرفة قصته، قوله
جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ
اللَّهِ﴾^(١) وفي أمثال العرب: «عَسَى الْعُؤْيُورُ أَبُوْسَاءً» .

والذي يشكل لأنه لا يُحَدِّدُ في نفس الخطاب - فكقوله جلّ ثناؤه:
﴿أَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ فهذا مجمل غير مفصل حتى فَسَّرَهُ النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم:

والذي أشكل لوجازة لفظه - قولهم:

الْغَمْرَاتِ ثُمَّ يَنْجَلِينَا

والذي يأتيه الإشكال لاشتراك اللفظ - قول القائل:

وَضَعُوا اللَّجَّ عَلَى قَفِيٍّ .

وعلى هذا الترتيب يكون الكلام كله في الكتاب والسنة وأشعار
العرب وسائر الكلام .

باب ذكر ما اختصت به العرب

من العلوم الجليلة التي خصت بها العرب - الإعراب الذي هو
الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو
أصل الكلام، ولولاه ما مُيزَ فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوعت،
ولا تَعَجَّبُ من استفهام، ولا صَدْرُ من مصدر، ولا نعتٌ من تأكيد .

(١) سورة البقرة: الآية ٩٧ .

وذكر بعض أصحابنا أن الإعراب يختص بالأخبار، وقد يكون الإعراب في غير الخبر أيضاً. لأننا نقول: «أزيدُ عندك؟» و«أزيداً ضربت؟» فقد عمِلَ الإعرابُ وليس هو من باب الخبر.

ورغم ناس يُتوقَّفُ عن قبول أخبارهم أن الذين يُسمَّون الفلاسيفه قد كان لهم إعرابٌ ومؤلفاتٌ نحو. قال أحمد بن فارس: وهذا كلام لا يَعْرَجُ^(١) على مثله. وإنما تشبَّه القوم أنفاً بأهل الإسلام، فأخذوا من كتب علمائنا، وغيرُوا بعض ألفاظها، ونسبوا ذلك الى قوم ذوي أسماء منكرةٍ بتراجمٍ بَشَعَةٍ لا يكاد لسان ذي دين ينطق بها.

وآدَعُوا مع ذلك أن للقوم شعراً، وقد قرأناه فوجدناه قليل الماء^(٢)، نَزَرَ الحلاوة، غير مستقيم الوزن.

بلى، الشِعْرُ شِعْرُ العرب، ديوانهم وحافظ مآثرهم، ومُقَيَّدُ أحسابهم، ثم للعرب العَرُوضُ التي هي ميزان الشِعْرِ، وبها يُعرف صحيحه من سقيمِه.

ومن عرف دقائقه وأسراره وخفياه علم أنه يُربي على جميع ما يَبْجَحُ به^(٣) هؤلاء الذين يَنْتَحِلُونَ معرفة حقائق الأشياء من الأعداد والخطوط والنقط التي لا أعرف لها فائدة غير أنها مع قلة فائدتها تُرِقُّ الدِّينَ، وتنتج كل ما نعوذ بالله منه.

وللعرب حفظ الأنساب وما يُعلم أحدٌ من الأمم عني بحفظ النسب عناية العرب. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ

(١) عَرَجَ على المكان: أقام فيه - لا يعرَجُ على مثله: لا يمكن الارتقاء إلى مثله.

(٢) قليل الماء (بالقياس إلى الشعر): شعر لا رواء فيه.

(٣) بجح: افتخر، تعاضم، باهى.

من ذكر وأثنى. وجعلناكم شعوباً وقبائلٍ لِتَعَارَفُوا^(١) فهي آية ما عمِلَ بمضمونها غيرهم.

ومما خصَّ الله جلَّ ثناؤه به العرب طهارتُهم ونزاهتُهم عن الأذناس التي استباحها غيرهم من مخالطة ذوات المحارم. وهي منقبة تَعْلُو بِجَمَالِهَا كُلَّ مَأْتِرَةٍ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

باب الأسباب الإسلامية

كانت العرب في جاهليتها على إرثٍ من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم^(٢) وقرابينهم. فلما جاء الله جلَّ ثناؤه بالاسلام حالت أحوالٌ، ونُسِخَتْ دِيَانَاتُ، وأُبْطِلَتْ أُمُورٌ، ونُقِلَتْ مِنَ اللُّغَةِ أَلْفَاظٌ مِنْ مَوَاضِعَ إِلَى مَوَاضِعَ أُخَرَ بِزِيَادَاتٍ زِيدَتْ، وَشُرَائِعَ شُرِعَتْ، وَشُرَائِطُ شُرِطَتْ. فَعَفَى^(٣) الْآخِرُ الْأَوَّلَ، وَشُغِلَ الْقَوْمُ - بَعْدَ الْمُغَاوَرَاتِ وَالتَّجَارَاتِ وَتَطَلُّبِ الْإِرْبَاحِ وَالْكَدْحِ لِلْمَعَاشِ فِي رِحْلَةِ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، وَبَعْدَ الْأَغْرَامِ بِالصَّيْدِ وَالمُعَاقَرَةِ^(٤) وَالمِيَاسِرَةِ - بِتِلَاوَةِ الْكِتَابِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَبِالتَّفَقُّهِ فِي دِينِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَحِفْظِ سُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَعَ اجْتِهَادِهِمْ فِي مَجَاهِدَةِ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ.

فصار الذي نشأ عليه آباؤهم ونشأوا عليه كأن لم يكن وحتى

(١) سورة الحجرات: الآية ١٣.

(٢) النسائك: جمع النسيكة: الذبيحة، والنسيكة أيضاً: السبيكة من فضة أو ذهب.

(٣) عفى: محى، وعفى أيضاً: أهلك.

(٤) المعاقرة: المفخرة في عقر الإبل.

تكلّموا في دقائق الفقه وغوامض أبواب المواريث وغيرها من علم الشريعة وتأويل الوحي بما دُوّن وحُفِظ حتى الآن.

فصاروا - بعدما ذكرناه - الى أن يُسأل إمامٌ من الأئمة وهو يخطب على منبره عن فريضة فَيُفتي وَيَحْسُبُ بثلاث كلمات. وذلك قول أمير المؤمنين عليّ صلوات الله عليه حين سُئل عن ابنتين وأبوين وامرأة: «صار ثمنها تُسَعًا» فسميت: (المنبرية).

وإلى أن يقول هو صلوات الله عليه علي منبره والمهاجرون والأنصار متوافرون: «سلوني، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل» وحتى قال صلوات الله عليه وأشار إلى ابنه: «يا قوم، استنبطوا مني ومن هذين علم ما مضى وما يكون». والى أن يتكلم هو وغيره في دقائق العلوم بالمشهور من مسائلهم في الفرض وحده، كالمشتركة، ومسألة المباهلة^(١) والغراء، وأمّ الفروخ، وأمّ الأرامل، ومسألة الامتحان، ومسألة ابن مسعود، والأكدرية، ومختصرة زيد، والخرقاء، وغيرها ممّا هو أغمض وأدق.

فسبحان من نقل أولئك في الزمن القريب بتوفيقه، عمّا ألفوه ونشأوا عليه وغدوا به، الى مثل هذا الذي ذكرناه. وكلّ ذلك دليل على حقّ الايمان وصحة نبوة نبيّنا محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

فكان مما جاء في الإسلام - ذكر المؤمن والمسلم والكافر والمنافق. وأنّ العرب أنما عرفت المؤمن من الأمان والايمان وهو التصديق. ثم زادت الشريعة شرائط^(٢) وأوصافاً بها سُمّي المؤمن

(١) المباهلة: من باهل القوم بعضهم بعضاً: تلاعنوا، والثلاثي: بهل: لعن، وبهل: ترك.

(٢) شرائط: جمع شريطة، الشرط وهو التعاقد في المعاملة على أمر يلتزمه.

بالاطلاق مؤمناً. وكذلك الإسلام والمسلم، انما عرفت منه إسلام الشيء ثم جاء في الشرع من أوصافه ما جاء. وكذلك كانت لا تعرف من الكفر إلا الغطاء والستر. فأما المنافق فاسمٌ جاء به الإسلام لقوم أبطنوا غير ما أظهروه، وكان الأصل من نفاق اليربوع. ولم يعرفوا في الفسق إلا قولهم: «فَسَقَتِ الرُّطْبَةُ» إذا خرجت من قشرها، وجاء الشرع بأن الفسق الافحاش في الخروج عن طاعة الله جل ثناؤه.

ومما جاء في الشرع - الصلاة وأصله في لغتهم الدُّعام. وقد كانوا عَرَفُوا الرُّكُوعَ والسُّجُودَ، وإن لم يكن على هذه الهيئة، فقالوا:

أَوْ دُرَّةٌ صَدْفِيَّةٌ، غَوَاصُّهَا
بِهَجٍّ، مَتَى يَرَهَا يُهَيِّلُ وَيَسْجُدُ. (١)

وقال الأعشى: (٢)

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِكِ
طَوْرًا سَجُودًا، وَطَوْرًا جُؤَارًا.

والذي عرفوه منه أيضاً ما أخبرنا به عليُّ بن عبد العزيز عن أبي عبيد قال: قال (أبو عمرو): «اسْجُدْ الرَّجُلُ: طَاطَأَ وَأَنْحَنَى» قال حُمَيْدُ بْنُ ثَوْرٍ:

(١) هذا البيت من قصيدة للنابغة الذبياني وهو زياد بن معاوية مطلعها:

يا دار مية بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

وفي هذه القصيدة وصف الشاعر الذبياني «المتجردة» امرأة الملك النعمان.

(٢) الأعشى: هو ميمون بن قيس، ويعرف باسم أعشى قيس، أدرك الإسلام.

ويعرف أيضاً بالأعشى الأكبر، وصنّاعة العرب ويكنى بأبي بصير امتداحاً

وإعجاباً مع ما كان عليه من ضعف البصر. اشتهر بالخمريات والغزل.

وأشهر قصائده «اللامية» التي اعتبرها التبريزي إحدى «القصائد العشر».

(٣) هو حميد بن ثور الهلالي، قال عنه ابن قتيبة (الشعر والعشراء): «حميد بن =

فضول أزمَّتْها أسجَدت
سجودَ النصرى لأربابها.

وأنشد:

فقلن له: أسجِدْ لِلَّيْلِ، فأسجدا.
يعني البعير اذا طأطأ رأسه لِتَرْكَبَهُ.

وهذا وإن كان كذا فان العرب لم تعرفه بمثل ما أتت به الشريعة
من الأعدادِ والمواقيت والتَّحريم للصلاة، والتَّحليل منها.

وكذلك القيام أصله عندهم الامساك ويقول شاعرهم:

خَيْلٌ صِيَامٌ، وأخرى غير صائمة
تحت العجاج، وخيلٌ تعلقُ اللُّجْما

ثم زادت الشريعة النيّة، وحظرت الأكلَ والمباشرة وغير ذلك من
شرائع الصوم.

وكذلك الحجّ، لم يكن عندهم فيه غير القصد، وسبّر الجراح.
من ذلك قولهم:

وأشهدُ من عوفٍ حلُولا كثيرةً،
يَحجُّون سبَّ الزَّبْرِقانِ المُزْعَفْزا.

ثم زادت الشريعة ما زادته من شرائط الحج وشعائره^(١).

= ثور.. من بني عامر بن صعصعة، إسلامي مجيد». وله غير قليل من الشعر
الجيد كقوله:

أرى بصري قد رأيتني بعدَ صحّةٍ وحسبك داءً أن تصحّ وتسلمنا
(١) الشعائر: جمع الشعيرة، العلامة وشعائر الحج: مناسكه ومعالمه وأعماله.

وكذلك الزكاة، لم تكن العرب تعرفها إلا من ناحية النماء، وزاد
الشرع ما زاده فيها مما لا وجه لاطالة الباب بذكره.
وعلى هذا سائر ما تركنا ذكره من العمرة والجهاد وسائر أبواب
الفقه.

فالوجه في هذا إذا سُئل الانسان عنه أن يقول: في الصلاة
اسمان لغويٌّ وشرعيٌّ^(١)، ويذكر ما كانت العرب تعرفه، ثم ما جاء
الاسلام به. وهو قياس ما تركنا ذكره من سائر العلوم، كالنحو
والعروض والشعر: كل ذلك له اسمان لغويٌّ وصناعيٌّ^(٢).

باب القول في حقيقة الكلام

زعم قوم أن «الكلام ما سُمع وفُهم» وذلك قولنا: «قام زيد»
و«ذهب عمرو».

وقال قوم: «الكلام حروف مؤلّفة دالة على معنى».

والقولان عندنا متقاربان، لأن المسموع المفهوم لا يكاد يكون
إلا بحروف مؤلّفة تدل على معنى.

وقال لي بعض فقهاء بغداد: إن الكلام على ضربين مهمّل
ومستعمل. قال: فالمهمّل: «هو الذي لم يوضع للفائدة» والمستعمل:
«ما وضع ليفيد» فأعلمته أن هذا كلام غير صحيح، وذلك أن المهمّل

(١) الشرعيّ: نسبة إلى الشرعة أو الشريعة وهي ما شرّع الله لعباده من السنن
والأحكام.

(٢) الصناعي: المنسوب إلى صناعة وربما فهم منه الاصطراحي، المتفق عليه.

على ضربين: ضربٌ لا يجوز ائتلاف حروفه في كلام العرب بَتَّةً^(١)، وذلك كجيم تُوَلَّف مع كاف أو كاف تقدَّم على جيم، وكعين مع غين، أو هاء مع هاء أو غين، فهذا وما أشبه لا يأتلف.

والضرب الآخر ما يجوز تألُّف حروفه لكن العرب لم تُقل عليه، وذلك كارادة مرید أن يقول: «عضخ» فهذا يجوز تألُّفه وليس بالنافر، ألا تراهم قد قالوا في الأحرف الثلاثة: «خضع» لكن العرب لم تقل عضخ، فهذان ضربا المهمل.

وله ضرب ثالث وهو أن يريد مرید أن يتكلم بكلمة على خمسة أحرف ليس فيها من حروف الذَّلَق^(٢) أو الاطِّباق^(٣) حرف.

وأى هذه الثلاثة كان فانه لا يجوز أن يسمى: «كلاماً» لما ذكرناه من أنه وإن كان مسموعاً مؤلفاً فهو غير مفيد. وأهل اللغة لم يذكرها المهمل في أقسام الكلام وإنما ذكروه في الأبنية المهملة التي لم تقل عليها العرب. فقد صح ما قلناه من خطأ من زعم أن المهمل كلام.

باب أقسام الكلام

أجمع أهل العلم أن الكلام ثلاثة: اسم وفعل وحرف.

(١) بَتَّةً وبتاتاً: قطعاً وبدون رجعة ولا عود.

(٢) الذَّلَق: البليغ الفصيح، والحروف الذَّلَق أو أحرف الدَّلَاق ستة منها ثلاثة شفهيَّة وهي: الباء والطاء والميم، وفيها ثلاثة مخرجها طرف أسلة اللسان وهي: اللام والراء والنون وتسمَّى الذولقيَّة، وقد سميت بالذَّلَق لأن الدَّلَاق في المنطق أي السرعة: إنما هي لطرف أسلة اللسان والشفيتين.

(٣) الإطِّباق: أن ترفع في النطق طرفي اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقاً له فيفخَّم نطق الحرف. وحروف الإطِّباق هي: الصَّاد، الضاد، الطاء، الظاء.

فأما الاسم - فقال سيبويه: «الاسم نحو رجل و فرس»^(١) وهذا عندنا تمثيل، وما أراد سيبويه به التحديد، إلا أن ناساً حَكُوا عنه أن «الاسم هو المحدّث عنه» وهذا شبيه بالقول الأول لأن «كيف» اسم ولا يجوز أن يحدث عنه.

وسمعت أبا عبيد الله بن محمد بن داود الفقيه يقول سمعت: (أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد)^(٢) يقول: مذهب سيبويه أن «الاسم ما صلح أن يكون فاعلاً» قال: وذلك أن سيبويه قال: «ألا ترى أنك لو قلت إن يضرب يأتينا وأشباه ذلك لم يكن كلاماً، كما تقول إن ضاربك يأتينا» قال: فدل هذا على أن الاسم عنده ما صلح له الفعل.

قال: وعارضه بعض أصحابه في هذا بأن «كيف» و«عند» و«حيث» و«أين» أسماء وهي لا تصلح أن تكون فاعلة. والدليل على أن أين وكيف أسماء قول سيبويه: «الفتح في الاسماء قولهم كيف وأين» فهذا قول سيبويه والبحث عنه.

وقال الكسائي^(٣): «الاسم ما وُصِفَ» وهذا أيضاً معارض بما قلناه من كيف وأين أنهما اسمان ولا يُعتان..

وكان الفراء يقول: «الاسم ما احتمل التنوين أو الاضافة أو

(١) سيبويه: من أبرز علماء النحو وإمام نحاة البصرة وأشهر آثاره «الكتاب في النحو». مات سنة ١٥٤ هـ (٧٧٠ م).

(٢) المبرّد (أبو العباس): من أئمة المذهب البصري في اللغة والنحو. درس في بغداد. وكان نذاً لثعلب إمام مذهب الكوفة. من مؤلفاته كتاب «الكامل» مات المبرّد سنة ٢٨٦ هـ (٨٩٨ م).

(٣) الكسائي: من كبار اللغويين.

الألف واللام» وهذا القول أيضاً مُعَارَضٌ^(١) بالذي ذكرناه أو نذكره من الأسماء التي لا تتون ولا تضاف ولا يُضاف إليها ولا يدخلها الألف واللام.

وكان الأخفش^(٢) يقول: «إذا وجدت شيئاً يحسُنُ له الفعل والصفة نحو زيد قام وزيد قائم ثم وجدته يشئ ويجمع نحو قولك: الزيدان والزيدون ثم وجدته يمتنع من التصريف فاعلم أنه اسم». وقال أيضاً: ما حَسُنَ فيه «ينفعني» و«يضرُّني».

وقال قوم: ما دخل عليه حرف من حروف الخفض. وهذا قول هشام وغيره. وله قول آخر: ان الاسم ما نودي. وكلّ ذلك مُعَارَضٌ بما ذكرناه من كيف وأين ومن قولنا: «إذا» وإذا اسم لِحِينٍ. فحدثني علي بن إبراهيم القطان قال: سمعت أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد يقول حدثني أبو عثمان^(٣) المازني قال: سألت الأخفش عن «إذا». ما الدليل على أنها اسم لِحِينٍ؟ فلم يأت بشيء. قال: وسُئِلَ الجَرْمِيُّ فَشَغِبَ. وسُئِلَ الرياشيُّ فَجَوَّدَ وقال: الدليل على أنها اسم للِحِينِ أنه يكون ضميراً، ألا ترى أنك تقول: «القتال إذا يقوم زيد» كما تقول: «القتال يوم يقوم زيد»؟ وقد أوما الفراء في معنى «إذا» الى هذا المعنى.

وعاد القول بنا الى تحديد الاسم. فقال المبرّد في كتاب

(١) مُعَارَضٌ: (اسم مفعول) من عارض: ناقض، قاوم.

(٢) الأخفش: من مشاهير النحاة.

(٣) أبو عثمان بكر المازني: من لغويي البصرة. أخذ العلم عن أبي عبيدة والأصمعي، وأخذ عنه كثيرون منهم: المبرّد، والرياشي والتبريزي، من آثاره كتاب «التصريف» توفي سنة ٢٤٨ هـ (٨٦٢ م).

(المُقْتَضَبُ): كل ما دخل عليه حرف من حروف الجر فهو اسم فان امتنع من ذلك فليس باسم. وهذا معارض أيضاً وكيف وإذا وهما اسمان لا يدخل عليهما شيء من حروف الجر.

وسمعت أبا بكر محمد بن أحمد البصير وأبا محمد سَلَمَ بن الحسن يقولان: سُئِلَ الرَّجَاجُ^(١) عن حد الاسم فقال: صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غير دال على زمان ولا مكان. وهذا القول معارض بالحرف وذلك أنا نقول «هل» و«بل» وهو صوت مُقَطَّع مفهوم دالٌّ على معنى غير دال على زمان ولا مكان.

وقول من قال: «الاسم ما صَلَحَ أن ينادى» خطأ أيضاً لأن كيف اسم وأين وإذا، ولا يَصْلُحُ أن يقع عليها نداء.

قال أحمد بن فارس: هذه مقالات القوم في حد الاسم يُعارضها ما قد ذكرته. وما أعلم شيئاً مما ذكرته سلم من معارضة. والله أعلم أيُّ ذلك أصح. وذكر لي عن بعض أهل العربية أن «الاسم ما كان مُسْتَقَرّاً على المسمّى وقت ذكرك إيّاه ولازماً له» وهذا قريب.

(١) الزجّاج: هو ابراهيم الزجّاج، سمي كذلك لأنه كان يقطع الزجاج. درس اللغة على يد المبرد، وتلمذ له بعد ذلك كثيرون منهم الوزير القاسم بن سليمان الذي جعله من كتابه المؤتمنين على شؤونه. توفي سنة ٣١١ هـ (٩٢٣ م).

باب الفعل

قال الكسائي^(١): «الفعل ما دلَّ على زمان».

وقال سيبويه: «أما الفعل فأمثلةٌ أُخِذَتْ من لفظِ أَحْدَاثِ الأَسْمَاءِ وَبُنِيَتْ لما مَضَى، وما يَكُونُ ولم يَقَع، وما هو كائِن لم يَنْقَطِع» فيقال لسيبويه: ذَكَرْتَ هذا في أوَّلِ كِتَابِكَ وَزَعَمْتَ بَعْدَ أَنْ «لَيْسَ» و«عَسَى» و«نَعَمْ» و«بِشَسْ» أفعال، ومعلومٌ أَنها لم تُؤَخَّذْ من مِصادر. فإن قلت: إِنِّي حَدَدْتُ أَكْثَرَ الفِعلِ وَتَرَكْتُ أَقْلَهُ قِيلَ لَكَ: إِن الحدَّ عِنْدَ النُّظَّارِ ما لم يَزِدِ المَحْدودَ ولم يَنْقُصَهُ ما هو له.

وقال قوم «الفعل ما امتنع من التثنية والجمع». والرَّدُّ على أصحاب هذه المقالة أن يقال: إن الحروف كلها ممتنعة من التثنية والجمع وليست أفعالاً.

وقال قوم: «الفعل ما حَسُنَتْ فِيهِ التَّاءُ نَحْوَ قَمْتُ وَذَهَبْتُ»، وهذا عِنْدنا غَلَطٌ لأنَّنا قد نَسَمِيهِ فِعْلاً قَبْلَ دُخولِ التَّاءِ عَلَيْهِ.

وقال قوم «الفعل ما حَسُنَ فِيهِ أَمْسٌ وَغَدًا» وهذا على مذهب البصريين غير مستقيم، لأنهم يقولون أنا قائم غداً، كما يقولون أنا قائم أمس.

والذي نذهب إليه ما حكيناه عن الكسائي من أن «الفعل ما دلَّ على زمان كخرج ويخرج» دلَّنا بهما على ماضٍ ومستقبل.

(١) الكسائي: ورد ذكره سابقاً.

باب الحرف

قال (سَيَّبَوِيهِ): وأما ما جاء لمعنى، وليس باسم ولا فعل، فنحو «ثُمَّ» و«سَوْفَ» و«واو القسم» و«لام الإضافة».

وكان (الأخْفَشُ) يقول: ما لم يحسُنْ له الفعل ولا الصفة ولا التثنية ولا الجمع ولم يَجُزْ أن يَتَصَرَّفَ - فهو (حرف).

وقد أكثر أهل العربية في هذا، وأقرب ما فيه ما قاله سيبويه، إنه الذي يفيد معنى ليس في اسم ولا فعل. نحو قولنا «زيدٌ منطلقٌ» ثم نقول «هل زيدٌ منطلق؟» فأفدنا بـ«هل» ما لم يكن في «زيد» ولا «منطلق».

باب أجناس الأسماء

قال بعض أهل العلم:

الأسماء خمسة - (اسم فارق) و (اسم مفارق) و (اسم مشتق) و (اسم مضاف) و (اسم مُقتَضٍ).

فالفارق: قولنا «رجل» و«فرس»، فرقنا بالاسمين بين شخصين. والمفارق: قولنا «طفل»، يفارقه إذا كبر.

والمشتق: قولنا «كاتب» وهو مشتق من «الكتابة» ويكون هذا على وجهين: أحدهما مَبْنِيًّا على فَعَلَ وذلك قولنا «كتب فهو كاتب»، والآخر يكون مشتقاً من الفعل غير مَبْنِيٍّ عليه كقولنا «الرحمن» فهذا مشتق من «الرحمة» وغير مَبْنِيٍّ من «رحم».

وكل ما كان من الأوصاف أبعد من بنية الفعل فهو أبلغ، لأن «الرحمن» أبلغ من «الرحيم» لأننا نقول «رَجِمَ فهو راحم ورحيم» ونقول «قَدَّرَ فهو قادرٌ وقدير». وإذا قلنا «الرحمن» فليس هو من

«رَحِمَ» وإنما هو من «الرَّحْمَةِ». وعلى هذا تجري النعوت كلها في قولنا «كاتب» و«كَنَاب» و«ضارب» و«ضَرُوب».

والمضاف: قولنا «كَلَّ» و«بعض» لا بدُّ أن يكونا مضافين.

والمُقتضي: قولنا «أخ» و«شريك» و«ابن» و«خَصَم» كلُّ واحد منها إذا ذكر اقتضى غيره، لأن الشريك مُقتضٍ شريكاً والأخ مُقتضٍ آخر. وقال بعض الفقهاء:

أسماء الأعيان خمسة: (اسم لازم) و(اسم مُفارق) و(اسم مُشتق) و(اسم مُضاف) و(اسم مُشبه).

فاللزام: «إنسان» و«سما» و«أرض» لأن هذه الأسماء لا تنتقل من مُسمياتها.

قال: والمُفارق: اللقب الذي يُسمى نحو «زيد» و«عمرو». وقد يقع أيضاً بأن يقال: المفارق «الطفل» لأنه اسم يزول عنه بكبره. والمشتق: كـ «دابة» و«كاتب».

والمضاف: قولنا «ثوبُ عمرو» و«جزءُ الشيء».

والمشبه: قولنا «رَجُلٌ حَدِيدٌ وَأَسَدٌ» على وجه التشبيه.

قال: وجماعها أنها وُضعت للدلالة بها.

قلنا: وهذه قسمة ليست بالبعيدة.

باب النعت

النَّعْتُ: هو الوصف كقولنا: «هو عاقل» و«جاهل».

وذكر عن (الخليل)^(١) أن النعت لا يكون إلا في محمود، وأن

(١) هو الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو من عباقرة العرب، استنبط علم =

الوصف قد يكون فيه وفي غيره .

والنعتُ: يجري مَجْرِيَّين: أحدهما تخلص اسم من اسم كقولنا «زيد العطار» و«زيد التميمي» خالصناه بنعته من الذي شاركه في اسمه . والآخر على معنى المدح والذم نحو «العاقل» و«الجاهل» .

وعلى هذا الوجه تجري أسماء الله جلَّ وعزَّ، لأنه المحمود المشكور المثني عليه بكلِّ لسان، ولا سَمِيَّ له - جلَّ اسمه - فيخلص اسمه من غيره .

باب القول على الاسم

من أي شيء أخذ؟

قال قوم: الأسماء سِمَاتٌ^(١) دالَّةٌ على المُسمَّيات، يُعرَف بها خطاب المخاطب .

وهذا الكلام محتمل وجهين: أحدهما أن يكون الاسم سِمَةً كالعلامة والسيما^(٢) . والآخر أن يقال: إنه مشتق من «السِّمة» . فإن أراد القائل أنها سِمَات على الوجه الأول - فصحيح . وإن كان أراد الوجه الثاني - فحدثني أبو محمد سلَّم بن الحسن البغدادي قال: سمعت (أبا إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج) يقول: معنى قولنا «اسمٌ» مشتق من «السمو» والسمو الرفعة . فالأصل فيه «سِمُو» على وزن جِمْل وجمعه «أسماء» مثل قولك قَتَوْ وأقناء . وإنما جعل الاسم تنويهاً ودلالة على المعنى لأن المعنى تحت الاسم . ومن قال: إن

= العروض، ووضع أول معجم لغوي باسم «العين» . من تلامذته سيبويه والأصمعي . كانت وفاته في البصرة سنة ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) .

(١) سمات: جمع سمة: علامة .

(٢) السيماء: الهيئة، وبالمعنى ذاته: السُومة، والسِيمة والسومة .

اسماً مأخوذ من «وَسَمْتُ» فهو غلط؛ لأنه لو كان كذا لكان تصغيره «وُسَيْمٌ» كما أن تصغير عِدَّة وِصْلَةٍ: وُعَيْدَةٌ وُوصِيْلَةٌ.

قال أبو إسحاق: وما قلناه في اشتقاق «اسم» ومعناه - قول لا نعلم أحداً فسَّرَه قبلنا.

قلت: وأبو إسحاق ثقة. غير أنني سمعت أبا الحسين أحمد بن عليّ الأحول يقول سمعت أبا الحسين عبدالله بن سفيان النحوي الخزاز يقول: سمعت (أبا العباس محمد بن يزيد المبرّد) يقول: الاسم مُشتق من «سما» إذا علا.

قال: وكان أبو العباس ربما اختصني بكثير من علمه فلا يُشركني فيه غيري.

باب آخر في الأسماء

قد قلنا فيما مضى ما جاء في الإسلام من ذكر المسلم والمؤمن وغيرهما.

وقد كانت حدثت في صدر الإسلام أسماء، وذلك قولهم لمن أدرك الإسلام من أهل الجاهلية «مُخَضَّرَمٌ». فأخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد مولى بني هاشم قال: حدثنا محمد بن عباس الخُشِكِي عن (اسماعيل بن أبي عبيدالله) قال: المخضرمون من الشعراء: من قال الشعر في الجاهلية ثم أدرك الإسلام.

فمهنم (حسان بن ثابت) و(ليبد بن ربيعة) و(نابغة بني جعدة) و(أبو زيد) و(عمرو بن شاس) و(الزُّبْرُقَان بن بدر) و(عمرو بن معدي كرب) و(كعب بن زهير) و(معن بن أوس).

وتأويل المخضرم: من خَضَّرَمَت الشيء أي قطعتة، وخَضَّرَمَ فلان عطيته أي قطعها، فسمي هؤلاء «مخضرمين» كأنهم قطعوا من

الكفر إلى الإسلام. وممكن أن يكون ذلك لأن ربتهم في الشعر نقصت لأن حال الشعر تكامت^(١) في الإسلام لما أنزل الله جل ثناؤه من الكتاب العربي العزيز. وهذا عندنا هو الوجه، لأنه لو كان من القطع لكان كل من قطع إلى الإسلام من الجاهلية مخضراً، والأمر بخلاف هذا.

ومن الأسماء التي كانت فزالت بزوال معانيها قولهم: المِرباع، والنَّشِيطَة، والفُضُول، ولم نذكر الصَّفيَّ لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قد اصطفى في بعض غزواته وخُصَّ بذلك، وزال اسم الصَّفيِّ لما توفي رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم.

ومما تُرك أيضاً: الأتاوة، والمَكْسُ، والحُلوان. وكذلك قولهم: إنعم صباحاً، وأنعم ظلاماً. وقولهم للملك: أبيت اللعن. وتُرك أيضاً قول المملوك لمالكة: ربِّي. وقد كانوا يخاطبون ملوكهم بالأرباب. قال الشاعر:

وَأَسْلَمَنَ فِيهَا رَبِّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ
وَرَبِّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرَعَرٍ^(٢).

وتُرك أيضاً تسمية من لم يحجَّ «صَرورَةً». فحدثنا علي بن

(١) تكامت: توارت من كمن كمونا: أصابته الكمنة أي الاختفاء والتواري والذي قصد إليه ابن فارس التنويه بالمنزلة التي احتلها القرآن الكريم الذي كان له تأثيره على حالة الشعر وما أصابه من فتور.

(٢) خبت وعرعر: موضعان. جاء في معجم البلدان نقلاً عن أبي عمرو: الخبت سهل في الحرّة. وقال آخرون: هو علم على صحراء بين مكّة والمدينة. وخبت ماء لكلب، وقرية باليمن - (انظر معجم البلدان ٣٩٢/٢) - والعرعر: جبل ورد ذكره في شعر الأخطل. وقيل: هو واد قرب عرفة. وقيل أيضاً: هو موضع في بلاد هذيل (انظر معجم البلدان: ١١٦/٤).

إبراهيم عن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد - في حديث الأعمش - عن عمرو بن مُرة عن أبي عبيدة عن (أبي موسى) قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم «لا صُرُورَةَ في الإسلام» ومعنى ذلك فيما يقال: هو الذي يَدْعُ النكاح تَبْتَلًا^(١). حدثني علي بن أحمد بن الصَّبَّاح قال: سمعت (ابن دُرَيْد) يقول: أصل الصُّرُورَة أن الرجل في الجاهلية كان إذا أحدث حدثاً فلدجاً إلى الحرم لم يُهَجِّج وكان إذا لقيه وليّ الدم في الحرم قيل: هو صُرُورَة فلا تهجه. ثم كثر ذلك في كلامهم حتى جعلوا المتعبد الذي يجتنب النساء وطيب الطعام: صرورة وصرورياً، وذلك عَنَى النابغة بقوله:
صُرُورَة متعبد^(٢).

أي منقبض عن النساء. فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام وأوجب إقامة الحدود بمكة وغيرها سَمِّي الذي لم يَحْجِّج «صُرُورَة» خلافاً لأمر الجاهلية، كأنهم جعلوا أن تركة الحجّ في الإسلام كترك المُتَأَلَّه^(٣) إتيان النساء والتنعّم في الجاهلية.

ومما ترك أيضاً قولهم: الإبل تُساق في الصُّدَاقِ النُّوافِجِ^(٤). على أن من العرب من كان يكره ذلك. قال شاعرهم:

وليس بِلادِي من وِراثة والسدي،

(١) التبتل: الانقطاع عن الدنيا إلى الله، والتبتل: ترك الزواج.

(٢) ورد هذا في بيت للنابغة يصف «المتجرّدة» وهو قوله:

أو أنّها عَرَضَتْ لأشْمَطَ راهب عبد الآله صرورة متعبد

(٣) المتأله: اسم فاعل من تأله ومن معاني التأله: التعبد والتنسك وهو المقصود

في النص. والمتأله أيضاً: تكلف الألوهية، وتأله: صار إلهاً.

(٤) النوافج: جمع النافجة: السحابة الكثيرة المطر، وأيضاً: الريح تبدأ بشدة،

والبنت لأنها تعظم مال أبيها بمهرها.

ولا شانَ مالي مُستفادَ النوافِجِ .

وكانوا يقولون: «تَهْنِكُ النَّافِجَةُ»^(١) مع الذي ذكرنا من كراهة ذوي أقدارهم لها وللعقول. قال (جندل الطهوي):

وَمَافِكُ رِقي ذاتُ خَلقِ خَبَرَنجِ
ولا شانَ مالي صدقَةٌ وعقولُ .

ولكن نماني كلُّ أبيض صارم ،
فأصبحتُ أدري اليومَ كيف أقولُ .

ومما كرهه في الإسلام من الألفاظ قول القائل: «خَبِثَتْ نَفْسِي»
قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا يقولنَّ أحدكم خَبِثَتْ
نَفْسِي» .

وكرهه أيضاً أن يقال: استأثر الله بفلان .

ومما كرهه العلماء قول من قال: سُنَّةُ أَبِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ، إنما
يقال: فَرَضُ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ وَسُنَّتُهُ، وسنة رسول الله صلى الله تعالى عليه
وآله وسلم .

ومما كانت العرب تستعمله ثم ترك قولهم: حَجْرًا مَحْجُورًا .
وكان هذا عندهم لمعنيين: أحدهما عند الجِرْمَانِ إذا سُئِلَ الْإِنْسَانُ
قال: حَجْرًا مَحْجُورًا، فيعلم السائل أنه يريد أن يحرمه . ومنه قوله:

حَنْتُ إِلَى النَّخْلَةِ الْقُصُوى فقلت لها:
حَجْرٌ حَرَامٌ أَلَا تَلِكِ الدَّهَارِيسُ .

والوجه الآخر: الاستعاذة . كان الإنسان إذا سافر فرأى من يخافه

(١) وتهنتك، على الخير .

قال: حَجْرًا محجوراً. أي حرام عليك التعرّض لي. وعلى هذا فُسِّر قوله عزوجل ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ، ويقولون: حَجْرًا محجوراً﴾^(١) يقول المجرمون ذلك كما كانوا يقولونه في الدنيا.

باب ما جرى مجرى الأسماء وإنما هي ألقاب

ومما جرى مجرى الاسم وهو لقب قولهم: مُدْرِكَةٌ وطابخة. وذلك في العرب على ثلاثة أضرب: ضربٌ مدح، وضربٌ ذم، وضربٌ تلقب الإنسان لفعل يفعله.

فالمدح: تلقيبهم البَحْرَ والحَبْرَ والباقر والصادق والديباج وغيرهم.

والذم: فكتلقيبهم بالوَزغ^(٢) ورَشح الحَجْر وما أشبه ذلك.

وأما اللقب المأخوذ من فعل يُفعل - فكطابخة ومُدْرِكَةٌ.

وقوله جلّ ثناؤه ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾^(٣) فقال (قتادة): هو أن تقول للرجل: يا فاسق يا منافق.

وروى الشَّعْبِيُّ عن (أبي جُبَيْرَةَ بن الضحّاك) - وأبو جبيرة رجل من الأنصار من بني سلمة - قال: فينا أنزلت هذه الآية. وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قَدِمَ علينا، وليس منا رَجُلٌ إلّا له

(١) القرآن الكريم: سورة الفرقان: الآية ٢٢.

(٢) الوزغ: الرجل الجبان الفشيل، جمع أوزاغ. والأوزاغ: الضعفاء.

(٣) تنابزوا بالألقاب: تعابروا ولقب بعضهم بعضا.

لقبان أو ثلاثة فجعل بعضنا يدعو بعضاً بلقبه، فسمع ذلك رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فجعل هو أحياناً يدعو الرجل ببعض تلك الألقاب، ف قيل له: يا رسول الله إنه يغضب من هذا، فأنزل الله جل ثناؤه ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ﴾.

وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد - فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سَمَاه بما يراه أو يسمعه مما يُتَقَالُ به، فإن رأى حَجْرًا أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر. وإن رأى ذئبًا تأوّل فيه الفطنة والنكر والكسب. وإن رأى حماراً تأوّل فيه طول العُمر والوقاحة. وإن رأى كلباً تأوّل فيه الحراسة ويُعَدّ الصوت والإلف. وعلى هذا يكون جميع ما لم نذكره من هذه الأسماء.

باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص على المُجَاوَرَة والسَّبب.

قال علماؤنا: العرب تسمي الشيء باسم الشيء إذا كان مجاوراً له أو كان منه بسبب. وذلك قولهم «التيّم» لَمَسَحَ الوجه من الصعيد، وإنما التيّم الطلب والقصد. يقال: تيممتك وتأممتك أي تعمدتك.

ومن ذلك تسميتهم السحاب «سماء» والمطر «سماء» وتجاوزوا ذلك إلى أن سموا النبات سماء. قال شاعرهم:
إذا نَزَلَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ

وربما سموا الشحم «ندى» لأن الشحم عن النبات، والنبت عن الندى قال (ابن أَحْمَرَ):

كثور العذاب الفَرْدُ يَضْرِبُهُ النَّدى

تَعَلَّى النَّدَى فِي مَتْنِهِ وَتَحَدَّرَا

ومن هذا الباب قول القائل:

قد جعلتُ نفسي في أديمٍ

أراد بالنفس الماء وذلك قوامَ النفس بالماء.

وذكر ناس أن من هذا الباب قوله جل ثناؤه ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾^(١) يعني خلق. وإنما جاز أن يقول أنزل لأن الأنعام لا تقوم إلا بالنبات والنبات لا يقوم إلا بالماء، والله جل ثناؤه ينزل الماء من السماء. قال: ومثله ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾^(٢) وهو جل ثناؤه إنما أَنْزَلَ الماء، لكن اللباس من القطن، والقطن لا يكون إلا بالماء. قال: ومنه قوله جل ثناؤه ﴿وَلِيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾^(٣) إنما أراد والله أعلم - الشيء يُنَكِّحُ به من مَهْرٍ وَنَفَقَةٍ، ولا بد للمتزوج به منه.

باب القول في أصول أسماء

قِيَسَ عَلَيْهَا وَالْحَقُّ بِهَا غَيْرُهَا

كان (الأصمعي) يقول: أصل «الورد» إتيان الماء، ثم صار إتيانُ كلِّ شيء ورداً. و«القرب» طلبُ الماء. ثم صار يقال ذلك لكل طلب، فيقال: «هو يَقْرَبُ كذا» أي يطلبه و«لا تَقْرَبُ كذا».

ويقولون: «رَفَعَ عَقِيرَتَهُ» أي صوته، وأصل ذلك أن رَجُلًا عَقِرَتْ

(١) القرآن الكريم: سورة الزمر: الآية ٦.

(٢) القرآن الكريم: سورة الأعراف: الآية ٢٥.

(٣) القرآن الكريم: سورة النور: الآية ٣٣.

رجله فرفعها وجعل يَصِيحُ بأعلى صوته فقبل بعد ذلك لكل من رفع صوته: رفع عقيرته.

ويقولون: «بينهما مسافة» وأصله من «السَّوف» وهو الشم. ومثل هذا كثير.

قلنا: وهذا الذي ذكرنا عن (الأصمعي) وسائر ما تركنا ذكره لشهرته فهو راجع إلى الأبواب الأول، وكل ذلك عندنا توقيف على ما احتجنا له.

وقول هؤلاء: إنه كَثُرَ حتى صار كذا، فعلى ما فسرناه من أن الفرع مُوقَّفٌ عليه، كما أن الأصل مُوقَّفٌ عليه.

باب الأسماء كيف تقع على المسميات

يُسَمَّى الشيطان المختلفان بالاسمين المختلفين، وذلك أكثر الكلام كَرَجُلٍ وِفَرَسٍ.

وتُسَمَّى الأشياء الكثيرة بالاسم الواحد، نحو: «عين الماء» و«عين المال» و«عين السحاب»^(١).

ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة. نحو: «السيف والمهتد والحسام».

والذي نقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو «السيف» وما بعده من الألقاب صفات، ومذهبنا أن كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى.

(١) لابن فارس أبيات أثبتناها في المقدمة، استعمل فيها لفظة «العين» في أكثر معانيها.

وقد خالف في ذلك قوم فزعموا أنها وإن اختلفت ألفاظها فإنها ترجع إلى معنى واحد. وذلك قولنا: «سيف وعضب وحسام».

وقال آخرون: ليس منها اسم ولا صفة إلا ومعناه غير معنى الآخر. قالوا: وكذلك الأفعال. نحو: مضى وذهب وانطلق. وقعد وجلس. ورقد ونام وهجع. قالوا: ففي «قعد» معنى ليس في «جلس» وكذلك القول فيما سواه.

وبهذا نقول، وهو مذهب شيخنا أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب.

واحتج أصحاب المقالة الأولى بأنه: لو كان لكل لفظة معنى غير معنى الأخرى لما أمكن أن يعبر عن شيء بغير عبارته. وذلك أنا نقول في «لا ريب فيه»: «لا شك فيه» فلو كان «الريب» غير «الشك» لكانت العبارة عن معنى الريب بالشك خطأ. فلما عبر عن هذا بهذا علم أن المعنى واحد.

قالوا: وإنما يأتي الشعر بالاسمين المختلفين للمعنى الواحد في مكان واحد تأكيداً ومبالغة. كقولهم:

وهند أتى من دونها النَّايُّ والبُعْدُ^(١).

فقالوا: فالنَّايُّ هو البعد قالوا: وكذلك قول الآخر إن الحبس هو الأضرُّ.

ونحن نقول: إن في قعد معنى ليس في جلس. ألا ترى أنا نقول «قام ثم قعد» و«أخذهُ المقيمُ والمقعدُ» و«قعدت المرأة عن

(١) هذا شطر من بيت للحطيئة يقول فيه:

ألا حبذا هند وأرض بها هندُ وهند أتى من دونها النَّايُّ والبعدُ

الحيض». ونقول لناس من الخوارج «قَعْدٌ» ثم نقول: «كان مضطجماً فجلس» فيكون القعود عن قيام والجلوس عن حالة هي دون الجلوس لأن «الجلْسَ: المرتفع» فالجلوس ارتفاع عما هو دونه. وعلى هذا يجري الباب كله.

وأما قولهم: إن المعنيين لو اختلفا لما جاز أن يُعبر عن الشيء بالشيء. فإننا نقول: إنما عُبر عنه من طريق المشاكلة، ولسنا نقول إن اللفظتين مختلفتان، فيلزمنا ما قالوه. وإنما نقول إن في كل واحدة منهما معنىً ليس في الأخرى.

ومن سُنن العرب في الأسماء أن يسمّوا المتضادّين باسم واحد. نحو «الجَوْن» للأسود و«الجَوْن» للأبيض. وأنكروا ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيء وضده.

وهذا ليس بشيء. وذلك أن الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي السيف مهنّداً والفرس طِرفاً هم الذين رَوَوْا أن العرب تُسمي المتضادّين باسم واحد.

وقد جردنا في هذا كتاباً ذكرنا فيه ما احتجوا به، وذكرنا ردّ ذلك ونقصه، فلذلك لم نكرره.

من ذلك «المائدة» لا يقال لها مائدة حتى يكون عليها الطعام لأن المائدة من «مادني يميّدي» إذا أعطاك. وإلا فاسمها «خَوَان».

وكذلك «الكأس» لا تكون كأساً حتى يكون فيها شراب. وإلا فهو «قدح» أو «كوب».

وكذلك «الحلّة» لا تكون إلاّ ثوبين: إزار ورداء من جنس واحد فإن اختلفا لم تُدع حلّة.

ومن ذلك «الظَّعِينَةَ» لا تكون ظعينة حتى تكون امرأة في هودج على راحلة.

ومن ذلك «السَّجَلُ» لا يكون سجلاً إلا أن يكون دلواً فيه ماء. و«اللَّحِيَةَ» لا تكون لحية إلا شعراً على ذَقْنٍ وَلَحْيَيْنِ^(١).

ومن ذلك «الأرِيكَةُ» وهي الحَجَلَةُ على السرير لا تكون إلا كذا. فسمعت علي بن إبراهيم يقول سمعت ثعلباً يقول: الأريكة لا تكون إلا سريراً مُتَّخِذاً في قبة عليه شِوَارُهُ وَنَجْدُهُ^(٢).

وكذلك «الذَّنُوبُ» لا تكون ذنوباً إلا وهي ملاءى، ولا تسمى خالية ذنوباً.

ومن ذلك «القلم» لا يكون قلماً إلا وقد بُرِيَ وأُصْلِحَ، وإلا فهو أنبوبة.

وسمعت أبي يقول: قيل لأعرابي «ما القلم؟» فقال: «لا أدري» فقيل له «تَوَهَّمْهُ» فقال: «هو عود قُلْمٍ من جانبه كتقليم الأظفور^(٣) فُسِّمِيَ قَلْماً».

ومن ذلك «الكوب» لا يكون إلا بلا عروة.

و«الكوز» لا يكون إلا بعروة.

(١) مثنى اللحي (يفتح اللام): عظم الحنك الذي عليه الأسنان.

(٢) الشوار: الزينة - النجد: ما يزين به البيت من الأثاث والرياش، والجمع نجاد.

(٣) الأظفور: الظفر والجمع أظفير، بوزن عصفور (مفعول).

باب الاسمين المصطلحين

أخبرنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبدالعزيز عن أبي عبيد
قال، قال الأصمعي: إذا كان أخوان أو صاحبان وكان أحدهما أشهر
من الآخر سُمياً جميعاً باسم الأشهر، قال الشاعر:

ألا مَنْ مُبْلِغُ «الْحُرَيْنِ» عني
مُغْلَفَةٌ وَخُصَّ بِهَا أُبَيًّا؟

واحدهما هو (الحُرّ). وكذلك الزَّهْدَمَانِ والثَّعْلَبَتَانِ^(١).

ويكون ذلك في الألقاب كقولهم لِقَيْسٍ وَمَعَاوِيَةَ ابْنِي مَالِكِ بْنِ
حَنْظَلَةَ «الْكُرْدُوسَانَ» وَلَعَبَسَ وَذُبْيَانَ «الأَجْرِبَانَ».

وَذَكَرَ الأبوابَ بطولها. وإنما نذكر من كل شيء رسماً لشهرته.

باب في زيادات الأسماء

ومن سُنن العرب الزيادة في حروف الاسم، ويكون ذلك إما
للمبالغة وإما للتشويه والتقييح.

سَمِعْتُ مَنْ اتَّقَى بِهِ قَالَ: تَفْعَلُ الْعَرَبُ ذَلِكَ لِلتَّشْوِيهِ، يَقُولُونَ
لِلْبَعِيدِ مَا بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ الْمَفْرُطِ الطُّولِ «طِرْمَاحٍ» وَإِنَّمَا أَصْلُهُ مِنْ

(١) الزهدمان: أخوان اسم الواحد منهما: (زهدم) والثاني: (كروم).

ومن هذا القبيل: الدحرضان وهما اسم موضعي ماء الواحد (دحرض)
والثاني (وشيع). يقول قيس بن زهير في الزهدمان:

جزاني الزهدمان جزاء سوء وكنت المرء أجزي بالكرامة

وقال عنترة بن شداد في (الدحرضان):

شربت بماء الدحرضين فأصبحت زوراء تنفر عن حياض الديلم

«الطَّرَح» وهو البعيد، لكنه لما أفرط طوله سُمي طرفمًا حًا، فشَوّه الاسم لما شوهت الصورة. وهذا كلام غير بعيد.

ويجيء في قياسه قولهم «رَعَشَنُ» للذي يرتعش و«خَلْبَنُ» و«زُرْقُمُ» للشديد الزُّرق و«صِلْدِمُ» للناقة الصُّلبة، والأصل صَلْد و«شَدَقَمُ» للواسع.

ويكون من الباب قولهم للكثيرة التَّسْمُع والتَّنْظَر «سِمَعْنَةٌ، نِظْرَنَةٌ».

ومن الباب: كبير وكُبَّار وكُبَّار. وطُوَال وطُوَال.

باب الحروف

قال أحمد بن فارس: هذا باب يصلح في أبواب العربية، لكني رأيت فقهاءنا يذكرون بعض الحروف في كتب الأصول، فذكرنا منها ما ذكرناه على اختصار.

فأصل الحروف - الثمانية والعشرون التي منها تأليف الكلام كله. وتتولَّد بعد ذلك حروف كقولنا: «اضْطَبِر» و«ادَّكِر» تولَّدت الطاء لعلَّة، وكذلك الدال.

فأول الحروف (الهمزة)، والعرب تنفرد بها في عُرْض الكلام مثل «قرأ» ولا يكون في شيء من اللغات إلا ابتداءً.

وممَّا اختصت به لغة العرب (الحاء) و(الطاء). وزعم ناس أن (الضاد) مقصورة على العرب دون سائر الأمم.

قال أبو عبيدة: وقد انفردت العرب بالألف واللام اللتين

للتعريف، كقولنا: «الرجل» و«الفرس» فليسا في شيء من لغات الأمم غير العرب.

باب ذكر دخول (ألف التعريف ولامه) في الاسماء

تدخل ألف التعريف ولامه على اسمين: متمكن وغير متمكن فالذي هو غير متمكن «الذي» و«التي». والمتمكن قولنا: «رجل» ثم يكون ذلك للجنس والتعريف. فالأول قولنا «رجل» لِمُنْكَوْرٍ، فإذا عُهد مرة قيل «الرجل». والجنس قولنا «كثر الدينار والدّرهم» و«الذئب أخشاه إن مررت به» لا يريد به ذيباً بعينه، إنما يريد أنه يخشى هذا الجنس من الحيوان.

ويكون الألف واللام بمعنى (الذي) كقولنا «جاءني الضاربُ عمراً» بمعنى الذي ضرب عمراً.

وربما دخلا على الاسم وضعاً، لا لجنس ولا لشيء من المعاني كقولنا «الكوفة» و«البصرة» و«البشر» و«الثرثار»^(١).

وربما دخلا للتفخيم نحو «العباس» و«الفضل». وهذان هما اللذان يدخلان في أسماء الله - جلّ وعزّ - وصفاته.

باب (الألف المُبتدأ بها)

يقولون: أَلِفٌ أَصْلٌ، وَأَلْفٌ وَصْلٌ، وَأَلْفٌ قَطْعٌ، وَأَلْفٌ اسْتِفْهَامٌ، وَأَلْفٌ الْمُخْبِرُ عَنْ نَفْسِهِ.

فالألف التي للأصل قولنا «أتى يأتي». وألف القطع مثل «أكرم».

(١) البشر: اسم واد، وكذلك الثرثار.

وألف الاستفهام نحو «أَخْرَجَ زيد؟». وألف المُخْبِرِ عن نفسه نحو «أنا أخرج».

وألف الوصل: تدخل على الأسماء والأفعال والأدوات. ففي الأسماء قولنا «اسم» و«ابن»، وفي الأفعال قولنا «اضرب». والتي تدخل على الأدوات مختلف فيها: قال قوم هي الألف في قولك «أيم الله». والألف التي تدخل على لام التعريف مثل «الرجل»، وهذا في مذهب أهل البصرة. وكثيراً ما سمعت (أبا سعيد السيرافي) يقول في ألف (الرجل) (ألف لام التعريف). والكوفيون يقولون (ألف التعريف ولامه) وهما مثل «هل» و«بل».

بابٌ وُجوهٌ دُخولُ (الألف) في الأفعال

دخول الألف في الأفعال لوجوه:

أحدهما - أن يكون الفعل بالألف وغير الألف بمعنى واحد نحو قولهم «رَمَيْتُ على الخمسين» و«أَزْمَيْتُ» أي زِدْتُ و«عِنْدَ العِرْقُ» إذا سال و«أَعْنَدُ».

والوجه الآخر - أن يتغير المعنيان، وإن كان الفعلان في القياس راجعين إلى أصل واحد نحو «وَعَيْتُ الحديث» و«أَوْعَيْتُ المتاع في الوعاء». ومن هذا الباب «أَسْقَيْتُهُ» إذا جعلت له سُقِيًّا و«سَقَيْتُهُ» إذا أنت سقيته.

والوجه الثالث - أن يتضادَّ المعنيان بزيادة الألف نحو «تَرَبَّ» إذا افتقرَ و«أَتَرَبَّ» إذا اسْتَعْنَى.

والوجه الرابع - أن يكون الفعلان لشيئين مختلفين، فيكون بغير

ألف لشيء وبالألف لشيء آخر. من ذلك «حَيَّ القَوْمَ بعدَ هُزالٍ» إذا حسنت أحوالهم و«أَحْيَوْا» إذا حيَّت دوابَّهم.

والوجه الخامس - أن يكون بالألف بمعنى العَرَض وبغير ألف لإنفاذ الفعل نحو «بِعْتُ الفرس» إذا أمضيت بيعه و«أَبَعْتُهُ» إذا عرضته لبيع.

والوجه السادس - أن يكون بالألف إخباراً عن مجيء وقت نحو «أَحْصَدَ الزَّرْعُ» حان له أن يُحصَد.

والوجه السابع - أن يكون دالاً على وجود شيء بصفة نحو «أَحْمَدْتُ الرَّجُلَ» إذا وجدته محموداً.

والوجه الثامن - أن يدل على إتيان فعل نحو «أَخَسَّ الرَّجُلَ» أتى بِخَسِيسٍ.

وتكون الألف للتعدية نحو «أَذْهَبْتُ زَيْدًا».

وربما كانت هذه الألف للشيء نفسه^(١)، ويكون الفاعل ذلك^(٢) بلا ألف نحو «أَقْشَعَ الغَيْمُ» و«قَشَعْتَهُ الرِّيحُ»، و«أَتَرَفَّتْ البَثْرُ» ذهب ماؤها و«تَرَفْنَاها نحنُ»، و«أَنْسَلَ رِيشُ الطائرِ» سقط و«نَسَلْتَهُ أنا»، و«أَكَبَّ عَلَى وجهه» قال الله جل ثناؤه: ﴿أَفَمَنْ يَمْشِي مَكِبًّا عَلَى وجهه﴾ و«كَبَّهُ اللَّهُ» قال الله جل ثناؤه: ﴿فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾.

(١) أي إذا كان لازماً.

(٢) عند التعدية.

باب شرح جُملةٍ تقدّمت^(١) في (ألفات الوصل)

ألفات الوصل - تكون في صدور الأسماء والأفعال والأدوات ويذكر أهل العربية أنها نيّف وأربعون ألفاً - على تكرير يقع في بعضها - لأن الذي يذكر منها في المصادر مكرّر في الأفعال.

فأما التي في الأسماء فتسَع عشرة ألفاً. وهي على ضربين: ألف في اسم لم يصدر عن فعل، فالألفات في الأسماء التي لم تصدر عن الأفعال ثمان: ألف «ابن» و«ابنة» و«اثنين» و«اثنتين» و«امريء» و«امرأة» و«اسم» وألف ثامنة. والألفات في الأسماء الصادرة عن الأفعال هي التي في «اقتطاع» و«انقطاع» و«استعطاف» و«ارتداد» و«احميرار» و«اسحنكاك» و«اقشعرار» و«اخرواط» و«اغريراء» و«اطواف» و«اثيقال». وهذه تكون في الإدراج ساكنة وإذا ابتدء بها كانت مكسورة.

وأما التي في الأفعال - فثلاث: منها في الأمر بالفعل الثلاثي. مثل «اضرب، اعلم، اقتل». ومنها في الأفعال الماضية التي صدرت عنها الأسماء المتقدم ذكرها إحدى عشرة ألفاً وهي: أفتعل، وانفعل، واستفعل، وأفعل، وأفعال، وأفعلن، وأفعلل، وأفعول، وأفعول، وأفعل، وأفعل. وقد ذكرنا ترجمة هذه الأمثلة.

ثم تقع هذه الألفات بعينها في الأفعال المستقبلية المأمور بها وهي:

أفتعل، وانفعل، واستفعل، وأفعل، وأفعال، وأفعلن، وأفعول، وأفعول، وأفعل، وأفعل، وأفعل.

(١) ورد ذكر هذه الألف سابقاً.

وقد أعلمتُ أن فيها تكريراً ليكون الباب أبلغ شرحاً.

وأما التي تقع في الأدوات - فقليلة على اختلاف فيها، وإنما هي في قولهم «أيمُ الله». والألف التي مع اللام في قولنا «الرجل». وموضع الاختلاف أن الألف في «أيمُ» مقطوعة صحيحة. وهي بالهمزة أشبه منها بألفات الوصل، إلا أن نقول «أيمُ الله» بالكسر فيكون حينئذ أشبه بألف الوصل.

والألف التي مع اللام قد تقدم ذكرها.

باب (الباء)

الباء من حروف الشفّة. ولذلك لا تأتلف مع الفاء والميم: أما الفاء فلا تقارنها بباء متقدمة ولا متأخرة. وأما الميم فلا تتقدم على الباء ملاصقةً لها بوجه. ومتأخرةً كذلك إلا في قولنا «شَبِمٌ». وقد يدخل بينهما دخيل في مثل «عَبَامٌ» وهي على الأحوال يقلُّ تألفها معها.

وهي من الحروف الأصلية، وما أعلمهم زادوها في شيء من أبنية كلامهم، إلا في حرف قاله الأغلب:
فَلَّكَ ثديها مع التُّوب

أراد «التُّوء» فزاد الباء.

والباء تكون للالصاق، وللاعتمال، وفي موضع «عن»، وفي موضع «من»، وتكون للمصاحبة، وتقع موقع «مع». وتقع موقع «في» و«على»، وتكون للبدل، ولتعديّة الفعل، وللسبب، وتكون دالةً على نفس المُخْبِرِ عنه وظاهرها يُوهِمُ أن الإخبارَ عن غيره، ومنها المُلصَّقة بالاسم والمعنى الطرح، ومنها بقاء الابتداء، ومنها بقاء القسم.

فالالصاق - قولك «مسحت يدي بالأرض». ومن أهل العربية من

يقول: «مررت بزيد» إنها للإصاق، كأنه ألصق المرور به. وكذا إذا قال: «هزأت به».

والإعْتِمَال - قولنا «كتبت بالقلم» و«ضربت بالسيف». وذكر ناس أن هذه والتي قبلها سواء.

والباء الواقعة موقع «عن» قولهم - «سألت به» إنما أردت عنه ومنه ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾. ومنه:

وسائلة بثعلبة بن سير

والباء الواقعة موقع «من» - في قوله جل ثناؤه ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ أراد منها. و:

شَرِبْتُ بِمَاءِ الدُّحْرَضِيِّينَ^(١).

وباء المصاحبة - «دخل فلان بثيابه وسيفه» وقوله عز وجل ﴿وقد دخلوا بالكفر﴾ ومنه «ذهبت به» لأنك تكون مصاحباً له.

والباء التي في موضع «في» قوله:

ما بكاء الكبير بالأطلال

والتي في موضع «على» قوله:

أرْبُ يَبُولِ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ^(٢)؟

أراد «على».

(١) ورد هذا القول في بيت من معلقة عنترة العبسي، وكامل البيت قوله: شَرِبْتُ بِمَاءِ الدُّحْرَضِيِّينَ فَأَصْبَحْتُ زوراء تنفر عن حياض الديلم يريد أن يقول: إِنَّ النَّاقَةَ شَرِبَتْ.

(٢) وكامل البيت هو: أرْبُ يَبُولِ الثَّعْلِبَانِ بِرَأْسِهِ لقد ذلّ من بالّت عليه الثعالبُ

وباء البدل - قولهم «هذا بذاك» أي عوض منه . ومنه :
قالت بما قد أراه بصيراً .

وباء تعدية الفعل - «ذهبت به» بمعنى «أذهبتة» . وقوله جلّ ثناؤه
﴿أسرى بعبده﴾ ليس من ذا ، لأن أسرى وأسرى واحد .

وباء السبب - قوله جلّ ثناؤه ﴿والذين هم به مشركون﴾ أي من
أجله . فأما قوله جلّ وعزّ ﴿وكانوا بشركائهم كافرين﴾ فمحتمل أن
يكونوا كفروا بها وتبرأوا منها . ويجوز أن تكون باء السبب ، كأنه قال :
«وكانوا من أجل شركائهم كافرين» .

والباء الدالة عن نفس المُخْبَر عنه والظاهر أنها لغيره - قولك :
«لقيت بفلان كريماً» إنما أردته هو نفسه . ومنه قوله :
ولم يَشْهَدِ الْهَيْجَا بِالْوَثِّ مُعْصِم .

أراد نفسه .

وَالزَّائِدَةُ : قولك «هَزَزْتُ بِرَأْسِي» و«لَا يَقْرَأَنَّ بِالسُّورِ» .

وباء الابتداء - قولك : «باسم الله» المعنى أبدأ باسم الله .

وباء القسم : قولك «أَقْسِمُ بِاللَّهِ» ثم يحذف «أقسم» فيقال «بالله» .

فإن أرادوا أن يُقْسِمُوا بِمُضْمَرٍ لَمْ يَقُولُوهُ إِلَّا بِالْبَاءِ يَقُولُونَ : «والله» فإذا
أضَمُّوا قَالُوا : «به لا فعلت» قال :

أَلَا نَادَتْ أُمَّةً بَارْتِحَالَ
لِتُحْزِنَنِي ، فَلَا بِكَ مَا أَبَالِي^(١) .

(١) هذا البيت أحد أبيات اختارها أبو تمام في كتاب «الحماسة» . وكلمة
بارتحال ، وردت في رواية ثانية باحتمال واللفظان بمعنى واحد .

فأما قوله جل ثناؤه ﴿وَلَمْ يَعْى بِخَلْقِهِنَّ﴾، ﴿بِقَادِر﴾ فقال قوم
الباء في موضعها وأن العرب تعرف ذلك وتفعله. قال امرؤ القيس:

فإن تَنَأَ عنها حَقَبَةً لم تُلاقِها
فإنك مما أ حَدَّثْتُ بِالْمُجْرَبِ^(١).

وقال قوم: إنما هو «بالمُجْرَبِ» بكسر الراء، ويكون معناه
«كالمُجْرَبِ» كما قال عدي:

إنني والله - فاقبل حَلْفِي -
بِأَيْلٍ كَلَّمَا صَلَّى جَأً.

قالوا: معناه «كأيل» وهو الراهب وبمنزلته في الدين والتقوى.

ومن روى بيت امرئ القيس بالفتح فالمعنى «بموضع التجريب»
كما قال جل ثناؤه: ﴿فَلَا تَحْسَبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ﴾ أي بحيث
يفوزون. وكذلك «بالمُجْرَبِ» أي بحيث جُرِّبَتْ وبحيث التجريب،
والمُجْرَبِ والتجريب واحد. كقولهم «مُمَزَّقٌ» بموضع تمزيق في قوله
جل ثناؤه ﴿وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.

(١) ورد هذا البيت في قصيدة لامرئ القيس وصف بها الجواد والصيد، وهي
القصيدة التي قالها معارضاً قصيدة ماثلة لعلقمة بن عبدة. ويروى أن الشاعرين
تباريا بطلب من أم جندب زوجة امرئ القيس. وقيل إن أم جندب حكمت
لعلقمة وأن امرأ القيس أقدم على طلاقها بسبب ذلك، فتزوجها علقمة.

بَابُ (التاء)

التاء: تزداد في الكلام أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة: فزيادتها في الأسماء أولى في نحو «تَنْضُبُ»^(١) و«تَتَّقُلُ»^(٢). وفي الفعل «تَفَعَّلَ» وما أشبهه. والثانية نحو «اقتدر». والثالثة «استفعل». والرابعة «سَنَبَتُهُ من الدهر» لأن الأصل «سَنَبَةٌ». والخامسة مثل «عفريت». والسادسة مثل «عنكبوت».

ومن التاء - تاء القسم نحو «تالله». قالوا: هي عَوْضٌ من الواو كقولهم «نُجَاه» و«تُكْلَان».

وتقع في جمع المؤنث نحو «قائمات».

وتكون بدلاً من الهاء في لغة من يقول: «ليست عندنا عروبيت».

وتاء - تدخل على «نَمَّ» و«رُبَّ» و«لا»، كقولهم نُمْتُ ورُبَّتْ ولاتٌ حِين. وناس يقولون: هي داخلة على «حين».

وتاء المؤنث: نحو «هي تفعل».

وتاء النفس: نحو «فَعَلْتُ» و«فَعَلْتِ» في المخاطبة. و«فَعَلْتِ» و«فَعَلْتُ» في الاخبار عن المؤنث.

يا قبح الله بني السعلات
عَمُرُو بن مسعود شرارِ النات^(٣)

(١) تنضب: من أنواع الشجر.

(٢) التتقل: الثعلب.

(٣) والتكملة قوله:

ليسوا أعضاء ولا أكيات.

وأما (الثاء)

فلا أعرف لها عِلَّةً، ولا تقع زائدةً.

وكذلك (الجيم)

إلا في الذي ذكرناه من اللغات المستكرهة.

و (الحاء) و (الخاء)

فلا أعرف لهما عِلَّةً.

و (الذال)

لا عِلَّةٌ لها إلا في لغة من يقلب التاء دالاً. فحدثنا عليّ عن محمد بن فرح عن سلمة عن الفراء قال: قوم من العرب يقولون: «أجدبيك» في موضع «أجتبيك» يجعلون تاء الافتعال بعد الجيم دالاً. ويقولون: «أجدمعو» وأنشد:

فقلت لصاحبي: لا تحبسانا
بنزع أصوله واجدز شيحاً.

و (الراء)

لا أعرف لها عِلَّةً.

و^(١) كذلك (الزاي)^(٢)

(١) الرازي: نسبة إلى الري وهي بلدة في فارس.
(٢) المروزي: نسبة إلى مرو، وهي أيضاً من المدن الفارسية.

وأما (السين)

فإننا تزداد في «استفعل». ويختصرون «سَوْفَ أَفْعَلُ» فيقولون «سَأَفْعَلُ».

ولا أعرف (للشين) علة غير الذي ذكرناه في الحروف المستكرهة وكذلك في الحروف التي بعدها حتى (العين).

وعلة (العين) أنها تقوم مقام الهمزة في لغة (بني تميم) يقولون: «علمت عَنِّ ذاك» كأنما أراد «أَنَّ».

وكذلك الحروف التي بعدها حتى (الفاء).

باب (الفاء)

قال البصريون «مررت بزيد فعمرو: الفاء أشركت بينهما في المرور وجعلت الأول مبدوءاً به».

وكان الأخفش يقول: «الفاء تأتي بمعنى الواو» وأنشد:

بَسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ (١).

وخالفه بعضهم في هذا فقال: ليس في جعل الشاعر الفاء في معنى الواو فائدة، ولا حاجة به إلى أن يجعل الفاء في موضع الواو ووزن الواو كوزن الفاء. قال: وأصل الفاء أن يكون الذي قبلها علة لما بعدها. يقال: «قام زيد فقام الناس».

وزعم الأخفش أن الفاء تزداد، يقولون: «أخوك فَجَهْدٌ» يريد أخوك جَهْدٌ، واحتجَّ بقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ﴾.

(١) هذا شطر من مطلع معلقة امرئ القيس، وكامله قوله: قفا نبيك من ذكرى حبيب ومَنْزِلٍ بَسِقَطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلٍ

وكان قَطْرُبٌ يقول بِقَوْلِ الأَخْفَشِ، يقول: إن الفاء مثلُ الواو في «بين الدخولِ فَحَوْمَلٍ» قال: ولولا أن الفاء بمعنى الواو لفسد المعنى، لأنه لا يريد أن يُصَيِّرَهُ بين (الدَّخُولِ) أولاً ثم بين (حَوْمَلِ) وهذا كثير في الشعر.

وتكون الفاء جواباً للشرط. تقول: «إن تَأْتِي فَحَسَنٌ جميل» ومنه قوله جَلْ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ﴾ دخلتِ الفاء لأنه جعل الكفر شريطة كأنه قال: ومن كفر فتعسا له.

وأما (القاف)

فلا أعلم لها علةً إلا في جعلهم إياها عند التعريب مكان الهاء نحو «يَلْمَقُ».

باب (الكاف)

تقع الكاف مخاطبة: للمذكر مفتوحة، وللمؤنث مكسورة. نحو «لَكَ» و«لِكِ».

وتدخل في أول الاسم للتشبيه فتخفض الاسم. نحو «زيد كالأسد» وأهل العربية يقيمونها مقام الاسم ويجعلون لها محلاً من الاعراب، ولذلك يقولون: «مررت بِكَالأسد» أرادوا بمثل الأسد. وأنشدوا:

على كالخفيف السَّحَقُ يدعو به الصدى
له قَلْبٌ عَادِيَةٌ وَصُحُونُ

فأما الكاف في قوله جَلْ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلِيًّا؟﴾ فقال البصريون: هذه الكاف زائدة، زيدت لمعنى المخاطبة. قال محمد بن زيد: وكذلك رُوِيْدُكَ زِيداً. قال: والدليل على ذلك

أنتك إذا قلت أرأيتك زيداً؟ فإنما هي أرأيت زيداً؟ لأن الكاف لو كانت اسماً لاستحال أن تُعدى «أرأيت» إلى مفعولين إلا والثاني هو الأول. يريد قولهم «أرأيت زيداً قائماً؟» لا يتعدى «رأيت» إلى مفعولين إلا إلى مفعول هو «زيد» ومفعول آخر هو «قائم» فالأول هو الثاني. قال: «أرأيتك زيداً؟» الثاني غير الكاف، قال: وإن أردت رؤية العين لم يتعد إلا إلى مفعول واحد. قال: ومع ذلك إن فعل الرجل لا يتعدى إلى نفسه فيتصل ضميراً إلا في باب «ظننت» و«علمت». فأما ضربتني وضربتك فلا يكون. وكذلك إذا قلت: «رؤيدك زيداً» إنما يراد «أرود زيداً» قال الزجاج: الكاف في هذا المكان لا موضع لها لأنها ذكرت في المخاطبة توكيداً. وموضع هذا نصب بـ «أرأيتك؟». وقال الكوفيون: إن محل هذه الكاف الرفع إذا قلنا «لولاك» فهي في موضع رفع. ثم نقول: «لولا أنت» وإنما صلح هذا لأن الصورة في مثل هذا صورة واحدة في الرفع والنصب والخفض.

وتكون الكاف دالة على البعد. تقول: «ذا» فإذا بعد قلت «ذاك».

وتكون الكاف زائدة كقوله: «ليس كمثلته شيء».

وتكون للعجب نحو «ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأ».

باب (اللام)

اللام: تقع زائدة في موضعين: في قولهم «عبدل» وفي قولهم «ذلك».

واللام تكون مفتوحة ومكسورة: ففي المفتوحات (لام التوكيد) وربما قيل (لام الابتداء) نحو قوله جل ثناؤه: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً﴾. وقال:

لَبِئْسَ عَبَاءَ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لِبْسِ الشُّفُوفِ^(١).

وتكون خبراً لـ «إن»: إن زيدا لقائمٌ.

ولام التوكيد: إن هذا لأنت.

وتكون في خبر الابتداء نحو: «أم الحُلَيْسِ لعجوز».

وزعم ناس أنها تقع صلة لا اعتبار بها. ويزعم أنه اعتبر ذلك من قراءة بعض القراء «إلا أنهم ليأكلون» ففتح «أن» وألغى اللام. وأنشد بعض أهل العربية:

وأعلمُ علماً ليس بالظنَّ أنه
متى ذلَّ مولى المرء فهو ذليل^(٢)
وأن لسان المرء - ما لم تكن له
حصاة - على عوراته لدليل^(٣)

واللام تكون جوابَ قَسَمٍ «والله لأقومنَّ» وتلزمها النونُ فإن كانت للماضي لم يُحْتَجَّ إلى النون «والله لَقَامَ».

ولام الاستغاثة نحو قولهم «ياللنَّاسِ» فإن عَطَفْتَ عليها أُخْرِي كَسَرَتْ. يُنْشِدُونَ:

ميسون

(١) هذا البيت من قصيدة للشاعرة ميسور بنت بحدل نظمها عندما دخلت قصر الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان في حاضرة دمشق. وقد راحت ميسور تتغنى بالبدواة مؤثره إياها على الحضارة وبهرجها.

(٢) هذان البيتان من قصيدة طرفة بن العبد البكري التي قالها مادحاً عمرو بن مرثد. ومطلع هذه القصيدة:

لهند بحزان الشَّريف طولُ
تلوح وأذنى عهدهنَّ محيلُ

(٣) الحصاة: العقل وسداد الرأي.

يُبْكِيكَ نَاءِ بَعِيدِ الدَّارِ مُغْتَرِبُ
يَا لِلْكَهُولِ وَلِلشُّبَّانِ وَالشَّيْبِ (١)

قال بعض أهل العلم: إن لام الاضافة تجيء لمعان مختلفة:

منها أن تَصَيَّرَ الْمُضَافَ لِلْمُضَافِ إِلَيْهِ. نحو ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي
السَّمَاوَاتِ﴾.

ومنها أن تكون سبباً لشيء وعلة له. مثل ﴿أَنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ﴾.

ومنها أن تكون إرادة. نحو ﴿قُمْتُ لِأَضْرِبَ زَيْدًا﴾ بمعنى قمت
أريد ضربه.

ومنها أن تكون بمعنى «عند» مثل قوله جل ثناؤه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ
لِذِكْرِي﴾ و﴿لِذُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ أي عنده.

ومنها أن تكون بمنزلة «في». مثل قوله جلّ وعزّ ﴿لِأَوَّلِ الْحَشْرِ﴾
أي في أول الحشر.

ومنها أن تكون لمرور وقت. نحو قول النابغة:

تَوَهَّمْتُ آيَاتٍ لَهَا فَعَرَفْتَهَا
لِسِتَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامِ سَابِعُ (٢)

(١) ويروى الشطر الثاني من هذا البيت كما يلي:

يَا لِلْكَهُولِ وَلِلشُّبَّانِ لِلْعَجَبِ.

(٢) هذا البيت من قصيدة النابغة الذبياني التي يعتذر فيها للنعمان بن المنذر ملك الحيرة ويهجو في الوقت نفسه مرةً بن ربيعة الذي أثار عليه حفيظة الملك ومطلع هذه القصيدة:

عَفَا ذُو حَسَا مِنْ فَرْتَنَا فَالْقَوَارِعُ فَجَنبَا أَرِيكَ فَالتَّلَاعُ الدَّوَاغُ

ومنه قولهم: «غلام له سنة» أي أتت عليه سنة.

وتكون بمعنى «بعد» مثل قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «صوموا لرؤيته» أي بعد رؤيته.

وتكون للتخصيص. نحو «الحمد لله» وفي الكلام «الفصاحة لقريش والصباحة لبني هاشم».

وتكون للتعجب. نحو «الله ذرّه!» ويُشدون:

الله يبقَى على الأيام ذو حِيدٍ
بمُشْمَخِرٍ به الظِّيَانُ والآسُ^(١).

ويقولون: «يا لِلْعَجَب!» معناه: يا قوم تعالوا إلى العجب وللعجب أَدْعُو. وقد تجتمع التي للنداء والتي للعجب فيقولون:

ألا يالَ قومٍ لِطَيْفِ الخيالِ
يُورِّقُ من نازِحِ ذي دلالِ.

وتكون للأمر. نحو ﴿لِيَقْضُوا نَفْسَهُمْ﴾ وربما حُذفت هذه

فيقولون:

محمد تَفَدٍ نَفْسِكَ كُلِّ نَفْسٍ^(٢)

وقالوا في لام الأمر: كان الأصل «اذهب» فلما سقطت الألف لم يوصل إلى الفعل إلا بلام، لأن الساكن لا يُبدأُ به.

وقوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيُغْفَرَ لَكَ اللهُ﴾ فقال

قائل: لِمَ جاز أن تكون المَغْفِرَةُ جزاءً لِمَا أَمْتَنَ به عليه وهو قوله: ﴿إِنَّا

(١) هذا القول من شواهد سيبويه.

(٢) وكامل البيت قوله:

محمد تَفَدٍ نَفْسِكَ كُلِّ نَفْسٍ إِذَا مَا خِفْتَ من شَيْءٍ تَبالَا

فتحننا لك فتحاً؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أن الفتح وإن كان من الله جلّ ثناؤه فكل فعل يفعله العبد من خير فالله الموفق له والميسّر، ثم يجازي عليه، فتكون الحسنة من العبد مينةً من الله جلّ وعزّ عليه. وكذلك جزاؤه له عنها منه. والوجه الآخر أن يكون قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ﴾ فأمره بالاستغفار إذا جاء الفتح، فكأنه أعلمه أنه إذا جاء الفتح واستغفر غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فكأن المعنى على هذا الوجه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً، فإذا جاء الفتح فاستغفر ربك ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. وقال قوم: فتحنا لك في الدين فتحاً مبيناً لتتهدي به أنت والمسلمون فيكون ذلك سبباً للغفران.

ومن اللامات لام العاقبة. قوله جل ثناؤه: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ وفي أشعار العرب ذلك كثير:
جاءت لتطعمه لحمًا ويفجعها
بابن، فقد أطعمت لحمًا وقد فجعا.

وهي لم تجيء لذلك، كما أنهم لم يلتقطوه لذلك، لكن صارت العاقبة ذلك.

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿رَبَّنَا لِيَضْلُوا عَنْ سَبِيلِكَ﴾ أي: آتيتهم زينة الحياة فأصارهم ذلك أن ضلوا. وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا...﴾ هي لام العاقبة.

وتكون زائدة. نحو ﴿هَم لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ و﴿لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾.

باب زيادة (الميم)

والميم تزداد أولى في مثل: مُفَعَلٌ وَمِفَعَلٌ وَمَفَعَلٌ وغير ذلك.
وتزداد في أواخر الأسماء. نحو: زُرُقْمٌ وشَدَقْمٌ.

و (النون)

تزداد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة وسادسة.

فالأولى: «نَفَعَلٌ». وقالوا: «نَرَجِسٌ» وليس نرجس من كلام العرب، والنون لا تكون بعدها راء.

والثانية: نحو «نَاقَةٌ عَنَسَلٌ».

والثالثة: في «قَلَسُوَةٌ».

والرابعة: في «رَعَشَنٌ».

والخامسة: في «صَلَتَانٌ».

والسادسة: في «رَعْفَرَانٌ».

وتكون في أول الفعل للجمع. نحو «نخرج».

وعلاوة للرفع في «يخرجان» فإذا قلنا الرجلان فقال قوم هي عوض من الحركة والتنوين. وقال آخرون: هي فرق بين الواحد المنصوب والاثنين المرفوعين.

وتقع في الجمع نحو «مسلمون» وربما سقطت فقالوا: «الحافظو عورة العشيرة»^(١).

(١) العبارة من بيت لدرهم بن زيد الأنصاري يقول فيه:
والحافظ عورة الْعَشِيرَةِ لا يَأْتِيهِمْ مَنْ ورائنا وكفُ

وتكون ثانية فعل المطاوعة نحو «انكسر» و«بَغَيْتَهُ فأنبغى».

وتكون للتأكد مُخَفِّفَةٌ ومُثَقِّلَةٌ. نحو «اضْرِبَنَّ» و«اضْرِبَنَّ» إلا أنها تقلب عند التخفيف في الكتاب ألفاً. نحو «لَنَسْفَعاً».

وتكون للمؤنثة. نحو «تفعلين» وللجماعة «تفعلن».

وتلحق آخر الاسم في «زيدُ خرج» فرَّق بين المفرد والمضاف.

ويقولون: فرقاً بين ما يجري وما لا يجري. وقالت الجماعة إنما اختيرت النون لأنها أشبه بحروف الاعراب من جهة الغنة.

ومما تختص به النون من بين سائر الحروف انقلابها في اللفظ إلى غير صورتها ضرورة، وذلك إذا كانت ساكنة وجاءت بعدها باء تنقلب ميماً نحو «عنبر» و«سنباء».

و (الهاء)

تُزَادُ فِي «يَا زَيْدَاهُ» وَفِي «سُلْطَانِيَهُ» وَهَمْ يَسْمُونَهَا (استراحة) و(بيان حركة). وللووقف على الكلمة نحو «عِه» و«شِه» و«اقتده».

باب (الواو)

لا تكون الواو زائدةً أولى. وقد تزداد ثانية وثالثة ورابعة وخامسة.

فالثانية نحو «كوثر». والثالثة نحو «جدول». والرابعة نحو «قَرْنُوَةٌ». والخامسة نحو «قَمَحْدُوَةٌ».

وتكون للنسق، وهو العطف، نحو «زيد وعمرو».

وتكون علامة رفع نحو «أخوك والمسلمون».

فإذا قالوا: «يُعْجِبُنِي ضَرْبُ زَيْدٍ وَتَغَضَّبَ» فقال قوم: نُصِبَ

«تَغَضَّبَ» على إضمار «أَنْ» معناه وأن تغضب فيصيرُ في معنى المصدر. كأنك قلتَ «يعجبني ضَرْبُ زيد وغَضْبُك» فتخرج بذلك من أن تكون ناسِئَةً فعلاً على اسم. ويقولون:

للبُّسِ عِباةٌ وتَقَرَّ عيني

بمعنى وأن تقَرَّ عيني. فَإِنْ نَسَقْتَ فعلاً على فعلٍ مجموعين فأعرباهما واحد نحو «يقوم ويضرب زيدا» فإن لم تُردِ الجمعَ بينهما نصبتَ الثاني فيقال نَصَبَ باضمار «أَنْ» يقولون: «لا تأكلِ السمك وتشرَبِ اللبن» و:

لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ (١)

وتكون بمعنى الباء في القَسَمِ نحو «والله».

وتكون الواو مُضْمَرَةً في مثل قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لِتَحْمِلِهِمْ قلت: لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عليه تولوا﴾ التَّوِيلُ: ولا على الذين - إذا ما أتوك لِتَحْمِلِهِمْ وقلت: لا أَجِدُ ما أَحْمِلُكُمْ عليه - تولوا. فجواب الكلام الأول تولوا.

وتكون بمعنى «رُبَّ». نحو «وَقَاتِمِ الْأَعْمَاقِ».

وتكون بمعنى «مَعَ» كقولهم «استَوَى المَاءُ والخَشْبَةُ» أي مع الخشبة وأهل البصرة يقولون في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَجْمَعُوا أَمْرَكُمْ وشُرَكَاءَكُمْ﴾ معناها مع شركائكم. كما يقال «لو تُرِكَتِ الناقَةُ وفَصِيلُهَا» أي مع فصيلها.

(١) يقال إن هذا البيت لأبي الأسود الدؤلي، وهو يقول:
لا تَنَّهُ عن خُلُقٍ وتَأْتِي مِثْلَهُ عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ

وقال آخرون: أجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم، اعتباراً بقوله
جلّ وعزّ ﴿وادعوا من استطعتم﴾.

وتكون صلة زائدة كقوله جلّ وعزّ ﴿إلاّ ولها كتاب معلوم﴾
المعنى إلاّ لها.

وتكون بمعنى «إذ» كقوله جلّ وعزّ: ﴿وطائفة قد أهمتهم﴾ يريد
إذ طائفة. وتقول «حيث وزيد ركب» أي اذ زيد.

وقال قوم: للواو معنيان: معنى اجتماع ومعنى تفرّق نحو «قام
زيد وعمرو». وإن كانت الواو في معنى اجتماع لم تُبَلّ بأيهما بدأت.
وإن كانت في معنى تفرّق فعمرو قائم بعد زيد.

وذهب آخرون إلى أن الواو لا تكون إلاّ للجمع. قالوا: إذا
قلت: «قام زيد وعمرو» جاز أن يكون الأمر وقع منهما جميعاً معاً في
وقت واحد وجاز أن يكون الأول تقدم الثاني، ونكتة بابها أنّها للجمع.

وتكون الواو عطفاً بالبناء على كلام يُتَوَهَّم وذلك قولك - إذا قال
القائل «رأيتُ زيداً عند عمرو» - قلت أنت «أو هو ممن يجالسه؟» قال
البصريون: معناه كأنّ قائلاً قال: «هو ممن يجالسه» فقلت أنت «أو هو
كذاك؟». وفي القرآن ﴿أَوِ امْنِ أَهْلِ الْقُرَى؟﴾ وكذلك قوله جلّ ثناؤه:
﴿إِنَّا لَمِعْبُوثُونَ، أَوْ آبَاؤُنَا؟﴾ فليس بأو إنما هي واو عطف دخل عليها
ألف الاستفهام كأنه لما قيل لهم ﴿إِنكُمْ مِعْبُوثُونَ وَأَبَاؤُكُمْ﴾ استفهموا
عنهم.

وتكون الواو مُقَمَّمةً كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُثْ﴾
أراد - والله أعلم - فاضرب به لا تحنث، جزماً على جواب الأمر، وقد
تكون نهياً والأول أجود. وكذلك ﴿مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ﴾

أراد «لنعلمه» وقد قيل: «ولنعلمه فعلنا ذلك». وكذلك ﴿وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ﴾ أي «وحفظًا فعلنا ذلك». وقوله:
 فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى^(١)
 قيل: هي مُقْحَمَةٌ. وقيل: معناه أجزنا وانتحى.

باب (الياء)

الياء: تزداد أولى وثانية وثالثة ورابعة وخامسة.
 فالأولى «يَرْمَعُ»^(٢) و«يَرْبُوعٌ». والثانية «حَيْدَرٌ»^(٣). والثالثة
 «خَفِيدٌ». والرابعة «إِصْلِيْتُ»^(٤). والخامسة «ذَفَارِي»^(٥).
 وتكون أولى في الأفعال نحو «يضرب». وللإضافة نحو «عبادي». وللثنية والجمع نحو «الزَّيْدَيْنِ» و«الزَّيْدِينَ». وتكون علامة للخفض نحو «أخيك». وللتأنيث نحو «استغفري».

(١) هذا الشطر من بيت لامرئ القيس يقول فيه:
 فلما أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَأَنْتَحَى بنا بَطْنٌ خَبْتِ ذِي حَقَافٍ عَقَنْقَلِ
 (٢) اليرمع: الذي يلعب من الحصى الأبيض، واللفظة مأخوذة من رماعة الصبي، أي ما يرمع (بمعنى يتحرك) من يا فوخه وقت الرضاع.
 (٣) الحيدر (هنا): القصير.
 (٤) إصليت: صفة للسيف القاطع أو الماضي في الضريبة، واللفظة من «صلت»، والصلت: الأملس اللامع.
 (٥) وفي رواية أخرى بالباء: ذباري.

وللتصغير نحو «بَيْتٌ».

وللنَّسَبِ نحو «كُوفِيٌّ».

باب القول على الحروف المفردة الدَّالَّةُ على المعنى

وللعرب الحروف المفردة التي تدلُّ على المعنى . نحو التاء في
«خَرَجْتُ» و«خَرَجْتَ» . ونحو الياء^(١) و«تُوبِيٌّ» و«فَرَسِيٌّ» .

ومنها حروف تدلُّ على الأفعال نحو «إزِيداً»^(٢) أي عِدَّهُ . و«ح»
من وحيْتُ . و«د» من ودَيْتُ و«ش» من وشَيْتُ و«ع» من وعَيْتُ
و«ف» من وفَيْتُ و«ق» من وقَيْتُ و«ل» من وليتُ و«ن» من ونَيْتُ
و«هـ» من وهيت . إلا أن حدَّاق النحويين يقولون في الوقف عليها
«شَه» و«دِه» فيقفون على الهاء .

ومن الحروف ما يكون كناية وله مواضع من الإعراب نحو
قولك: «ثوبه» فالهاء كناية لها محلُّ من الإعراب .

ومنه ما يكون دلالةً ولا محلَّ له مثل «رأيتها» فالهاء اسم له محلُّ
والميم والألف علامتان لا محلَّ لهما، فعلى هذا يجيء الباب .

فأمَّا الحروف التي في كتاب الله جلَّ ثناؤه فواتح سور فقال قوم:
كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسماء الله، فالألف من اسمه «الله»

(١) أضيفت عبارة: ونحو الياء ولم تكن واردة في النسخة المعتمدة، وبها يستقيم المعنى .

(٢) من: وأي وأياً، بمعنى وعد . وفي أقوال العرب: «لا خير في وأي إنجازه بعد لأي»، أي بعد بطاء .

واللام من «لطيف» والميم من «مجيد». فالألف من آلائه واللام من لطفه والميم من مجده. يُروى ذا عن (ابن عباس) وهو وجه جيد، وله في كلام العرب شاهد، وهو:

قلنا لها: قفي. فقالت: قاف.

وقال آخرون: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بهذه الحروف أن هذا الكتاب الذي يقرأه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو الكتاب الذي أنزله الله جلّ ثناؤه لا شك فيه. وهذا وجه جيد، لأن الله جلّ وعز دل على جلالة قدر هذه الحروف، إذ كانت مادة البيان ومباني كتب الله عزّ وجلّ المنزلة باللغات المختلفة، وهي أصول كلام الأمم، بها يتعارفون، وبها يذكرون الله جلّ ثناؤه. وقد أقسم الله جلّ ثناؤه في كتابه بالفجر والطور وغير ذلك، فكذلك شأن هذه الحروف في القسم بها.

وقال قوم: هذه الأحرف من التسعة وعشرين حرفاً دارت بها الألسنة، فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من اسمائه جلّ وعزّ، وليس منها حرف إلا هو في آلائه وبلائه، وليس منها حرف إلا وهو في مدة أقوام وآجالهم: فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون. رواه (عبدالله بن جعفر الرازي) عن أبيه عن (الربيع بن أنس) وهو قول حسن لطيف، لأنّ الله جلّ ثناؤه أنزل على نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم الفرقان فلم يدع نظماً عجيباً ولا علماً نافعاً إلا أودعه إيّاه، علّم ذلك من علمه وجهله من جهله. فليس منكراً أن ينزل الله جلّ ثناؤه هذه الحروف مشتملة - مع ايجازها - على ما قاله هؤلاء.

وقول روي عن (ابن عباس) في ﴿ألم﴾: أنا الله أعلم. وفي

﴿المص﴾: أنا الله أعلم وأفضل. وهذا وجه يقرب مما مضى ذكره من دلالة الحرف الواحد على الاسم التام والصفة التامة.

وقال قوم: هي أسماء للسور ف﴿الم﴾ اسم لهذه و﴿حم﴾ اسم غيرها. وهذا يؤثّر عن جماعة من أهل العلم، وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز، فكذلك هذه الحروف في أوائل السور موضوعة لتمييز تلك السور من غيرها.

فإن قال قائل: فقد رأينا ﴿الم﴾ افتتح بها غير سورة، فأين التمييز؟ قلنا: قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين، ثم يميز ما يجيء بعد ذلك من صفة ونعت كما قيل «زيد وزيد» ثم يميزان بأن يقال: «زيد الفقيه» و«زيد العربي» فكذلك إذا قرأ القارئ ﴿الم﴾ ذلك الكتاب فقد ميّزها عن التي أولها ﴿الم﴾ الله لا إله إلا هو.

وقال آخرون: لكل كتاب سرٌّ وسرّ القرآن فواتح السور. وأظنّ قائل هذا أراد أن ذلك من السرّ الذي لا يعلمه إلا الخاص من أهل العلم والراسخون فيه.

وقال قوم: إن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم لبعض ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه﴾ فأنزل الله تبارك وتعالى هذا النظم ليتعجبوا منه، ويكون تعجبهم منه سبباً لاستماعهم، واستماعهم له سبباً لاستماع ما بعده، فترق حينئذ القلوب وتلين الأفتدة.

وقول آخر: إن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التي هي أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعاً وجاء تمامها

مؤلفاً ليدل القوم الذين نزل القرآن فيما بين ظهريهم أنه بالحروف التي يعقلونها فيكون ذلك تقریباً لهم ودلالة على عجزهم عن أن يأتوا بمثله بعد أن أعلموا أنه منزل بالحروف التي يعرفونها ويبنون كلامهم منها.

قال (أحمد بن فارس): وأقرب القول في ذلك وأجمعه قول بعض علمائنا: إن أولى الأمور أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلاً فيقال: إن الله جلّ وعزّ افتتح السور بهذه الحروف ارادةً منه الدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد. فتكون الحروف جامعة لأن تكون افتتاحاً للسور، وأن يكون كل واحد منها مأخوذاً من اسم من أسماء الله جلّ ثناؤه، وأن يكون الله جلّ ثناؤه قد وضعها هذا الموضع قسماً بها، وأن كل حرف منها في آجال قوم وأرزاق آخرين، وهي مع ذلك مأخوذة من صفات الله جلّ وعزّ في أنعامه وأفضاله ومجده، وأن الافتتاح بها تسبب لأن يستمع إلى القرآن من لم يكن يستمع، وأن فيها أعلاماً للعرب أن القرآن الدال على صحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم هو بهذه الحروف، وأن عجزهم عن الإتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعاملة بينهم دليل على كذبهم وعنادهم وجحودهم، وأن كلّ عدد منها إذا وقع في أول سورة فهو اسم لتلك السورة.

وهذا هو القول الجامع للتأويلات كلها من غير اطراح لواحد منها، وإنما قلنا هذا لأن المعنى فيها لا يمكن استخراجه عقلاً من حيث يزول به العذر، لأن المرجع إلى أقاويل العلماء، ولن يجوز لأحد أن يعترض عليهم بالطعن وهم من العلم بالمكان الذي هم به، ولهم مع ذلك فضيلة التقدم ومزية السبق. والله أعلم بما أراد من ذلك.

باب الكلام في حروف المعنى

رأيتُ أصحابنا الفقهاء يضمّنون كتبهم - في أصول الفقه - حروفاً من حروف المعاني، وما أدري ما الوجه في اختصاصهم إيّاها دون غيرها. فذكرت عامّة حروف المعاني رسماً واختصاراً، فأول ذلك ما كان أوّله ألف:

باب (أم)

أم: حرف عطف نائب عن تكرير الاسم أو الفعل نحو «أزيد عندك أم عمرو؟».

ويقولون: ربّما جاءت لقطع الكلام الأوّل واستئناف غيره، ولا يكون حينئذ من باب الاستفهام. يقولون: «إنّها الإبلُ أم شاء». ويكون ههنا - في قول بعضهم - بمعنى «بل» كقوله جل ثناؤه: ﴿أم يقولون شاعر﴾ وينشدون:

كذبتك عينك، أم رأيت بواسط

غلس الظلام من الرّباب خيالاً^(١)

وقال أهل العربية: أمررت برجل أم امرأة «أم» تُشرك بينهما كما أشركت بينهما «أو».

وقال آخرون: في «أم» معنى العطف، وهي استفهام كالألف، إلّا أنّها لا تكون في أول الكلام لأن فيها معنى العطف.

وقال قوم: هي «أو» أبدلت الميم من الواو لتحول إلى معنى، يريد إلى معنى «أو» وهو قولك في الاستفهام «أزيد قام أم عمرو؟»

(١) هذا البيت من إحدى قصائد الأخطل في هجاء معاصره جرير.

فالسؤال عن أحدهما بعينه . ولو جيئت بـ «أو» لسألت عن الفعل .
وجواب أو «لا» أو «نعم» وجواب أم «فلان» أم «فلان» .

وقال (أبو زيد): العرب تزيد «أم» . وقال في قوله جل ثناؤه ﴿أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهينٌ﴾: معناه «أنا خير» .

وكان (سيبويه) يقول: «أفلا تبصرون»: أم أنتم بصراء .

وكان (أبو عبيدة) يقول: «أم» يأتي بمعنى ألف الاستفهام كقوله
جل ثناؤه ﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم؟﴾ بمعنى «أتريدون؟» .

وقال (أبو زكريا الفراء): العرب تجعل «بل» مكان «أم» وأم
مكان بل . إذا كان في أول الكلمة استفهام . فقال:

فوالله ما أدري أسلمى تغولت،

أم النوم، أم كلُّ إليَّ حبيب .

معناه «بل» .

فأما قوله جل ثناؤه: ﴿أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم
كانوا من آياتنا عجبا؟﴾^(١) فقليل: أظننت يا محمد هذا، ومن عجائب
ربك جل وعز ما هو أعجب من قصة أصحاب الكهف؟

وقال آخرون: «أم» بمعنى ألف الاستفهام كأنه قال: «أحسبت؟»

و«حسبت» بمعنى «علمت» ويكون الاستفهام في «حسبت» بمعنى
الأمر كما تقول لمن تخاطبه «أعلمت أن زيدا خرج؟» بمعنى أمر أي
اعلم أن زيدا خرج . قال: فعلى هذا التدرج يكون تأويل الآية: إعلم
يا محمد أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا .

(١) القرآن الكريم: سورة الكهف: الآية ٩ .

باب (أو)

أو: حرف عطف يأتي بعد الاستفهام للشك: «أزيد عندك أو بكر؟» تريد «أحدهما عندك؟» فالجواب «لا» أو «نعم». وإذا جعلت مكانها «أم» فأنت مثبت أحدهما غير أنك شك فيه بعينه فتقول: «أزيد عندك أم عمرو؟» فالجواب «زيد» أم «عمرو».

وتكون «أو» للتخير كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فإطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة﴾.

وتكون للإباحة تقول: «خذ ثوباً أو فرساً».

وأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ فقال قوم: هذا يعارض ويُقابل بضدّه فيصح المعنى ويبين المراد، وذلك أننا نقول: «أطع زيدا أو عمراً» فإنما نريد أطع واحداً منهما، فكذا إذا نهيناه وقلنا «لا تطع زيدا أو عمراً» فقد قلنا لا تطع واحداً منهما.

وقوله جلّ ثناؤه: ﴿إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ فقال قوم: هي بمعنى الواو «ويزيدون». وقال آخرون: بمعنى «بل». وقال قوم: هي بمعنى الإباحة كأنه قال: إذا قال قائل: «هم مائة ألف» فقد صدق. وقول القائل: «مررت برجل أو امرأة» فقد أشركت «أو» بينهما في الخفض وأثبتت المرور بأحدهما دون الآخر.

وتكون «أو» بمعنى «إلا أن» تقول «لألزمك أو تعطيني حقي» بمعنى إلا أن تعطيني. قال امرؤ القيس:

فقلتُ له لا تبك عينك، إنَّما
نُحاول مُلكاً أو نموتُ فنُعذر^(١).

(١) هذا البيت من قصيدة لامرئ القيس قالها وهو في طريقه إلى القسطنطينية =

وزعم قوم أن «أو» تكون بمعنى الواو ويقولون: كل حق لها داخل فيها أو خارج منها، وكل حق سميناه في هذا الكتاب أو لم نسمة وإن شئت قلت بالواو وأنشدوا:

فذلكما شهرين أو نصفَ ثالث
إلى ذاكما ما غيبتني غيابيا.

وكان الفراء يقول: في «مائة ألف أو يزيدون»: بل يزيدون. وقال بعض البصريين منكرأ لها: لو وقعت «أو» في هذا الموضع موقع «بل» لجاز أن تقع في غير هذا الموضع وكنا نقول «ضربت زيدا أو عمراً» على غير الشك لكن بمعنى «بل»، وهذا غير جائز قالوا: ووجه آخر أن بل تأتي للاضراب بعد غلط أو نسيان، وهذا منفي عن الله جل ثناؤه، فإن أتى ثناؤه بها بعد كلام قد سبق من غير القائل فالخطأ إنما لِحَقِّ كلام الأول نحو قوله جلّ: ﴿وقالوا: اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ فهم أخطأوا في هذا وكفروا به فقال جلّ وعزّ ﴿بل عباد مكرمون﴾. وزعم قوم أن معناها «أو يزيدون على ذلك».

قلنا: والذي قاله (الفراء) فقول قد تقدمه فيه ناس. وقول من قال: أن «بل» لا يكون إلا اضراباً بعد غلط أو نسيان فخطأ، لأن العرب تُنشد:

بل^(١) ما هاج أحزاناً وشجواً قد شجا^(٢)

= للاتصال بقيصر ملك الروم وطلب العون منه لاسترجاع ملك أبيه حجر بعد أن قتلته بنو أسد. وهذا الكلام لا يسقط شك بعض المؤرخين بصحة أخبار امرئ القيس المتعلقة بذهابه إلى بلاد الروم... الخ.

(١) تعتبر «بل» لفظة زائدة على الأصل.

(٢) وبقية هذا البيت قوله: من طلل كالأتحمي أنهجا. والبيت المذكور مطلع أرجوزة من نظم «العجاج».

وهذا ليس من المعنيين في شيء.

فأما قوله «أو أشدُّ قسوةً» وما أشبهه من قوله عزَّ وجل «كلمح البصر أو هو أقرب»^(١) أن المخاطب يعلمه، لكنه أبهمه على المخاطب وطواه عنه. وقال آخرون: بعضها كالحجارة وبعضها أشدُّ قسوة. أي هي ضربان: ضرب كذا أو ضرب كذا.

باب إي وأي

إي: في زعم أهل اللغة يكون بمعنى «نعم» تقول «إي وربِّي» أي «نعم وربِّي» قال الله جل ثناؤه ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ أَحَقَّ هُوَ؟ قُلْ: إِي وَرَبِّي﴾

وأي: معناها «يقول» ومثال ذلك أن تقول في تفسير «لا ريب فيه»: «أي لا شك فيه»، المعنى: يقول لا شك فيه.

وسمعتُ أبا بكر أحمدَ بن عليّ بن إسماعيل الناقد يقول سمعت أبا اسحاق الحربيّ يقول سمعت عمر بن أبي عمرو الشيبانيّ يقول: سألت أبي عن قولهم «أي»، فقال: كلمة للعرب تُشيرُ بها إلى المعنى.

باب إنَّ وإنَّ وإنَّ وإنَّ

قال (الفرّاء): «إنَّ» مقدرة لقسم متروك استغنيَ بها عند التقدير: «والله إنَّ زيدا عالمٌ». وكان (ثعلب) يقول: «إن زيدا لقائم» هو جواب «ما زيد بقائم» فـ«إنَّ» جواب «ما» و«اللام» جواب «الباء». وكان بعض النحويين يقول: «إنَّ» مُضارِعَةٌ للفعل لفظاً ومعنى: أما اللفظ

(١) القرآن الكريم: سورة النحل: الآية ٧٧.

فللفتحه^(١) فيها كما تقول «قام». والمعنى^(٢) في «أن زيدا قائم»: ثبت عندي هذا الحديث. وقال (سيويه): سألت (الخليل) عن رجل سميناه بـ «إن» كيف اعرابه؟ قال: بفتح الألف لأنه يكون كالاسم، وإذا كان بكسر الألف لكان كالفعل والأداة، ولذلك نُصب في ذاته لأنه كالفعل ومعناه التثبيت للخبر الذي بعده، ولذلك نصب به الاسم الذي يليه. ومما يدل على أن «إن» للتثبيت قول القائل:

إِنْ مَحَلًّا وَإِنْ مُرْتَحَلًا
وَإِنْ فِي السَّفَرِ مَا مَضُوا مَهَلًا^(٣)

وتكون «أن»: بمعنى «لعل» في قوله عز وجل: ﴿وما يشعركم أنها إذا جاءت﴾^(٤) بمعنى «لعلها إذا جاءت». وحكى (الخليل): «إئت السوق أنك تشتري لنا شيئا» بمعنى «لعلك».

و«أن» إذا كانت اسماً كانت في قولك «ظننت أو زيدا قائم» فيكون «أن» والذي بعدها قصةً وشأنًا، نحو «ظننت ذلك» فيكون محله نصبًا، وإذا قلت «بلغني أن زيدا عالم» فهذا في موضع رفع. وإذا قلنا «عجبت من أن زيدا كلمك» فمحله خفض على ما رتبناه من أنه اسم.

وأما «إن»: فإنها تكون شرطًا، تقول: «إن خرجت خرجت».

وتكون نفيًا كقوله جلّ وعزّ: ﴿إن الكافرون إلا في غرور﴾^(٥)

(١) المقصود: مشابهة «أن» للفعل في اللفظ بفتح آخرها.

(٢) المقصود: مشابهة «أن» للفعل من حيث المعنى بكونها تفسر به.

(٣) هذا مطلع قصيدة للأعشى يقول فيها:

استأثر الله بالوفاء وبالعد لِرِ وولّى الملامة الرجلا

(٤) القرآن الكريم: سورة الأنعام: الآية ١٠٩.

(٥) القرآن الكريم: سورة الملك: الآية ٢٠.

وكقول الشاعر:

وما إن طَبْنَا جُنْبًا^(١)

وتكون بمعنى «إذ» قال الله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ بمعنى «إذ» لأنه جَلَّ وَعَزَّ لم يخبرهم بعلوهم إلا بعدما كانوا مؤمنين .

وزعم ناس أنها تكون بمعنى «لقد» في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾ بمعنى «والصوم خير لكم»^(٢).

وتكون بمعنى «إذ» تقول: «أعجبني أن خرجت» و«فرحت أن دخلت الدار» .

وقد تَضَمَّرَ في قوله:

(١) وورد هذا القول مرفوعاً: «وما إن طبنا جبن» وذلك في قصيدة فروة بن مسيك بن الحرث بن سلمة المرادي الصحابي . وسبب إنشاد هذه القصيدة أن «همدان»، جمعت لـ «مراد» في الجاهلية جمعاً عظيماً وساروا إليهم . وعند التقاء الفريقين في «الأحرسين» ظفرت همدان بمراد وأصابوا منهم، فأنشد فروة قائلاً:

وإن نهزم فغير مهزمينا	إن نهزم فهزامون قدماً
منايانا ودولة آخرينا	وما إن طَبْنَا جِبْنَ ولكن
يجد ريب الزمان له خؤونا	ومن يغط بريب الدهر يوماً
كما أفنى القرون الأولينا	فأفنى ذلكم سروات قومي
ولو بقي الكرامُ إذن بقينا	فلو خلد الملوكُ إذن خلدنا
سيلقى الشامتون كما لقينا	فقل للشامتين بنا: أفيقوا
تكر صروفه حيناً فحيناً	كذاك الدهرُ دولتهُ سجال

هذا وتروي القصيدة المتقدمة لعروة بن قعاس .

(٢) القرآن الكريم: سورة يونس: الآية ٢٩ .

ألا أيهذا الزَّاجِرِي أَحْضَرَ الوغا^(١)

وتكون بمعنى «أي» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امشُوا﴾ بمعنى: أي امشوا.

باب (إلى)

تكون «إلى» بمعنى الانتهاء، تقول: «خرجتُ من بَغْدَادَ إِلَى الكوفة». .

وتكون بمعنى «مع». قالوا في قوله جلّ ثناؤه: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ؟﴾: بمعنى «مع الله» وقال قوم: معناها مَنْ يُضِيفُ نُصْرَتَهُ إِلَى نصرة الله جلّ وعزّ لي؟ فيكون بمعنى الانتهاء، وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ﴾.

وربما قامت «إلى» مقام «اللام» قال (الشَّمَاخ)^(٢):
فَأَلْحَقَ بِيَجْلَةَ^(٣)، نَسَابَهُمْ وَكُنْ مَعَهُمْ
حَتَّى يُعِيرُوكَ مَجْدًا غَيْرَ مَوْطُودٍ.

(١) هذا الشطر من معلقة طرفة بن العبد البكري. وقد ورد - أي الشطر المشار إليه - بروايتين أخريين:

- ألا أيهذا اللاثمي... أو: ألا أيهذا اللاحي أن أشهد الوغى.
- والمقصود في الشاهد، نصب «أحضر» مع إضمار «أن» وهذا هو مذهب الكوفيين أما البصريون فيرفعون.

(٢) هو الشَّمَاخ بن ضرار الغطفاني.
في هذين البيتين يهجو الشَّمَاخ الربيع بن علباء السلمي. أما القصيدة فمطلعها:

طال الثَّوَاءَ عَلَى رَسْمِ بِيْمُودٍ أودى وكلّ خليلٍ مرّةً مود
(٣) بجلة (في البيت الأول): اسم قبيلة.

واتركُ تُراثَ خُفافٍ^(١) إنهم هلكوا
وأنت حَيٌّ إلى رِعلٍ ومَطْرُودٍ^(٢)

يقول: اتركُ تُراثَ (خفاف) لرعل ومطرود. وخفافٌ ورعل ومطرود بنو أبٍ واحد. وأخبرنا عليّ ابن ابراهيم القطان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي) قال: ألقى عليّ أعرابيُّ هذا البيت فقال لي: ما معناه؟ فأجبتُه بجواب، فقال لي: ليس هو كذا. وأجابني بهذا الجواب. وكان الذي أجابه به ابنُ الأعرابي أن خفافاً من غير رِعلٍ ومطرود.

باب (الأ)

ألاً: افتتاح كلام. وقد قيل: إن «الهمزة» للتنبيه و«لا» نفي لدعوى في قوله جلّ ثناؤه «إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون» فالهمزة تنبيهٌ لمخاطبٍ و«لا» نفيٌ للإصلاح عنهم.

وفي كلام العرب كلمة أخرى تُشبهها لم تجيء في القرآن وهي «أما» وهي كلمة تحقيق إذا قلت «أما إنه قائم» فمعناه «حقاً إنه قائم».

باب (إنما)

سمعت عليّ بن ابراهيم القطان يقول سمعت ثعلباً يقول سمعت سلمة يقول سمعت الفراء يقول: إذا قلت «إنما قمت» فقد نفيت عن نفسك كلَّ فعلٍ إلا القيام، وإذا قلت: «إنما قامَ أنا» فإنك نفيت القيام عن كلِّ أحدٍ وأثبتته لنفسك.

(١) خفاف (في البيت الثاني): اسم رجل تنسب إليه إحدى الطوائف.

(٢) رعل: هو رعل بن مالك بن عوف، وإليه تنسب قبيلة رعل وهي من القبائل اليمانية - وأما «مطرود» فقبيلة منسوبة إلى مطرود بن كعب.

ويروى أن هؤلاء الثلاثة خفاف ورعل ومطرود بنو أب واحد. وفي الشاهد وردت «إلى» بمعنى «اللام».

قال الفراء: يقولون: «ما أنت إلا أخي» فيدخل في هذا الكلام الأفراد. كأنه ادعى أنه أخ ومولى وغير الأخوة، فنفى بذلك ما سواها. قال: وكذلك إذا قال: «إنما أنت أخي». قال الفراء: لا يكون أبداً إلا ردّاً، يعني أن قولك «ما أنت إلا أخي» و«إنما قام أنا» لا يكون هذا ابتداءً أبداً وإنما يكون ردّاً على آخر، كأنه ادعى أنه أخ ومولى وأشياء أخرى، فنفاه وأقر له بالأخوة، أو زعم زاعم أنه كانت منك أشياء سوى القيام فنفيها كلها ما خلا القيام.

وقال قوم: «إنما» معناه التحقير. تقول: «إنما أنا بشر» محقراً لنفسك. وهذا ليس بشيء: قال الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾^(١) فأين التحقير هاهنا؟



والذي قاله الفراء صحيح، وحجته قوله صلى الله تعالى عليه وسلم «إنما الولاء لمن أعتق».

باب (إِلَّا)

أصل (الاستثناء) - أن تَسْتَنِيَ شيئاً من جملة اشتملت عليه في أول ما لفظ به، وهو قولهم: «ما خرج الناس إلا زيداً» فقد كان «زيد» في جملة الناس ثم أخرج منهم، ولذلك سمي «استثناءً» لأنه تُنِيَ ذكره مرةً في الجملة ومرةً في التفصيل. ولذلك قال بعض النحويين: المستثنى خرج مما دخل فيه، وهذا مأخوذ من «الثنا» والثنا الأمر يثنى مرتين: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا ثنا في الصدقة» يعني لا تؤخذ في السنة مرتين. قال (أوس):

أفي جنب بكرٍ قطعَني ملامةً؟

(١) القرآن الكريم: سورة النساء: الآية ١٧٠.

لَعَمْرِي لَقَدْ كَانَتْ مَلَامَتَهَا ثِنَا

يقول: ليس هذا بأول لومها، فقد فعلته قبل هذا، وهذا ثِنَاً

بعده .

وقال بعض أهل العلم: «إلا» تكون استثناء لقليل من كثير، نحو «قام الناس إلا زيداً». وتكون محققة لفعلٍ مَنفِيٍّ عن اسم قبلها، نحو «ما قام أحد إلا زيد». وتكون بمعنى «واو العطف» كقوله:

وأرى لها داراً بأغدره السيِّ
ذانٍ لم يَدْرُس لها رسمٌ
إلا رَماداً هامداً دفعت
عنه الرِّياح خوالدٌ سُحْمٌ

أراد «ورماداً».

وتكون بمعنى «بل» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى، إلا تذكيراً﴾^(١) بمعنى «بل تذكراً». ومنه قوله عزّ وجلّ: ﴿والله أعلم بما يوعون فبشرهم بعذاب أليم، إلا الذين آمنوا - معناه والذين آمنوا - لهم أجر غير ممنون﴾^(٢).

وتكون «إلا» بمعنى «لكن» وتكون من الذي يسمونها (الاستثناء المنقطع) كقوله جلّ ثناؤه: ﴿لست عليهم بمُسيِّطر، إلا من تولى - معناه لكن من تولى - وكفر﴾.

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء﴾^(٣) كان الفراء يقول: استثنى الشيء من الشيء ليس منه على

(١) القرآن الكريم: سورة طه: الآية ٣.

(٢) القرآن الكريم: سورة السجدة: الآية ٨.

(٣) القرآن الكريم: سورة الشعراء: الآية ٥٧.

الاختصار، من ذلك هذه الآية. ثم قال: وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿والفواحش إلا اللمم﴾ قال: هو مختصر، معناه «إلا أن يصيب الرجل اللمم» واللمم أصغر الذنوب. والله جل ثناؤه لا يأذن في قليل الذنب ولا كثيره. قال: ومما جاء في شعر العرب قول (أبي خراش):

نجا سالم، والنفس منه بشدقه،
ولم ينجُ إلا جفنَ سيفٍ ومثزراً

فاستثنى الجفن والمثزر وليسا من سالم، إنما هذا على الاختصار. وأنشد:

وبلدة ليس بها أنيسُ
إلا العافير وإلا العيسُ

معناه «لكن فيها» ومثله قوله جل ثناؤه: ﴿فإنهم عدو لي، إلا رب العالمين﴾^(١) وأما قوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة، إلا الذين ظلموا﴾^(٢) فقال قوم أراد: «إلا على الذين ظلموا فإن عليهم الحجة» ويكون حينئذ «الذين» في موضع خفض ويكون أيضاً على «لكن الذين ظلموا فلا تخشوهم» تبتدئه. وقال: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن، إلا الذين ظلموا﴾^(٣) فهذا قد انقطع من الأول ويجوز أن يكون على الاستثناء من أوله كأنه قال: «إلا الذين ظلموا فجادلوهم بالتي هي أسوأ من لسان أو يد» أي أغلظ، يريد مشركي العرب. وقوله جل ثناؤه: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوأ من القول، إلا من ظلم﴾^(٤) قال قوم: إنما يريد المكره لأنه مظلوم فذلك

(١) القرآن الكريم: سور الشعراء: الآية ٧٧.

(٢) القرآن الكريم: سورة البقرة: الآية ١٥٠.

(٣) القرآن الكريم: سورة الأنعام: الآية ١٥٢.

(٤) القرآن الكريم: سورة النساء: الآية ١٤٧.

عنه موضوع وإن نطق بالكفر. والاستثناء باب يطول.

وقد يُستثنى من الشيء الموحّد لفظاً وهو في المعنى جمع، نحو ﴿إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا﴾.

واستثناء الشيء من غير جنسه لا معنى له مع الذي ذكرناه من حقيقة الاستثناء.

وإذا جَمع الكلام ضرورياً من المذكورات وفي آخره استثناء، فالأمر إلى الدليل فإن جاز رجع على جميع الكلام كان على جميعه كقوله جل ثناؤه: ﴿إنما جزاء الذي يحاربون الله ورسوله - ثم قال - إلا الذين تابوا﴾ والاستثناء جائز في كلّ ذلك والذي يمنع منه الدليل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فاجلدوهم ثمانين جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً﴾ فالاستثناء ما هنا على ما كان من حق الله جلّ ثناؤه دون الجلد.

باب من (الاستثناء) آخر

قال قوم: لا يُستثنى من الشيء إلا ما كان دون نصفه: لا يجوز أن يقال عشرة إلا خمسة. وقال قوم: يُستثنى القليل من الكثير ويستثنى الكثير مما هو أكثر منه. وهذه العبارة هي الصحيحة. فأما من يقول: يُستثنى الكثير من القليل فليست بالعبارة الجيدة، قالوا: فيقال «عشرة إلا خمسة» حتى يبلغ التسعة. قالوا: ومن الدليل على أن نصف الشيء قد يستثنى من الشيء قوله جلّ ثناؤه: ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ - ثم قال - ﴿نصفه﴾ أفلا تراه سمى النصف قليلاً واستثناءه من الأصل؟.

قال أحمد بن فارس: واعترض قوم بهذا الذي ذكرناه على (أبي عبد الله مالك بن أنس) في قوله في (الجائحة) لأن مالكا يذهب إلى أن

الجائحة إذا كانت دون الثلث لم يوضع لأنها قليل بمنزلة ما تناله (العوافي) من الطير وغيرها وما تلقيه الريح، فإذا بلغت الجائحة الثلث وما زاد فهي كثيرة ولزم وضعها للحديث المروي فيها. قال المعترض على أبي عبدالله مالك رضي الله تعالى عنه: فقد دفع هذا الفصل المعنى الذي ذهب إليه مالك، لأن قوله جلّ ثناؤه: ﴿قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ قد جعل النصف قليلاً، فإذا كان نصف الشيء قليلاً منه وجب أن يكون كثيره ما فوق النصف.

فالجواب عن هذا أن مالكا إنما ذهب في جعله الثلث كثيراً إلى حديث حدثناه (عليّ بن إبراهيم) عن محمد بن يزيد عن هشام بن عمار عن ابن عيينة عن الزهري عن (عامر بن سعد) عن أبيه قال: «مرضت عام الفتح حتى أشرفت، فعادني رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت: أي رسول الله إن لي مالاً وليس يرثني إلا ابنتي أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «لا». قلت: فالشطر؟ قال: «لا». قلت: فالثلث؟ قال: «الثلث والثلث كثير، إنك إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عائلة يتكفون الناس» فبقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخذ مالك، ورسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلم بتأويل كتاب الله جلّ ثناؤه.

باب (إيّا)

إيّا - كلمة تخصيص. إذا قلت: «إياك أردت» وكان الأصل «أردتك» فلما قدمت الكاف كما تقدم المفعول به في «ضربت زيداً» لم تستقم كاف وحدها مقدمة على فعل فوصل بها «إيّا».

وقد تكون «إيّا» للتحذير كقوله:

فإياكم وحيّة بطن واد
هموز الناب ليس لكم بسيّ

باب (إذا)

تكون «إذا» شرطاً في وقت موقت. تقول: «إذا خرجت
خرجت».

وزعم قوم أن «إذا» تكون لغواً وفضلاً وذكروا قوله جلّ ثناؤه:
﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ قالوا: تأويله: «انشقت السماء» كما قال:
﴿اقتربت الساعة﴾ و﴿وأتى أمر الله﴾. قالوا: وفي شعر العرب قوله:

حتى إذا أسلكوهم في قتائدة
شلاً كما تطرد الجمالة الشردا

المعنى: حتى أسلكوهم.

وأنكر ناس هذا وقالوا: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ لها جواب
مضمّر. وقول القائل: «حتى إذا أسلكوهم» فجوابه قوله: «مثلاً»،
يقول: «أسلكوهم شلاً» واحتج أصحاب القول الأول بقول
الشاعر:

فإذا وذلك لا مهاة لذكره
والدهر يُعقب صالحاً بفساد

قالوا: المعنى «وذلك».

وقال أصحاب القول الثاني: الواو مفحمة، المعنى «فإذا ذلك».
وقولهم: «إذا فعلت كذا» يكون على ثلاثة أضرب: ضربٌ يكون
المأمور به قبل الفعل تقول: «إذا أتيت الباب فالبس أحسن لباس» ومنه
قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا﴾. وضربٌ يكون مع

الفعل كقولك: «إذا قرأت فترسل». وضربُ يكون بعد الفعل نحو ﴿إذا حللتم فاصطادوا﴾ و﴿إذا نودي للصلاة فاسعوا﴾.

باب (إذ)

إذ - تكون للماضي تقول: «أتذكر إذ فعلت كذا؟» فأما قوله جل ثناؤه: ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا: يا ليتنا ﴿فترى﴾ مستقبل و﴿إذ﴾ للماضي، وإنما كان كذا لأن الشيء كائن وإن لم يكن بعد، وذلك عند الله جل ثناؤه، قد كان، لأن علمه به سابق وقضاه به نافذ فهو كائن لا محالة، والعرب تقول مثل ذا وإن لم تعرف العواقب. قال:

ستندم إذ يأتي عليك رعيننا
بأرعن جرار كثير صواهله

وقوله جل ثناؤه: ﴿وإذ قال الله: يا عيسى﴾ فقال قوم: قال له ذلك لما رفعه إليه. وقال آخرون: «إذ» و«إذا» بمعنى. كقوله جل ثناؤه: ﴿ولو ترى إذ فزعوا﴾^(١) بمعنى: «إذا». قال (أبو النجم):

ثم جزاه الله عنا إذ جرى
جنات عدن في العلالى العلى

المعنى: «إذا جرى» لأنه لم يقع. ومثله قوله (الأسود)^(٢):

الحافظ الناس في تحوط إذا
لم يرسلوا تحت عائد رُبعًا
وهبت الشمال البليل وإذ

(١) القرآن الكريم: سور سبأ: الآية ٥١.

(٢) وفي رواية أخرى، هو قول أوس بن حجر في رثاء فضالة أبي دليجة.

بات كَمِيعُ الْفِتَاةِ مُلْتَفِعَا

قالوا: ف «إذا» و «إذ» بمعنى. قال:

وندمانٍ يزيد الكأس طيباً
سقيت إذا تغورت النجوم

و «إذ» - تكون بمعنى «حين» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه﴾ أي «حين تفيضون».

باب (إِذَا)

إِذَا - مجازاة على فعل يقول: «أنا أقوم» فتقول: «إِذَا أقوم معك». هذا هو الأصل. ومنه قوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «فإني إذا صائم» أي إذا لم يحضر الطعام فإنني صائم. وقال الشاعر:

أزجر حماري لا يرتع بروضتنا
إذا يرد وقيد العير مكروب

باب (أَيَّ)

أَيَّ - تكون استفهاماً. تقول: «أَيُّ الرجلين عندك؟».

وتكون للترجيح بين أمرين تقول: «أَيُّا مَا فعلت فلي كذا» أي إن فعلت هذا وإن فعلت هذا.

وتكون للتعجب نحو: «أَيُّ رجل زيذا!».

باب (أَنَّى)

أَنَّى - بمعنى «كيف» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ؟﴾.

وتكون بمعنى: «مِنْ أَيْنَ» كقوله: «أَنَّى يكون له ولد؟» أي من أين. والأجود أن يقال في هذا أيضاً كيف. قال (الكميت):

أَنْى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ
مِنْ حَيْثُ لَا صَبُوءٌ وَلَا رَيْبٌ؟

فجاء بالمعنيين جميعاً.

باب (أَيْنَ) و (أَيْنَمَا)

أَيْنَ - تكون استفهاماً عن مكان. نحو «أَيْنَ زَيْدٌ؟».

وتكون شرطاً لمكان. نحو «أَيْنَ لَقِيتَ زَيْدًا فَكَلِمَةُ» بمعنى في أي مكان.

فأما «أَيْنَمَا» - فَإِنَّمَا يَكُونُ شَرْطًا لِمَكَانٍ. نحو «أَيْنَمَا تَجْلِسُ أَجْلِسْ» ولا يكون استفهاماً.

باب (أَيَّانَ)

أَيَّانَ - بمعنى «متى» و «أَيَّ حِينٍ». قال بعض العلماء: نُرى أصلها «أَيَّ أَوَانٍ» فحذفت الهمزة وجعلت الكلمتان واحدة. قال الله جل ثناؤه: ﴿أَيَّانَ يُبْعَثُونَ؟﴾ أي متى و ﴿أَيَّانَ يَوْمَ الدِّينِ؟﴾ أي متى.

باب (الآنَ)

يقولون: «الآنَ» حدُّ الزمانين، حدُّ الماضي من آخره وحدُّ المستقبل من أوله. وكان (الفراء) يقول: بُني على الألف واللام لم يُخلعاً منه وتُرى على مذهبِ الصِّفَّةِ لأنه صفة في المعنى واللفظ، كما فعلوا في «الذي» و «الذَّيْنِ» فتركوها على مذهبِ الأداة، والألف واللام غير مفارقين. ومثله قوله:

فإنَّ الأَوْلَاءِ يَعْلَمُونَكَ مِنْهُمْ
كعَلَمِي مَطَّنُوكَ مَا دُمْتَ أَشْعَرَا

فأدخل الألف واللام على «أولاء» ثم تركها مخفوضة في موضع
نصب كما كانت قبل أن يدخلها الألف واللام ومثله:

وَإِنِّي حُبِسْتُ الْيَوْمَ وَالْأَمْسَ قَبْلَهُ
بِبَابِكَ حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ

فأدخل الألف واللام على «أمس» ثم تركه مخفوضاً على جهته
الأولى . ومثله:

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي
وَجُنَّ الْخَازِ بِازٍ بِهِ جُنُونَا

وأصل «الآن» إنما كان «أوان» حذفت منها الألف وغيّرت واوها
إلى الألف، كما قالوا في الراح «الرياح» أنشد الفراء أنشدني (أبو
القَمَمَاقِ الأَسَدِي):

كَأَنَّ مَكَائِي الْجَوَاءِ غُدِيَّةً
نِشَاوِي تَسَاقُوا بِالرِّيَّاحِ الْمُفْلَقِ

فجعل «الرياح» و«الأوان» مرةً على جهة «فَعَلَّ» ومرة على جهة
«فَعَال» كما قالوا: «رَمَنَ» و«رَمَان» وإن شئت جعلت «الآن» من قولك
«آن لك أن تفعل» أدخلت عليها الألف واللام ثم تركتها على مذهب
فِعْلٍ فَأَتَى النَّصْبُ مِنَ نَصْبِ «فَعَلَّ» وَهُوَ وَجْهٌ جَيِّدٌ. كما قالوا: «نَهَى
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ «قِيلَ وَقَالَ» وَ«الآن» فِي
كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿الآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾، ﴿الآنَ وَقَدْ كُتِمَ بِهِ
تَسْتَعْجِلُونَ﴾ أَي فِي هَذَا الْوَقْتِ وَهَذَا الْأَوَانَ تَتُوبُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ .

قال (الزجاج): «الآن» عند (الخليل) و(سيويه) مبنيٌّ على
الفتح تقول: «نحن من الآن نصيرُ إليك» ففتتح . لأن الألف واللام

إنما تدخل لعهد، و«الآن» تُعْهَدُ قَبْلَ هذا الوقت، فدخلت الألف واللام للإشارة إلى الوقت. المعنى: «نحن من هذا الوقت نفعل» فلما تَصَمَّنتُ معنى هذا وجب أن تكون موقوفة ففتحت للالتقاء الساكنين.

باب (إِمْأَ لَا)

هما كلمتان «إِمْأَ» و«لَا» تقول: «أُخْرِجْ» فإذا امتنع قلت: «إِمْأَ لَا فَتَكَلِّمْ» أي «إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكَ خُرُوجٌ فَلْيَكُنْ مِنْكَ تَكَلِّمْ». فـ «إِمْأَ» شرط و«لَا» جَحْدٌ. كأنك قلت: «إِنْ لَا».

باب (أُمَّأَ) و (إِمْأَ)

أُمَّأَ - كلمة إخبار لا بدّ في جوابها من «فاء». تقول: «أُمَّأَ زَيْدٌ فَكَرِيمٌ».

وإِمْأَ - تكون تَخْيِيرًا وإِبَاحَةً. نحو إِشْرَبْ إِمَّا مَاءً وَإِمْأَ لَبْنًا.

وقد تكون بمعنى الشرط، والأكثر في جوابها نون التوكيد. نحو: ﴿إِمْأَ تَرِيَنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا﴾ و﴿قُلْ رَبِّ إِمْأَ تُرِيَّنِي مَا يُوعَدُونَ﴾ وقد يكون بلا «نون» نحو قوله:

إِمْأَ تَرِي رَاسِي عَلاَنِي أَغْثُمُهُ

ومما أوله (باء):

(بَلَى)

بَلَى - تكون إثباتاً لمنفيّ قبلها. يقال: «أما خرج زيد؟» فنقول: «بَلَى» والمعنى أنها «بل» وُصِلَتْ بِهَا أَلْفٌ تكون دليلاً على كلام. يقول القائل: «أما خرج زيد؟» فتقول: «بَلَى» فـ «بل» رُجُوعٌ عَن جَحْدٍ، و«الألف» دلالةٌ كَلَامٍ، كأنك قلت: «بل خرج زيد». وكذلك

قوله جلّ ثناؤه: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ﴾ المعنى والله أعلم: «بل أنت ربُّنا».

(بَلْ)

بَلْ - إِضْرَابٌ عَنِ الْأَوَّلِ وَإِثْبَاتٌ لِلثَّانِي. واختلف فيه أهل العربية. فقال قوم: جازئ «مررت برجل بل حمارٍ» وقد يكون فيه الرفع أي: «بل هو حمارٌ».

والكوفيون لا يَنْسُقُونَ بـ «بَلْ» إِلَّا بَعْدَ نَفْيٍ. قال (هشام): محالٌ: «ضَرَبْتُ أَخَاكَ بَلْ أَبَاكَ» لَأَنَّ الْأَوَّلَ قَدْ ثَبَّتَ لَهُ الضَّرْبُ.

والبصريون يقولون: لَمَّا كَانَ «بَلْ» تَقَعُ لِلْإِضْرَابِ، وَكُنَّا نُضْرِبُ عَنِ النَّفْيِ وَقَعَتْ بَعْدَ الْإِيجَابِ كَوَقْعِهَا بَعْدَ النَّفْيِ. و«لا بل» مثلها.

وقال قوم: يكون «بَلْ» بمعنى «إِنَّ» في قوله جلّ ثناؤه: ﴿ص. وَالْقُرْآنَ ذِي الذِّكْرِ، بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا - مَعْنَاهُ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا - فِي عِزَّةٍ﴾ قالوا: وذلك أَنَّ الْقَسَمَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ جَوَابٍ.

ويزعم ناسٌ أنها إذا جاءت في الإثبات كانت استداركاً. تقول: «لَقِيتُ زَيْدًا بَلْ عَمْرًا» وهذا عند الغلط.

(بَلَّهْ)

قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يقول الله جلّ ثناؤه: ﴿أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، بَلَّهْ مَا أَطْلَعْتُهُمْ عَلَيْهِ﴾ قالوا: معناه «سوى» و«دَع» كأنه قال: «سوى ما أطلعتهم عليه» و«دَع ما أطلعتهم» قال (أبو زُبَيْد):

تَمْشِي الْقُطُوفُ إِذَا غَنَّى الْحُدَاةُ لَهَا
مَشْيَ النَّجِيَّةِ، بَلَّهَ الْجِلَّةَ النَّجَبَا

(بَيْدٌ)

قالوا: «بَيْدٌ» بمعنى «غَيْرٌ». قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «نحن الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا وَأُوتِينَاهُ مِنْ بَعْدِهِمْ» أَي «غَيْرَ أَنَّهُمْ» قال الشاعر:

عَمْدًا فَعَلْتِ ذَاكَ بَيْدَ أَنِّي
إِخَالٌ لَوْ هَلَكْتُ لَمْ تُرِنِّي

(بَيْنَا) وَ (بَيْنَمَا)

هما لزمان غير محدود. واشتقاقهما من قولنا: «بَيْنِي وَبَيْنَهُ قَيْدٌ كَذَا» فإذا قلنا: «بَيْنَنَا نَحْنُ عِنْدَ زَيْدٍ أَنَا فُلَانٌ» فالمعنى «بَيْنَ أَنْ حَصَلْنَا عِنْدَ زَيْدٍ وَبَيْنَ زَمَانٍ آخَرَ أَنَا فُلَانٌ» قال:

فَبَيْنَا نَحْنُ نَرْقُبُهُ أَنَا
مُعَلِّقٌ شَكْوَةٌ وَزِنَادٍ رَاعٍ

(بَعْدُ)

يَدُلُّ عَلَى أَنْ يَعْقَبَ شَيْءٌ شَيْئًا. تقول: «جاء زيدٌ بعد عمرو» ويقولون: إنها تكون بمعنى «مع» يقال: «هو كريم وهو بعد هذا فقيه» أي: «مَعَ هَذَا» ويتأولون قول الله جل ثناؤه: ﴿وَالْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ على هذا، بمعنى «مع ذلك».

ومما أوله (تاء):

(تَعَالَى)

يقال: إنها أمرٌ أي «تفاعل» من «عَلَوْتُ . تَعَالَى . يَتَعَالَى» فإذا أمرت قلت: «تَعَالَى» كما تقول: «تَقاضٍ».

قالوا: وكثرت في الكلام حتى صارت بمنزلة «هَلُمَّ» حتى يقال لمن هو في عُلُوٍّ: «تَعَالَى» وأنت تُريدُ: «اهبط».

ولا يجوز أن تنهى بها. وقد تُصَرِّفُ فيقال: «تَعَالَيْتُ» و«إلى أي شيءٍ أتعالى؟».

ومما أوله (تاء)

(ثُمَّ)

ثُمَّ - يكون لِتَرَاجُحِي الثاني عن الأول: «جاء زيد ثم عمرو».

وتكون «ثم» بمعنى «واو العطف» قال الله جلّ ذكره: «فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون» أي وهو شهيد.

وتكون بمعنى التعجب كقوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ و﴿ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ وأنشد (قطرب) أن «ثم» بمعنى «الواو»:

سألت ربّيعَةَ: مَنْ خَيْرُهَا
أباً ثُمَّ أُمّاً؟ فقالت: لِمَهُ؟

ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ﴾ فأما قوله جلّ وعزّ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ﴾ فقال قوم معناها: ﴿وَصَوَّرْنَاكُمْ﴾ وقال آخرون: المعنى «ابتدأنا خلقكم» لأنه جلّ ثناؤه ابتداء خلق آدم عليه السلام من تُراب، ثم صَوَّرَهُ. وابتداء خلق الإنسان من نُطْقَةٍ ثم صَوَّرَهُ.

قالوا: ف«ثم» على بابها. قال الله جل ثناؤه: ﴿يُولُوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصِرُونَ﴾.

وزعم ناس أن «ثم» تكون زائدة. قال الله جل ثناؤه: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِقُوا، حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتِ الْأَرْضُ بِمَا رَحَّبَتْ -﴾ إلى قوله جل ثناؤه - ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ معناه: «حتى إذا ضاقت عليهم الأرض تاب عليهم» وقوله جل ثناؤه: ﴿خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا﴾ وقد كان قضى الأجل، فمعناه: «أخبركم أنني خلقتهم من طين، ثم أخبركم أنني قضيت الأجل» كما تقول: «كلمتك اليوم ثم قد كلمتك أمس» أي إني أخبرك بذلك ثم أخبرك بهذا.

وهذا يكون في الجمل، فأما في عطف الاسم على الاسم، والفعل على الفعل فلا يكون إلا مرتباً أحدهما بعد الآخر.

و: (ثُمَّ)

بمعنى «هنالك» قال الله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثُمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا﴾^(١) وقرئت: ﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ﴾ أي: هنالك الله شهيد.

ومما أوله (جيم):

(جَيْرِ)

يقولون: «جَيْرِ» بمعنى «حَقًّا» قال (المُفَضَّل): هي خَفَضُ أبدأ، ورُبَّمَا نَوْنُهَا. وأنشد المُفَضَّل:

ألا يا طالَ بالِغَرَبَاتِ لَيْلي

(١) القرآن الكريم: سورة الدهر: الآية ٢٠.

وما تَلَقَى بَنُو أَسَدٍ بِهِنَّ
 وَقَائِلَةٌ: أَسَيْتَ. فَقُلْتَ: جَيْرُ
 أَسِيٍّ إِنَّهُ مِنْ ذَاكَ إِنَّهُ
 أَصَابَهُمُ الْحِمَا وَهُمْ عَوَافٍ
 وَكُنَّ عَلَيْهِمْ نَجَسًا لُعِنَهُ
 فَجِيئَتْ قُبُورَهُمْ بَدَأُ وَلَمَّا
 فَنَادَيْتُ الْقُبُورَ فَلَمْ يُجِبْنَهُ
 وَكَيْفَ تَجِيبُ أَصْدَاءَ وَهَامٍ
 وَأَجْسَادَ بُدْرَنَ وَمَا نُجِرْنَهُ

الحما: أراد الحِمَامَ وَبُدْرَنَ: طَعْنٌ فِي الْبُؤَادِرِ.

(لا جَرَمَ)

قال: «جَرَمَ» بمعنى «حُقَّ» قال:

وَلَقَدْ طَعَنْتُ أَبَا عِيْنَةَ طَعْنَةً
 جَرَمْتُ فَرَارَةً بَعْدَهَا أَنْ يَغْضِبُوا

وذكر ناس أنها بمعنى « لا بُدَّ » و« لا مَحَالَةَ ».

وأصلح ما قيل في ذلك أن «لا» نفي لما ظنوا أنه ينفعهم في
 قوله جل ثناؤه: ﴿ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ والمعنى
 «لا» أي «لا ينفعهم ظنهم» ثم يقول مبتدئاً: ﴿ جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ
 هُمُ الْأَخْسَرُونَ ﴾ أي «كَسَبَهُمْ ذَلِكَ» «حُقَّ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ
 الْأَخْسَرُونَ».

قال (ابن قتيبة)^(١): وليس قول من قال: «حُقَّ لفزارة الغضب» بشيء، والأمر بخلاف ما قاله، لأن الذي يحصل من الكلمة ما قلناه أنه بمعنى «حُقَّ» فيكون على هذا «جَرَمَتْ فزارة بعدها أن يغضبوا» المعنى «أَحَقَّتْ الطَّعْنَةُ لفزارة الغضب». ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾ - ثم قال - ﴿لَا﴾ وهو ورد عليهم، وقال بعدها: ﴿جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ﴾ أي حُقَّ وكسب.

ومما أوله (حاء):

(حَتَّى)

تكون للغاية. قال الله جلّ ذكره: ﴿هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾^(٢) بمعنى «إلى» وقال تبارك اسمه: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابَ أَجَلَهُ﴾^(٣). وتكون بمعنى «كَيْ» تقول: «أَكَلَمَهُ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ» أي «كي يرضى». ويقولون: إنها تكون بمعنى العطف، تقول: «قَدِمَ الْجَيْشُ حَتَّىٰ الْأَتْبَاعِ».

ومذهب أهل البصرة أنه لا يجوز أن يُعْطَفَ بها حتى يكون الثاني من الأول. قالوا: لو قلت: «كَلَّمْتُ الْعَرَبَ حَتَّىٰ الْعَجْمِ» لم يجز. وقال (الفراء) لا يجوز «كَلَّمْتُ أَخَاكَ حَتَّىٰ أَبَاكَ» وهو مثل الاستثناء، كما لا يجوز «كَلَّمْتُ أَخَاكَ إِلَّا أَبَاكَ».

وأجاز (الفراء): «إِنَّهُ لِيُقَاتِلُ الرَّجَالَ حَتَّىٰ الْفِرْسَانَ» و«إِنْ كَلِمِي

(١) ورد ذكره سابقاً.

(٢) سورة القدر: الآية ٥.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

ليصيد الأرانبَ حتى الطِّبَاءِ» خفضاً ونصباً، قال الفراء: لأنَّ الطِّبَاءَ وإنَّ كانت مخالفة للأرانب فإنها من الصيد وهي أرفع منها.

وقال البصريون: هذا خطأ وفيه بطلان الباب. قالوا: لأنَّ «حتى» إنما جعلت لما تتناهى إليه الأشياء من أعلاها وأسفلها مما يكون منتهى في الغاية، فإذا قلت «ضربتُ القوم» جاز أن يتوهم السامع أن زيداً لم يدخل في الضرب، إما لأنه أعلاهم أو لأنه أدونهم، فمعنى «إلى» فيها قائم إذا كانت «إلى» منتهى الغاية.

والكوفيون لا يجعلون «حتى» حرف عطف، إنما يعربون ما بعدها بإضمار.

(حاشا)

معناها الاستثناء، واشتقاقها من «الحشا» وهي «الناحية» تقول: «خرجوا حاشا زيد» أي: إني أجعله في ناحية من لم يخرج ولا أجعله في جملة من خرج. قال الشاعر:

بأيِّ الحِشَا أمسى الخليطُ المُباينُ؟

ومن ذلك قولهم: «لا أحاشي بك أحداً» أي: لا أجعلك وإيَّاه في حِشَاً واحد، أي في ناحية واحدة بل أميّزك عنه.

ومما أوله (خاء):

(خَلا) و (ما خَلا)

أصلهما من قولنا: «خَلا البيت» و «خَلا الإناء» إذا لم يكن فيه شيء. كذلك إذا قلنا: «خرج النَّاسُ خَلا زيد» فإنما نُريد: أنه خَلا من الخروج، أو خَلا الخروجُ منه. وعلى هذا التأويل فالنصب فيه

أحسن. ومنه قول العرب: «افعلْ كذا وخلاك ذم» يريدون «عداك الذم» و«خلوت من الذم».

ومما أوله (راء):

(رُب)

يقولون: للتقليل، وهي مُناقِضة لـ «كَمْ» التي للتكثير، تقول: «رُبَّ رجلٍ لَقِيْتَهُ».

وقال قوم: وَضِعَتْ لتذكُرْ شيء ماضٍ من خيرٍ أو شرٍ. قال:

رُبَّ ركبٍ قد أناخوا حَوْلَنَا
يَشْرَبُونَ الخمرَ بالماءِ الزُّلالِ

قالوا: وعلى هذا التأويل قوله جل ثناؤه: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(١).

(رُويْدٌ)

قالوا: هو تصغيرُ «رُود» وهو المهل. قال:

كأنَّها مثل من يمشي على رُودٍ

وقال بعضهم: في قوله جل ثناؤه: ﴿أَمْهَلُهُمْ رُويْدًا﴾^(٢) أي قليلاً.

(ذو) و (ذات)

ذو- يدلُّ على المُلك. تقول: «هو ذو الثوب».

(١) سورة الحجر: الآية ٢.

(٢) سورة الطارق: الآية ١٧.

وقد يكون في غير المُلك أيضاً، بل يكون في صفة من صفاته نحو قولك: «هو ذو كلام» و«ذو عَارِضَةٍ». فمن الملك قوله جلّ ثناؤه: ﴿ذو العرش المجيد﴾^(١).

وأما «ذات» - فيكون في المؤنث كـ «ذا». وتكون لها معانٍ أخرى: تكون كِنَايَةً عن ساعة من يوم أو ليلة أو غير ذلك، كقولك: «ذاتُ يوم» و«ذاتُ عَشِيَّةٍ».

وتكون كِنَايَةً عن الحال كقوله:

وأهلُ حِبَاءٍ صَالِحٍ ذَاتُ بَيْنِهِمْ
قد احتربوا في عاجلِ أنا آجِلُهُ

ومن هذا قوله جلّ ثناؤه: «وأصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ»^(٢) أي الحال بينكم وأزيلوا المشاجرة.

ومن الزمان قوله:

لَمَّا رَأَتْ أَرْقِي وَطُورَ تَقَلُّبِي
ذات العِشَاءِ وَلَيْلِي المَوْصُولَا

وتكون للبنىة تقول: «هو في ذاته صالح» أي: في بنيته وخالقته.

وتكون للإرادة والنية كقوله جلّ ثناؤه: «والله عليهم بذات الصدور»^(٣) أراد السرائر. ومنه فيما ذكروا قوله:

مَحَلَّتْهُمْ ذَاتُ الْإِلَهِ وَدِينُهُمْ

(١) سورة البروج: الآية ١٥.

(٢) سورة الأنفال: الآية ١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

قَوْمٍ، فما يَرْجُونَ غَيْرَ الْعَوَاقِبِ^(١)
فقوله: «ذاتُ الإله» أي إرادتهم اللهُ تبارك اسمه.

(سَوْفَ)

تكون للتأخير والتنفيس والأناة.

(سَوَى)

تكون بمعنى «غير» وهما جميعاً في معنى «بَدَل» وهي مقصورةٌ
مكسورة فإذا مُدَّتْ فُتِحَ أولُها. قال:

تَجَانَفُ عَنْ جَوِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي
وما عدلتُ عن أهلِها لِسَوَائِكَا

أي: لغيرك. و«سَوَاءَ الْجَحِيمِ» وسطها، في غير معنى الأول.
وقد جاء «سَوَى» أيضاً. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿مَكَاناً سَوَى﴾.

(سَيِّمًا)

أصلُها «السِّيُّ» وهو «المِثْلُ». تقول: «ولا سَيِّمًا كذا» أي «ولا
سواء» قال: (امرؤ القيس):

ألا رَبَّ يَوْمٍ لَكَ مِنْهِنَّ صَالِحٍ
ولا سَيِّمًا يَوْمًا بِدَارَةِ جُلُجَلٍ

وأصله راجع إلى «السِّيِّ» وهو المثل. يقولون: «هما سيان» قال
(الحطّيبُ):

(١) البيت للنابغة في مدح الغساسنة، وروي أيضاً كما يلي:
مجلتُهم ذاتُ الإله ودينُهم قويمٌ، فما يرجون خير العواقب

فإياكم وحيّة بطن وإد
هَمْوز النَّابِ لَيْسَ لَكُمْ بِسِيٍّ

وسمعت أبا الحسن المعروف بابن التريكية يقول، سمعت (ثعلباً) يقول: من قاله بغير اللفظ الذي قاله (امرؤ القيس) فقد أخطأ.

(شَتَّانَ)

أصلها من «شَتَّ» ومن «التَّشَّتْ» وهو التَّفَرُّقُ والتَّبَاعُدُ، تقول: «شَتَّانَ ما هُما» أي: بَعْدَ ما بينهما، ويقال: هذا هو الأَفْصَحُ، وينشدون:

شَتَّانَ ما يومي على كُورِها
ويوم حَيَّانَ أخي جابِرِ

وربما قالوا: «شَتَّانَ ما بينهما» وليس بالفصيح.

(عَنْ)

يدلُّ على الانحطاط والنزول، تقول: «نَزَلَ عن الجبل» و«عن ظهر الدَّابة» و«أخذ العِلْمَ عن زيد» لأن المأخوذَ عنه أعلا رُتَبَةً من الآخذ.

وتكون بمعنى «بَعْدَ» في قوله: «لم تتنطق عن تَفْضُلٍ». ولها وجوه والأصل ما ذكرناه.

(عَلَى)

تكون للعلوِّ، تقول: «هو على السطح». وتكون للعزيمة، كما تقول: «أنا على الحجِّ العامِّ». وتكون للثباتِ على الأمر تقول: «أنا على ما عَرَفْتَنِي به».

وتكون للخلاف، مثل: «زيدٌ على عمرو» أي: مُخَالِفُهُ.
وهي - وإنْ انْشَعَبَتْ - راجعة إلى أصل واحد.

(عَوْض)

عوض - لزمان غير محدود ولا معلوم كنهه، كما قلناه في
«الحين» و«الدَّهر». قال (الأعشى):

رضيَعِي لِبَانِ ثُدِي أُمَّ تَقَاسَمَا
بِأَسْحَمِ دَاجِ عَوْضٍ لَا نَتَفَرَّقُ

ويقولون: «لأتيك عوض العائضين».

(عَسَى)

للقرب والدُّنو، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ
لَكُمْ﴾ (١). والأفصح أن يكون بعدها «أَنْ» ورُبَّما لم يكن. قال:

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ إِنَّهُ
لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي خَلِيقَتِهِ أَمْرٌ

قال «الكِسَائِي»: كل ما في القرآن من «عسى» على وجه الخبر
فهو مَوْحَدٌ: ﴿عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ﴾ و﴿عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا
مِنْهُمْ﴾ و﴿عَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ وَوَجَدَ عَلَى «عَسَى الْأَمْرُ أَنْ يَكُونَ
كَذَا».

وما كان على الاستفهام فإنه يُجْمَعُ كقوله جلَّ وعزَّ: ﴿فَهَلْ
عَسَيْتُمْ﴾ قال (أبو عُبَيْدَةَ) في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿هَلْ عَسَيْتُمْ﴾: هل
عدوتم ذلك، هل جُزتموه.

(١) سورة النمل: الآية ٧٢.

(غَيْر)

غَيْر - تكون استثناء، وتقوم مقامها «إلا»، تقول: «خرج الناس غير زيد» تريد «إلا زيداً».

أو تكون حالاً، وتقوم مقامها «لا» تقول: «فعلت ذلك غير خائف منك» أي «لا خائفاً منك».

(فِي)

زعموا أن «في» للتضمن، تقول: «المال في الكيس» و«الماء في الجرة». ويقولون: إنها تكون بمعنى «على» في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾.

وإنها تكون بمعنى «مع» في قوله جل ثناؤه: ﴿فِي تِسْعِ آيَاتٍ﴾.

وكان بعضهم يقول: إنما قال ﴿وَأَصْلِبْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ﴾ لأن الجذع للمصلوب بمنزلة القبر للمقبور فلذلك جاز أن يقال فيه هذا. وأنشدوا:

هُمُ صَلَبُوا الْعَبْدِيَّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍ
فَلَا عَظَسَتْ شَيْبَانُ إِلَّا بِأَجْدَعَا

(قَدْ)

قَدْ - جواب لمتوقع، وهي نقيض «ما» التي للنفي، وليس من الوجه الابتداء بها إلا أن تكون جواباً للمتوقع، وقوله جل وعز: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ على هذا المعنى، لأن القوم توقعوا علم حالهم عند الله تبارك اسمه فقبل لهم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ والحقيقة ما ذكرناه.

(كَمْ)

موضوعة للكثير في مقابلة «رُبَّ» تقول: «كم رجل لقيت».

وتكون استفهاماً، تقول: «كم مالك؟».

وقال (الفراء): نرى أن قول العرب «كم مالك؟» أنها «ما» وُصِلَتْ من أولها بكاف، ثم إن الكلام كثير بـ «كم» حتى حُذِفَتْ الألف من آخرها وسكنت ميمها، كما قالوا: «لِمَ قَلْتَ ذاك؟» ومعناه: «لِمَ» و«لِمَا قَلْتَ» قال:

فأنا الأَسْوَدُ لِمَ أَسَلَمْتَنِي
لِهُمُومٍ طَارِقَاتٍ وَذَكَرٍ؟

وقيل لبعض العرب «مذكم قعد فلان؟» فقال: «كَمْذُ أَخَذْتَ فِي حَدِيثِكَ» فزيادة الكاف في «مُذُ» دليل على أن الكاف في «كم» زائدة.

وعابَ (الزجاجُ) على (الفراء) قوله في «كم»، وقال: لو كان في الأصل «كما» وأسقطت ألف الاستفهام لَتَرَكْتُ على فتحها، كما تقول: «بِمَ» و«عَمَ» و«فِيمَ أَنْتَ».

والجوابُ عَمَّا قاله ما ذكره (أبو زكرياء) وهو كثرة الاستعمال وحثه ما ذكره في «لِمَ».

(كَيْفَ)

سؤال عن حال، تقول: «كَيْفَ أَنْتَ؟» أي: بأيِّ حال أنت؟ وقال بعض أهل اللغة: لها ثلاثة أوجه:

أحدها - سؤال محض عن حال، تقول: «كَيْفَ زَيْدٌ؟».

والوجه الآخر - حال لا سؤال معه، كقولك: «لَأَكْرِمَنَّكَ كَيْفَ كُنْتُ» أي: على أي حال كنت.

والوجه الثالث - «كيف» بمعنى التعجيب، وعلى هذين الوجهين يُفسَّر قوله: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ قالوا: معناها «على أي حال قَدَّرَ» وتعجيب أيضاً. ومن التعجيب قوله جلّ ثناؤه: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ!﴾.

وقد يكون «كيف» بمعنى النفي. قال:

كَيْفَ يَرْجُونَ سِقَاطِي بَعْدَمَا
لَاخَ فِي الرَّأْسِ مَشِيبٌ وَصَلَعٌ^(١)

ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾^(٢) و﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾^(٣).

وتكون توييحاً، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾^(٤).

فأما قوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ فهو توكيد لِمَا تَقَدَّمَ من خبر وتحقيق لِمَا بعده، على تأويل: إن الله لا يظلم مثقالَ ذرّةٍ في الدنيا فكيف في الآخرة.

(١) هذا البيت من قصيدة لسويد بن أبي كاهل اليشكري أوردها الضبي في مختاراته ومطلعها:

بَسَطْتُ رَابِعَةَ الْجِبَلِ لَنَا فَوصلنا الجبل منها ما اتسع

(٢) سورة التوبة: الآية ٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٠١.

(كَادَ)

قال (أبو عبيدة): «كاد» للمقاربة في قوله جل ثناؤه: ﴿لَمْ يَكُذِّبِرَاهَا﴾ أي: لَمْ يَر. وَلَمْ يُقَارَب. ومن المقاربة قول (جرير):

حيُّوا المقامَ وحيُّوا ساكن الدارِ
ما كدتَ تعرف إلا بعدَ إنكارِ

ويقولون: «كاد النَّعَامُ يَطِيرُ».

فهذه المقاربة للشبه ولا يكون، وبيت (جرير) يكون.

(كَانَ)

يدلُّ على المُضِيِّ، نقول: «كَانَ لَهُ مَالٌ».

وتكون بمعنى القُدرة، كقوله جل ثناؤه: ﴿مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي ما قدرتم.

وتكون بمعنى «صار» كقولك: «إِنْ كُنْتَ أَبِي فَصِلْنِي» أي: إِذَا صِرْتَ أَبِي. وأنشد:

أَجَزْتَ إِلَيْهِ حُرَّةً أَرْحَبِيَّةً
وَقَدْ كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ مِثْلَ الْأَرْنَدَجِ

أي: صار.

وتكون بمعنى الرهون، كقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا؟﴾^(١) أي: هل أنا إلا بشر.

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٣.

وتكون بمعنى «يَنْبَغِي» قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَلَّمْ مَا يَكُونُ لَنَا﴾
أي: ما يَنْبَغِي لَنَا.

و«كَانَ» تكون زائدةً، كقوله:

وَجِيرَانٍ لَنَا - كَانُوا - كِرَامٌ^(١)

وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿قَالَ وَمَا عَلِمِي بِمَا - كَانُوا -
يَعْمَلُونَ﴾ أي: بما يعملون، لأنه قد كان عالماً بما عملوه وهو إيمانهم به.

(كَأَيِّنُّ)

كَأَيِّنُّ - يكون بمعنى «كَمْ» قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَكَأَيِّنُّ مِنْ قَرْيَةٍ
عَتَّتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾^(٢).

وفيها لغتان: «كَأَيِّنُّ» بالهمز والتشديد. و«كَأَيِّنُّ». وقد قُرِيءَ
بهما، قال الشاعر:

وَكَأَيِّنُّ أَرِينَا الْمَوْتَ مِنْ ذِي تَحِيَّةٍ

إِذَا مَا أزدَرَانَا أَوْ أَصَرَ لِمَأْتَمٍ

وسمعت بعض أهل العربية يقول: ما أعلم كلمةً يثبتُ فيها
التنوين خطأً غير هذه.

(كَأَنَّ)

كلمة تشبيه، قال قوم: هي «إِنَّ» دخلت عليها كافُ التشبيه
ففتحت، وقد تخفف قال الله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿كَأَنَّ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرِّ
مَسَّةٍ﴾^(٣) إلا أنها إذا تُقِلَّتْ في مثل هذا الموضع قُرِنَتْ بها الهاء فقليل:

(١) شطر بيت للفرزدق يقول فيه:

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا - كانوا - كرام

(٢) سورة الطلاق: الآية ٨.

(٣) سورة يونس: الآية ١٢.

«كَأَنَّهُ لَمْ يَدْعُنَا». وقالت (الخنساء) في التخفيف:
كَأَن لَمْ يَكُونُوا جِمَى يُتَّقَى
إِذ النَّاسُ إِذ ذَاكَ مِنْ عَزَّ بَرًّا^(١)
أرادت: كأنهم لم يكونوا.

(كَلًّا)

تكون رَدًّا وِرْدَعًا ونَفِيًّا لدَعْوَى مُدَّعٍ إِذ قَالَ: «لَقِيتُ زَيْدًا» قَلْتُ:
«كَلًّا».

وربما كان صِلَةً لِيَمِينٍ، كَقَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كَلًّا وَالْقَمَرِ﴾.
وهي - وإن كانت صِلَةً لِيَمِينٍ - رَاجِعَةٌ إِلَى مَا ذَكَرْنَاهُ. قَالَ اللَّهُ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ: ﴿كَلًّا لَا تَطْعِمُهُ﴾ فِيهِ رَدُّعٌ عَنِ طَاعَةِ مَنْ نَهَاهُ عَنِ عِبَادَةِ اللَّهِ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ. وَنَكَتَهُ بِأَبْهَا النَّفْيِ وَالنَّهْيِ.

وزعم ناس أن أصل «كَلًّا»: «كَلَّا» و«لَا». قال:

أَصَابَ خِصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا
كَلًّا وَأَنْغَلَّ سَائِرُهُ انْغِلَالًا^(٢)

وهذا ليس بشيء. و«كَلَّا» كلمة موضوعة لما ذكرناه على
صورتها في التثقيب، وقد ذكرنا وجوه «كَلَّا» في كتاب أفردناه.

فأما نقيض «كَلًّا» فقال بعض أهل العلم: إن «ذلك» و«هذا»

(١) هذا البيت من مراثية للخنساء مطلعها:

تعرقني الدهر نهشاً ووخزاً وأوجعني الدهر قرعاً وغمزاً

(٢) البيت من قصيدة لذي الرمة في مدح بلال بن أبي بردة وفيها يقول:

سمعت الناس يتتجعون عيناً فقلت لصيدح انتجعي بلالاً

نقيضان لـ «لا». و «أن» كذلك نقيض لـ «كلاً». قال: وقوله جلّ ثناؤه: ﴿ذَلِكَ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَآتَتْصِرَ مِنْهُمْ﴾ على معنى: ذلك كما قلنا وكما فعلنا. ومثله: ﴿هَذَا وَإِنِ لِلطَّاغِينَ لَشَرٌّ مَّآبٍ﴾ بمعنى: هذا كما قلنا وإن للطاغين لشرّ مآب.

قال: ويدل على هذا المعنى دخول «الواو» بعد قوله: «ذلك» و«هذا» لأن ما بعد الواو يكون منسوقاً على ما قبله بها وإن كان مُضْمَرًا. وقال جلّ ثناؤه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ - ثم قال - ﴿كَذَلِكَ﴾ أي كذلك فعلناه ونفعله من التنزيل. ومثله في القرآن كثير.

(لَوْ) و (لَوْلَا)

لَوْ- تدل على امتناع الشيء لامتناع غيره، تقول: «لو حَضَرَ زَيْدٌ لحضرت» فامتنع هذا لامتناع هذا.

وكان (الفراء) يقول: «لو» يقوم مقام «إن»، قال جلّ ذكره: ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ بمعنى: وإن كره، ولولا أنها بمعنى «أن» لاقتضت جواباً. لأن «لو» لا بد لها من جواب ظاهر أو مُضْمَر كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ﴾ وإنما وُضِعَتْ مقام «أن» لأن في كل واحد منهما معنى الشرط، كما يقال في الكلام: «لَأَكْرِمَنَّكَ وَإِنْ جَفَوْتَنِي - و - لو جَفَوْتَنِي» و«لَأَعْطِيَنَّكَ وَإِنْ مَنَعْتَنِي - و - لو منعْتَنِي».

وأما «لَوْلَا» - فإنها تدل على امتناع الشيء لوجود غيره. تقول: «لولا زيدٌ لضربتك» فإنما امتنعت من ضربه لأجل زيد.

وقد يكون «لولا» بمعنى «هَلَّا» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرّعوا﴾^(١) أي «فَهَلَّا». قال الشاعر:

تَعْدُونَ عَقَرَ النِيبِ أَفْضَلَ مَجْدِكُمْ
بَنِي ضَوْطَرَى لَوْلَا الْكَمِيِّ الْمُقَنَّعَا^(٢)

أي: «هَلَّا».

وكذلك «لَوْمًا»، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿لَوْمًا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ﴾ أي «هَلَّا تَأْتِينَا».

وأما «لولا» الأولى فكقوله جلّ ثناؤه: ﴿فلولا أنه كان من المُسَبِّحِينَ لِلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ﴾^(٣) وقوله جلّ وعزّ: ﴿فلولا كانت قريةٌ آمَنَتْ﴾^(٤) فلها وجهان: أحدهما أن يكون بمعنى «هَلَّا» والوجه الآخر أن يكون بمعنى «لَمْ» يقول: فلم تكن قرية آمنّت فنفعها إيمانها إلا قومَ يونسَ. ومثله: ﴿فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقيةٍ ينهون عن الفساد في الأرض﴾ بمعنى لم يكن.

(لَمْ) و (لَمَّا)

لَمْ - تنفي الفعلَ المستقبلَ وتنقلُ معناهُ إلى الماضي. نحو «لم يقم زيد» تريد: ما قام زيد. فإن دخل عليها حرفُ جزاء لم تنقل معنى الاستقبال، تقول: «إِنْ لَمْ تَقُمْ» ولا يحسنُ السكوتُ عليها إلا إذا كانت جواباً لمثبت كأنَّ قائلاً قال: «قد خرج زيد» فتقول: «لَمَّا».

(١) القرآن الكريم: سورة الأنعام: الآية ٤٣.

(٢) هذا البيت من شعر جرير.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٤٤.

(٤) سورة يونس: الآية ٩٨.

و«لَمَّا» - لا تدخل إلا على مستقبل، تقول: «جئت ولما يجيء زيدٌ بعدُ» فيكون بمعنى «لم» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿بَلْ لَمَّا يذوقوا عذاب﴾.

فأما «لَمَّا» التي للزمان فتكون للماضي، تقول: «قصدتُك لَمَّا وَرَدَ فلان».

(لَنْ)

لَنْ - تكون جواباً للمثبت أمراً في الاستقبال، يقول: «سيقوم زيد» فتقول أنت «لن يقوم».

وحكي عن (الخليل) أنّ معناها: «لا أن» بمعنى «ما هذا وقت أن يكون كذا».

(لا)

لا - حرف نَسَقٍ يَنْفِي الفعلَ المُسْتَقْبَل، نحو «لا يخرج زيدٌ». ويُنهى به نحو «لا تفعل». ويكون بمعنى «لم» إذا دخلت على ماض كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى﴾ أي: لم يُصَدِّقْ ولم يُصَلِّ. وقال الشاعر:

وأي خميس لا أفأنا نهباه
وأسيافنا يقطرن من كبشه دما

وأنشدني أبي:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمًّا

وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لَا أَلْمَا^(١)
أي: أي عبد لك لم يُلمَّ بالذنب.

وكان (قُطِرْب)^(١) يقول: إن العرب تُدخل «لا» توكيداً في الكلام كما يُدخلون «ما» في مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿فِيمَا نَقَضَهُمْ﴾ وكذلك ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ أي: ما منعك أن تسجد. وكذلك ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ المعنى: أقسم. وقد يجوز في ﴿لَا أُقْسِمُ﴾ أن يكون نَفَى بها كلاماً تقدّم منهم، كأنه قال: ليس الأمر كذا؟ ثم قال: أقسم. وقال (زُهَيْر) في «لا»:

مُورَثُ الْمَجْدِ لَا يَغْتَالُ هِمَّتَهُ
عَنِ الرَّيَاسَةِ لَا عَجْزٌ وَلَا سَأْمٌ^(٢)

أي: لا يغتالها عجز. وقال:

بِیَوْمِ جَدُودَا لَا فَضَحْتُهُمْ أَبَاكُمْ
وَسَالِمْتُمْ وَالْخَيْلُ تَدْمَى نُحُورَهَا

يريد: فضحتم أباكم. وحكى (قطرب): «ضربتُ لا زيدا».

وقال آخر:

(١) هذا البيت من شعر عمرو بن معاوية بن سعيد بن هذيل المكنى بأبي خراش وقد أورده السكري في أشعار بني هذيل وذكر الأصمعي أنّ أبا خراش أنشد هذا البيت وبيتاً آخر وهو يسعى بين الصفا والمروة. وقيل: إنّ البيتين اللذين أشار إليهما الأصمعي مما كانت تقوله العرب في الجاهلية أثناء الطواف بالبيت، وهما:

لَا هُمْ هَذَا رِبْعٌ إِنْ تَمَّا أتمه الله وقد أنما
إِنْ تَغْفِرَ اللَّهُ تَغْفِرَ جَمًّا وادي عبد بن لا ألما

(٢) هذا البيت من قصيدة لزهير بن أبي سلمى في مدح هرم بن سنان، وهو من قصيدة مطلعها:

قف بالديار التي لم يعفها القدم بل وغيرها الأرواح والديم

وقد حداهن بلا غير خُرُق

وقال (الهذلي):

أفعنك لا برق كأن وميضه
غاب تسنمه ضرام مُثقب

ومن الباب قوله جل ثناؤه: ﴿لثلاً يعلم أهل الكتاب﴾.

قال (أبو عبيدة) في قوله جل ثناؤه: ﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ قال: «لا» من حروف الزوائد لتتميم الكلام، والمعنى إلغاؤها. قال (العجاج):

في بثر - لا - حورٍ سرى وما شعرُ

أي: بثر حور، أي هلكة. وقال (أبو النجم):

فما ألوم البيض أن - لا - تسخرأ

يقول: فما ألومهن أن يسخرن. وقال (الشمّاخ):

أعائش ما لأهلك^(١) - لا - أراهم

يضيعون الهجان مع المضيع؟

يريد: أراهم يضيعون السّوام، و«لا» إنما هي لغة. وقال:

ويلحينني في اللهو أن - لا - أحبه

وللهو داعٍ دائبٌ غير غافل

المعنى: يلحينني في اللهو أن أحبه. وفي القرآن: ﴿ما منعك

أن - لا - تسجد﴾ أي: أن تسجد.

قال (أحمد بن فارس): أما قوله إن «لا» في ﴿ولا الضالين﴾

(١) انظر ديوان الشمّاخ.

زائدة - فقد قيل فيه: إن «لا» إنما دخلت ها هنا مُزِيلَةً لتوهم متوهم أن الضالين هم المغضوب عليهم، والعرب تنعت بالواو، يقولون: «مررت بالظريف والعاقل» فدخلت «لا» مُزِيلَةً لهذا التوهم ومُعَلِّمَةً أن الضالين هم غير المغضوب عليهم. وأما قوله في شعر (الشَّمَاخ): إن «لا» زائدة في قوله: «ما لأهلك لا أراهم» فغلط من (أبي عبيدة) لأنه ظنَّ أنه أنكر عليهم فساد المال، وليس الأمر كما ظنَّ، وذلك أن «الشَّمَاخ» احتجَّ على امرأته بصنيع أهلها أنهم لا يُضيعون المالَ. وذلك أن امرأة الشَّمَاخ وهي (عائشة) قالت للشَّمَاخ: لِمَ تشدَّد على نفسك في العيش حتى تلزَم الإبلَ وتعزَّبَ فيها؟ فهوّن عليك. فردَّ على امرأته فقال: مالي أرى أهلك يتعهدون أموالهم ولا يضيعونها، بل يصلحونها، وأنت تأمريني بإضاعة المال؟ فقال:

أعائشَ ما لأهلكِ لا أراهم
يُضيعون الهجانَ مع المُضيعِ؟
وكيف يُضيع صاحبُ مُدَفَّاتِ
على اثباجهنَّ من الصقيعِ؟
لَمالُ المرءِ يُصلحه فيُغني
مَفَاقرَهُ أَعفُ من القُنوعِ

و«لا» تنفي الاسم المنكور، نحو: «لا رجلٌ عندك».

(لات)

اختلف الناس فيها: فمنهم من زعم أن «التاء» متصلة بـ«لا» وأنها بمنزلة «ليس» على تأويل «وليس حين مناصٍ» نصب «حين».

خير «ليس» وقال (الأفوه)^(١) وجعل «لات» بمعنى «جين»:

ترك الناس لنا اكتافهم
وتولوا لات لم يُغنِ الفرار

(لُدُنْ)

لُدُنْ - بمعنى «عِنْدَ». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قد بلغت من لُدُنِّي
عذراً﴾^(٢) وقال: ﴿لاتخذناه من لُدُنَّا﴾ أي: من عندنا.

وقد تحذف النون من «لُدُنْ» قال الشاعر:

من لُدْ لَحْيِيهِ إِلَى مَنْحَوْرِهِ

(لُدِّي)

بمعنى «لُدُنْ» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَلْفَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ﴾.

(لَيْسَ)

ليس - نفيٌ لفعلٍ مستقبلٍ تقول: «ليس يقوم».

وزعم ناس أنها من حروف النَّسْقِ نحو: «ضربتُ عبد الله ليس
زيداً» و«قام عبد الله ليس زيداً» و«مررت بعبد الله ليس بزيد»، لا يجوز
حذف الباء لأنك لا تضمّر المَرور والباء. ولو قلت: «ظننت زيداً ليس
عمراً قائماً» جاز. قال (لييد):

(١) هو صلاة برن عمرو بن مالك... ابن سعد العشيبة. وقيل: لقب بالأخوة
لأنه كان ظاهر الأسنان، غليظ الشفتين. وتذكر المراجع القديمة أن الأفوه
جاهلي قديم. وكان سيّداً في قومه وهو القائل:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم ولا سراة إذا جهالهم سادوا
تهدي الأمور بأهل الرأي ما صلحت فإن تولت فبالإشرار تنقاد

(٢) القرآن الكريم: سورة الكهف: الآية ٧٧.

وإذا جوزيت فرضاً فاجزه
إنما يجزي الفتى ليس الجمل

والبصريون يقولون: لا يجوز العطف بـ «ليس»، وهي لا تُشبه
من حروف العطف شيئاً. ألا ترى أنه يبتدأ بها ويضمّر فيها وروى
(سيبويه) هذا البيت:

إنما يجزي الفتى غيرَ الجمل

قالوا: وخطأ «رأيت زيدا ليس عمراً» لأنه لا يكون على تقديرهم
فعل بلا فاعل، وكان (الكسائي) يقول: أجريت «ليس» في النسق
مجري «لا».

(لَعَلَّ)

لَعَلَّ - تكون استفهاماً وَشكاً. وتكون بمعنى «خليق».

وحكي عن (الكسائي) أنّ «لعلّما» تأتي بمعنى «كأنما» و«أنما»
وأنكر (الفراء) هذا، قال: لأن «أنما» معبرة عن «أن» ولا يجوز أن
تُسقط «ما» منها أبداً.

وأهل البصرة يقولون: «لعلّ» ترجّح. وبعضهم يقول: توفّع.

وتكون «لعلّ» بمعنى «عسى». وتكون بمعنى «كي». قال الله جلّ
ثناؤه: ﴿وَأَنهَاراً وَسَبَّلاً لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ يريد: لكي تهتدوا.

(لَكِنَّ)

قال قوم: هي كلمة استدراك تتضمن ثلاثة معانٍ: منها «لا» وهي
نفي و«الكاف» بعدها مخاطبة و«التون» بعد الكاف بمنزل «إن»
الخفيفة أو الثقيلة، إلا أن الهمزة حذفت منها استثقلاً لاجتماع ثلاثة

معان في كلمة واحدة، ف«لا» تنفي خبراً متقدماً و«إن» تُثبت خبراً متأخراً، ولذلك لا تكاد تجيء إلا بعد نفي وجحد، مثل قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾. ومما يدلّ على أن النون في «لكن» بمنزلة «إن» خفيفة أو ثقيلة، أنك إذا ثقلت النون نصبت بها وإذا خففتها رفعت بها.

(مذ) و (منذ)

هما ابتداء غاية في زمان. نحو «مذ اليوم» و«منذ الساعة».

(مَا)

أصل «مَا» أنها تكون لغير الناس. تقول: «ما مرّ بك من الأبل؟».

فأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾^(١) فقال (أبو عبيدة): معناها «وَمَنْ خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى». وكذلك ﴿وَالسَّمَاءَ وَمَا بَنَاهَا﴾ أي «ومن بناها» وكذلك ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾. قال: وأهل مكّة يقولون إذا سمعوا صوت الرعد «سُبْحَانَ مَا سَبَّحَتْ لَهُ» وبعضهم يقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ أي: وخلقِه الذَّكَرَ وَالْأُنثَى.

و«ما» تكون صِلَةً، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) المعنى: قليلاً تذكرون. ولو كانت اسماً لارتفع فقلت: «قليل ما تذكرون» أي: قليل تذكركم.

و«ما» تكون للتفخيم، كقوله جلّ ثناؤه: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾.

ومنه:

(١) سورة الليل: الآية ٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٢.

بَأَنْتِ لَتَحْزُنُنَا عَفَاةَ
يَا جَارَتَا مَا أَنْتِ جَارَةٌ

وذكر بعضهم أن «ما» هذه هي التي تذكر في التعجب إذا قلنا:
«ما أحسن زيدا».

وقد تكون «ما» مُضْمَرَةً، كقوله جل ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾
أراد: ما ثم. وكما قال: ﴿هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ أي: ما بيني.
و«لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ أي: ما بينكم. فإذا قلت: «بينكم» فمعناه:
وصلكم.

وتكون للنفي، نحو «ما فعلت».

وتكون للاستفهام، نحو «ما عندك؟». وزعم ناس في قولهم:
«قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى» أن «ما» للنفي. وأنشدوا قول (الشماخ):

أَعْدَوْ الْقِمَاصِي قَبْلَ عَيْرٍ وَمَا جَرَى
وَلَمْ تَذِرْ مَا خُبْرِي، وَلَمْ أَدْرِ مَا لَهَا^(١)

يقول: نفرت هذه المرأة مني مثل ما نفرت أتان من عير من قبل
أن يبلوها ويعدو إليها. وما جرى، أي: لم يجر إليها.

(١) يروى أن الشماخ تزوج امرأة من بني سليم ثم اختلفا فزعمت أنه ضربها
وكسر يدها، فاشتكى أهلها إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه، لكن الشماخ
أنكر. فطلب الخليفة من كثير بن الصلت أن يستحلفه على منبر
الرسول ﷺ. وبهذه المناسبة قال الشاعر الشماخ القصيدة التي منها البيت
المذكور أعلاه، ومطلعها:

ألا أصبحت عرسي من البيت جامحاً على غير شيء، أي أمر بدا لها؟
- والبيت موضع الدرس روي فيه «القبصي» بالباء و«القبضي»، بالضاد،
كما روي «ما بالي» بدل «ما خبري».

(مِنْ)

يُسميها أهل العربية «ابتداءً غاية». وتكون للجنس، نحو «خاتم من حديد».

وتكون للتبويض، نحو «أكلت من الرغيف».

وتكون رفعاً للجنس نحو «ما جاءني من رجل».

وتكون صلةً، نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ و﴿نَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

وتكون تعجباً، نحو «ما أنت من رجل» و«حسبك من رجل».

وتكون بمعنى «على»، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَنَصَرْنَا مِنْ الْقَوْمِ﴾^(١). وكان (أبو عبيدة) يقول في قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ﴾^(٢): إن «من» صلة. قال (أبو ذؤيب):

جَزَيْتُكَ ضِعْفَ الْوَدِّ لَمَّا أَرَدْتَهُ
وما إن جزاك الضعف من أحد قبلي

وقال غيره: لا تزد من أمرٍ واجب، يقال: «ما عندي من شيء» و«ما عنده من خير» و«هل عندك من طعام؟». فإذا كان واجباً لم يحسن شيء من هذا: لا تقول «عندك من خير».

(مَنْ)

اسم لمن يعقل. تقول: «لَقِيتَ مَنْ لَقِيتَ» و«مَنْ مَرَّ بِكَ؟» في

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٧.

(٢) سورة النساء: الآية ١٢٣.

الاستفهام . وهو يكون في الواحد والاثنين والجميع . ويخرج الفعل منه على لفظ الواحد والمعنى تثنية أو جمع . قال :

تعال ، فإن عاهدتني لا تخونني
نكن مثل من يا ذيب يصطحبان^(١)

وكذلك يكون في المؤنث . قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ ﴾ . و «من» تضمّر . قال الله جل ثناؤه : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا يَؤْمِنَنَّ بِهِ ﴾^(٢) المعنى : إِلَّا مَنْ . ومثله «وما مِنَّا إِلَّا له مقام» أي إِلَّا مَنْ .

(مه) و (مهما)

مه - زجر وإسكات وأمر بالتوقّف عما يريد المرید ، كأنّ قائلاً يريد الكلام بشيء أو فاعلاً يريد فعلاً فيقال لهما «مه» أي : قف ولا تفعل . هذا مشهور في كلام العرب . قال :

مه مالي ليلة ، مه ماليه
يا راعي ذودي وأجماليه

ويكون هذا على أنّ أمراً تقدّم ، فردّ عليه القائل فقال : «مه» ثم مرّ كلام نفسه . و «مهّما» - بمنزلة «ما» في الشرط . قال الله جلّ

(١) هذا البيت من شعر الفرزدق خاطب به ذيباً وكان ينهش شاة له مسلوخة . فقطع الفرزدق رجل الشاة ورمى بها للذئب فأكلها ثم عاد ، فقطع له اليد ورمى بها . . ومطلع القصيدة :

وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأتاني
فلما دنا قلت : ادنْ دونك إنني وإياك في الزاد لمشتركان
فبت أسوي الزاد بيني وبينه على ضوء نار مرة ودخان

(٢) سورة النساء : الآية ١٥٧ .

ثناؤه: ﴿وقالوا: ما تأتينا به من آية﴾ ويقال: إنها «ما» أدخلت عليها
 «ما» قالوا: تكون إحداهما كالصلة كقوله جل ثناؤه: ﴿أَيَّامًا تَدْعُونَ﴾
 فغُيِّرَ اللفظ.

(مَتَى)

مَتَى - سؤالٌ عن وقت. تقول: «متى يخرج زيد؟».

و«متى» يكون شرطاً يقتضى التكرار. تقول: «متى كلمتُ زيداً
 فعلى كذا» سمعت علياً يقول: سمعت ثعلباً يقول ذلك.

فأما «متى» التي في لغة (هُذَيْل) فليست من هذا، لأنهم
 يقولون: «وضعتُه متى كُمِّي» يريدون: الوَسَطَ وينشدون:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَصَعَّدتْ
 مَتَى لَجَجِ خَضِرٍ لَهْنِ نَثِيجُ

قالوا: معناه من لَجَج. وقالوا: بمعنى وَسَط.

(نَعَمْ) و (نَعَم)

«نَعَمْ» - عِدَّةٌ تصديق. و«نَعَم» - كلمة تنبئ عن المحاسِنِ
 كلها.

(هَلُمَّ)

قالوا: معناها «تعال». وكان (الفراء) يقول: أصلها «هل» ضمَّ
 إليها «أم» وتأويل ذلك أن يقال: «هَلْ لَكَ في كذا، أم» أي: اقْصِدْ
 وتعال.

وكان (الفراء) يقول: معنى «اللهم» يا الله أمنا بخير. فكثرت في
 الكلام واختلطت وتُركت الهمزة.

(ها)

قالوا: معناها «حذ. تَنَاول» تقول: «ها يا رجل». ويُؤمر بها ولا يُنهى بها. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿هَآؤُمُ اقْرَؤْا كِتَابِيَهٗ﴾.

(هَاتِ)

بمعنى «أَعْطِ» على لفظ «رَام» و«عَاطِ». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ قال (الفراء): ولم يُسمع في الاثنين، إنّما يقال للواحد والجمع. ويقولون: أنا أهَاتِيكَ، وليس من كلامهم هَاتَيْتُ، ولا يُنهى بها. وبلغني أن رجلاً قال لآخر: هَاتِ. فقال: لا أهَاتِيكَ ولا أوَاتِيكَ.

(وَيَكَّانُ)

اختلف أهل العلم فيها. فقال (أبو زَيْد): معنى «ويكأنه» أَلَمْ تَرَ. وأنشد:

أَلَا وَيَكَّانُ الْمَسْرَةَ لَا تَدُومُ
وَلَا يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ النِّعِيمُ

وأنشد (أبو عبيدة):

سَأَلْتَانِي الطَّلَاقَ أَنْ رَأْتَانِي قَلَّ مَالِي . قَدْ جِئْتَمَانِي بِنُكْرٍ
وَيَكَّانُ مَنْ يَكُنْ لَهُ نَشَبٌ يُحْدِ سَبَبٌ وَمَنْ يَفْتَقِرُ يَعِشُ عَيْشَ ضَرِّ

وحدثني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن (الفراء) قال: هو في كلام العرب تقرير كما يقول القائل: «أما ترى إلى صنع الله».

وحكى (الفراء) عن شيخ من البصريين قال: سمعت أعرابية

تقول لزوجها: أين ابنك؟ فقال زوجها: ويكأنه وراء الباب. معناه: أما ترينه وراء الباب؟.

قال (الفراء) ويذهب بها بعض النحويين إلى أنهما كلمتان، يريد «وَيْكَ» إنما أراد «وَيْلَكَ» فحذف اللام ويجعل «أَنْ» مفتوحة بفعل مضمر كأنه قال: ويلك أعلم أن. وقال: إنما حذفوا اللام من «وَيْلَكَ» حتى صارت «وَيْكَ»، فقد تقول العرب ذلك لكثرتها في الكلام واستعمال العرب إياها. قال (عترة):

ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها
قيل الفوارس ويك عترة أقدم^(١)

وقال آخرون: ويك «وَيْ» منفصلة من «كأن» كقولك للرجل: أما ترى بين يديك. فقال: «وَيْ» ثم استأنف «كأن الله» و«كأن» في معنى الظن والعلم. وفيها معنى تعجب. قال: وهذا وجه مستقيم، ولم تكتبها العرب منفصلة. ويجوز أن يكون كثر بها الكلام فوصلت بما ليس منه، كما اجتمعت العرب على كتاب «يا بنوؤم» فوصلوها لكثرتها.

(أولى)

سمعت (أبا القاسم علي بن أبي خالد) يقول: سمعت (ثعلباً) يقول: «أولى له» أي: دانه الهلاك. وأصحابنا يقولون: «أولى» تهذؤ ووعيد. وهو قريب من ذلك. وأنشدوا:

أَلْفَيْتَا عَيْنَاكَ عِنْدَ الْقَفَا
أَوْلَى فَأَوْلَى لَكَ ذَا وَقِيَه

(١) ويك: للتعجب. وهي مركبة من: وي، وكاف الخطاب - وقوله: عترة منادى بالأداة المضمرة، وتاء عترة محذوفة للتخفيف وضرورة الوزن.

وقال قوم - وأنا أبرأ من عهده - : إن «أولى» مأخوذ من «الويل». وكان للويل فعل وتصريف درج ولم يبق منه إلا «الويل» قط. قال (جرير):

يَعْمَلْنَ بِالْأَكْبَادِ وَيَلًا وَآيِلًا
 فقولهُ: «أولى»: «أفعل» من الويل، إلا أن فيه القلب.
 وقال قوم «أولى»: دانه الهلاك فليحذر. قال:
 أولى لكم ثم أولى أن تصيبكم
 مني نواقر لا تبقي ولا تذر

(يا):

تكون للنداء، نحو: «يا زيد». وللدعاء، نحو «يا لله». وتكون للتعجب، كقولهِ: «يا له فارساً». وفي التعجب من المذموم: «يا له جاهلاً». قال في المدح أنشد فيه (القطن) عن (ثعلب):

يا فارساً ما أبو أوفى إذا شغلت
 كلتا اليدين كروراً غير فرار

وفي الذم قول الآخر:

أبو حازم جار لها وابن بُرثن
 فيا لك جاري ذلة وصغار

و«يا» للتلهف والتأسف نحو قوله جل ثناؤه: ﴿يا حسرةً على العباد﴾.

ويكون تنبيهاً كقولهِ:

يا شاعراً لا شاعر اليوم مثله

جرير ولكن في كليب تواضع
وعلى هذا يتأول قوله جل ثناؤه: ﴿ألا يسجدوا﴾ وقد ذكرناه.
و«يا» تكون للتلذذ نحو قوله:
يا بَرْدَهَا على الفؤاد لو يَقِفْ

باب معاني الكلام

وهي عند بعض أهل العلم عشرة: خبرٌ. واستخبار. وأمر.
ونهي. ودعاء. وطلب. وعرض. وتخصيض. وتمن. وتعجب.
فهذا:

(بابُ الخَبَرِ)

أما أهل اللغة فلا يقولون في الخبر أكثر من أنه إعلامٌ. تقول:
«أخبرته». أخبره» والخبر هو العلم.

وأهل النظر يقولون: الخبر ما جاز تصديق قائله أو تكذيبه. وهو
إفادة المخاطب أمراً في ماضٍ من زمان أو مستقبل أو دائم. نحو «قام
زيد» و«يقوم زيد» و«قائم زيد». ثم يكون واجباً وجائزاً وممتنعاً.
فالواجب قولنا: «النار مُحَرَقَةٌ». والجائز قولنا: «لقي زيد عمراً».
والممتنع قولنا: «حملت الجبل».

والمعاني التي يحتملها لفظ «الخبر» كثيرة: فمنها (التعجب)
نحو «ما أحسنَ زيداً». و(التمني) نحو: «وَدِدْتُكَ عندنا». و(الإنكار):
«ما له عليّ حق». و(النفي): «لا بأسَ عليك». و(الأمر) نحو قوله

جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿والمطلقات يتربصن﴾^(١). و (النهي) نحو قوله: ﴿لا يَمْسُهُ إِلَّا المَطَهَّرُونَ﴾^(٢). و (التعظيم) نحو «سبحان الله». و (الدعاء) نحو «عفا الله عنه». و (الوعد) نحو قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾^(٣). و (الوعيد) نحو قوله: ﴿وسيعلم الذين ظلموا﴾ (والإنكار والتبكي) نحو قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الكريم﴾.

وربما كان اللفظ خبيراً والمعنى شرطاً وجزاء، نحو قوله: ﴿إِنَّا كاشفو العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ فظاهره خبير، والمعنى: إِنَّا إِن كاشف عنكم العذاب تعودوا. ومثله ﴿الطلاق مرتان﴾ المعنى: مَنْ طَلَّق امرأته مرتين فليُمسِكها بعدهما بمعروف أو يسرحها بإحسان.

والذي ذكرناه في قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الكريم﴾^(٤) فهو تبكيه وقد جاء في الشعر مثله. قال شاعر يهجو جريراً:

أبلغ جريراً وأبلغ مَنْ يُبَلِّغُه
أني الأغرُّ وأني زهرة اليَمَنِ

فقال (جريرٌ) مبكِّتاً له:

ألم تكن في وُسُومٍ قد وَسَمْتَ بها
من حَانَ موعظةٌ يا زهرة اليَمَنِ؟

(١) سورة البقرة: الآية ٢٢٨.

(٢) سورة الواقعة: الآية ٧٩.

(٣) سورة السجدة: الآية ٥٣.

(٤) سورة الدخان: الآية ٤٩.

ويكون اللفظ خَبَرًا، والمعنى دعاء وطلب وقد مرَّ في الجملة.
ونحوه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) معناه: فأعِنَّا على عبادتك.
ويقول القائل: «أستغفر الله» والمعنى: اغْفِرْ. قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿لَا
تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ويقول الشاعر:

استغفرُ اللهَ ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ
ربَّ العبادِ إليه الِوَجْهُ والعملُ

(١) سورة الفاتحة: الآية ٤ .

(باب الاستخبار)

الاستخبار - طلب خُبْر ما ليس عند المستخبر، وهو الاستفهام.

وذكر ناس أن بين الاستخبار والاستفهام أدنى فرق. قالوا: وذلك أن أولى الحالين الاستخبار لأنك تستخبر فتجأ بشيء، فربما فهمته وربما لم تفهمه، فإذا سألت ثانية فأنت مستفهم تقول: أفهمني ما قلته لي. قالوا: والدليل على ذلك أن الباري جل ثناؤه يوصف بالخبر ولا يوصف بالفهم.

وجملة باب الاستخبار أن يكون ظاهره موافقاً لباطنه كسؤالك عمًا لا تعلمه، فتقول: «ما عندك؟» و«من رأيت؟».

ويكون استخباراً، في اللفظ، والمعنى تعجب. نحو: ﴿ما أصحاب الميمنة﴾. وقد يسمى هذا تفخيماً. ومنه قوله: ﴿ماذا يستعجل منه المجرمون﴾^(١) تفخيم للعذاب الذي يستعجلونه.

ويكون استخباراً والمعنى توبيخ. نحو: ﴿أذهبتم طياتكم﴾. ومنه قوله:

أغررتني وزعمت أنك لابن بالصيف تامر؟

ويكون اللفظ استخباراً، والمعنى تفجع. نحو: ﴿ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة﴾^(٢).

(١) سورة يونس: الآية ٥٠.

(٢) سورة الكهف: الآية ٥٥.

ويكون استخباراً، والمعنى تبييت نحو: ﴿أأنت قلت للناس﴾ تبييتٌ للنصارى فيما ادعوه.

ويكون استخباراً، والمعنى تقرير. نحو قوله جل ثناؤه: ﴿أأنت بربكم﴾.

ويكون استخباراً، والمعنى تسوية. نحو: ﴿سواء عليهم أنذرتهم أم لم تنذرهم﴾^(١).

ويكون استخباراً، والمعنى استرشاد. نحو: ﴿أتجعل فيها من يفسد فيها﴾^(٢).

ويكون استخباراً، والمعنى إنكار نحو: ﴿أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾. ومنه قول القائل:

وتقول عَزَّةٌ قد مَلَّتْ. فقل لها:
أيمَلُ شيءٌ نفسه فأمَلَهَا؟..

ويكون اللفظ استخباراً، والمعنى عَرَضَ. كقولك: «ألا تنزل».

ويكون استخباراً، والمعنى تحضيض. نحو قولك: «هلاً خيراً من ذلك» و:

بني ضَوْطَرَى لولا الكَمِيَّ المقنعا

ويكون استخباراً والمراد به الإفهام. نحو قوله جل ثناؤه: ﴿وما

(١) سورة البقرة: الآية ٦. وأيضاً سورة يس: الآية ١٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٧.

تلك بيمينك ﴿١﴾ قد علم الله أن لها أمراً قد خفي على موسى عليه السلام، فأعلمه من حالها ما لم يعلمه.

ويكون استخباراً، والمعنى تكثير، نحو قوله جل ثناؤه: ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ ﴿٢﴾ و﴿كأين من قرية﴾. ومثله:

كَمِ مِنْ دَنِيٍّ لَهَا قَدْ صِرْتُ أَتْبَعُهُ
وَلَوْ صَحَا الْقَلْبُ عَنْهَا كَانَ لِي تَبَعَا

وقال آخر:

وَكَمْ مِنْ غَائِطٍ مِنْ دُونِ سَلْمَى
قَلِيلِ الْأَنْسِ لَيْسَ بِهِ كَتِيعُ

ويكون استخباراً، والمعنى نفي. قال الله جل ثناؤه: ﴿فمن يهدي من أضلَّ اللهُ﴾ ﴿٣﴾ فظاهره استخبار والمعنى: لا هادي لمن أضلَّ اللهُ. والدليل على ذلك قوله في العطف عليه: ﴿وما لهم من ناصرين﴾. ومما جاء في الشعر منه قولُ (الفرزدق):

أَيَنْ الَّذِينَ بِهِمْ تُسَامِي دَارِمًا:
أَمْ مِنْ إِلَى سَلْفِي طَهِيَّةَ تَجْعَلُ

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿أفأنت تَنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾ ﴿٤﴾ أي لست منقذهم.

وقد يكون اللفظ استخباراً، والمعنى إخبار وتحقيق. نحو قوله

(١) سورة طه: الآية ١٧.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٣.

(٣) سورة الروم: الآية ٢٩.

(٤) سورة البقرة: الآية ٣٠.

جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿هل أتى على الإنسان حينٌ من الدهر﴾^(١) قالوا معناه: قد أتى.

ويكون بلفظ الاستخبار، والمعنى تعجب. كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾^(٢) و﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾^(٣) ومن دقيق باب الاستفهام أن يوضع في الشرط وهو في الحقيقة للجزاء. وذلك قول القائل: «إن أكرمتك تُكرمني» المعنى: أتكرمني إن أكرمتك؟ قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أفإن متَّ فهم الخالدون؟﴾^(٤) تأويل الكلام: أفهم الخالدون إن متَّ؟ ومثله: ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم؟﴾^(٥) تأويله: أفتنقلبون على أعقابكم إن مات؟.

وربما حذف العرب ألف الاستفهام. من ذلك قول الهذلي:

رَفُونِي وَقَالُوا: يَا خَوِيلِدُ لِمَ تَرَعُ
فَقُلْتُ - وَأَنْكَرْتُ الْوَجُوهَ - هُمُ هُمُ؟

أراد: أهم؟ وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا
شُعَيْثُ بْنُ سَهْمٍ، أَمْ شُعَيْثُ بْنُ مِنْقَرٍ؟

وقال آخر:

لَعَمْرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا
بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ، أَمْ بِثَمَانٍ؟

-
- (١) سورة الدهر: الآية ١.
 - (٢) سورة عمّ أو النبأ: الآية ١.
 - (٣) سورة المرسلات: الآية ١٢.
 - (٤) سورة الأنبياء: الآية ٣٤.
 - (٥) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

وعلى هذا حمل بعض المفسرين قوله جل ثناؤه في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿هذا ربي﴾: أي: أهدا ربي؟.

باب الأمر

الأمر عند العرب - ما إذا لم يفعله المأمور به سمي المأمور به عاصياً. ويكون بلفظ «أفعل» و«ليفعل» نحو ﴿أقيموا الصلاة﴾ ونحو قوله: ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾^(١).

فأما المعاني التي يحتملها لفظ الأمر فإن يكون أمراً، والمعنى مسألة. نحو قولك: «اللهم اغفر لي». قال:

مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبْرٍ
اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ فَجْرٌ^(٢)

ويكون أمراً، والمعنى وعيد. نحو قوله جل ثناؤه: ﴿فتمتعوا فسوف تعلمون﴾^(٣). ومثله قوله جل ثناؤه: ﴿اعملوا ما شئتم﴾. ومنه قول (عبيد):

حَتَّى سَقَيْنَاهُمْ بِكَأْسٍ مُرَّةٍ
فِيهَا الْمُثْمَلُ نَاقِعاً فليشربوا
ومن الوعيد قوله:

ارزؤوا^(٤) علي وأرضوا بي رحالكُم

(١) سورة المائدة: الآية ٥٠.

(٢) الفجور: الميل عن الصدق. والبيت المذكور من قول للراجز أوله:

أقسم بالله أبو حفص عمر
أي عمر بن الخطاب. وقصة ذلك أن أعرابياً أتاه فشكا إليه ما أصاب
إبله... فأقسم أنه ليس في إبله ما يزعم... إلخ.

(٣) سورة النحل: الآية ٥٥.

(٤) الأمر من روى يروي رواية.

وَاسْتَسْمِعُوا يَا بَنِي مَيْثَاءَ إِنْشَادِي
مَا ظَنُّكُمْ بِنَبِيِّ مَيْثَاءَ إِنْ رَقَدُوا
لَيْلًا وَشَدَّ عَلَيْهِمْ حَيَّةُ الْوَادِي؟

وقد جاء في الحديث: «إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» أَي:
إِنْ لَمْ يَجَلْ ثَنَاؤُهُ مَجَازِيكَ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا لَمْ تَحْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي
وَلَمْ تَسْتَحْيِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تسليم. نحو قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(١).

ويكون أمراً، والمعنى تكوين. نحو قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿كُونُوا قِرَدَةً
خَاسِيَةً﴾^(٢). وهذا لا يجوز أن يكون إِلا مِنْ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ.

ويكون أمراً، وهو نَدْب. نحو قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَانْتَشِرُوا فِي
الْأَرْضِ﴾^(٣). ومثله:

فَقُلْتُ لِرَاعِيهَا انْتَشِرْ وَتَبَقَّلْ

ويكون أمراً، وهو تعجيز. نحو وقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَانْفُذُوا، لَا
تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ﴾^(٤). ومثله:

خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهَا
وَابْرُزْ بِبَرَزَةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدْرُ

(١) سورة طه: الآية ٧٢.

(٢) سورة البقرة: الآية ٦٥.

(٣) سورة الجمعة: الآية ١٠.

(٤) سورة الرحمن: الآية ٣٣.

ويكون أمراً، وهو تعجب. نحو قوله جل ثناؤه: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ﴾.

قال:

أَحْسِنُ بِهَا خُلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ
مَوْعُودَهَا، وَلَوْ أَنَّ النَّصْحَ مَقْبُولٌ^(١)

ويكون أمراً، وهو تمنٍّ. تقول لِشَخْصٍ تَرَاهُ: «كُنْ فُلَانًا».

ويكون أمراً، وهو واجب. في أمر الله جل ثناؤه: ﴿أَقِيمُوا

الصلاة﴾.

ويكون اللفظ أمراً، والمعنى تلهيفٌ وتحسير. كقول القائل:
«مَتَّ بِغَيْظِكَ» و«مَتَّ بِدَائِكَ» وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿قُلْ مَاتُوا
بِغَيْظِكُمْ﴾^(٢) ثم قال (جرير):

مَاتُوا مِنَ الْغَيْظِ عَمَّا فِي جَزِيرَتِكُمْ
لَنْ تَقْطَعُوا بَطْنَ وَاذِ دُونَهُ مُضْرُ

ويكون أمراً، والمعنى خَبَر. كقوله جل ثناؤه: ﴿فَلْيَضْحَكُوا
قَلِيلًا، وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾^(٣) المعنى: أنهم سيضحكون قليلاً ويكون
كثيراً.

فإن قال قائل: فما حال الأمر في وجوبه وغير وجوبه؟ قيل له:
أما العرب فليس يُحفظُ عنهم في ذلك شيء، غير أن العادة بأن من
أمر خادمه بسقيه ماء فلم يفعل، أن خادمه عاصٍ. وأن الآخر مَعْصِيٌّ.

(١) البيت من قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي ومطلعها:

بانت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ متيمٌ إثرها لم يفسد مكبولٌ

(٢) سورة آل عمران: الآية ١١٩.

(٣) سورة التوبة: الآية ٨٣.

وكذلك إذا نهى خادمه عن الكلام فتكلم، لا فرق عندهم في ذلك بين الأمر والنهي .

فأما «النهي» - فقولك: «لا تَفْعَلْ». ومنه قوله:

لا تَنكِحِي - إن فَرَّقَ الدهر بيننا -
أغمَّ القفا والوجه ليس بأنزعا^(١)

وأما «الدعاء، والطلب» - فيكون لمن فوق الداعي والطالب.
نحو: «اللهم اغفر». ويقال للخليفة: «انظر في أمري». قال الشاعر:

إليك أشكو، فتقبل مَلَقِي
واغفر خطاياي وثمِّر وِرْقِي

و«العرض، والتحضيض» - متقاربان. إلا أن العَرَضَ أرفقُ.
والتحضيض أعزَمُ. وذلك قولك في العَرَضِ «ألا تنزل. ألا تأكل»
والإغراء والحثُّ قولك: «ألم يأن لك أن تطيعني». وفي كتاب الله
جل ثناؤه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾^(٢).
والحثُّ والتحضيض كالأمر ومنه قوله عز وجل: ﴿أَنْ آتَتْ الْقَوْمَ
الظَّالِمِينَ، قَوْمَ فِرْعَوْنَ، أَلَا يَتَّقُونَ﴾^(٣) فهذا من الحثِّ والتحضيض،
معناه: آتتهم ومُرهم بالاتقاء.

و«لولا» يكون لهذا المعنى، وقد مضى ذكرها. وربما كان
تأويلها النفي، كقوله جل ثناؤه: ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾
المعنى: اتخذوا من دونه آلهة لا يأتون عليهم بسُلطان بَيِّن.

(١) هذا البيت من قصيدة لهذبة بن خشرم يقول في مطلعها:

أفلي عليّ اللوم يا أم بوزعا ولا تجزعي ممّا أصاب فأوجعا

(٢) سورة الحديد: الآية ١٦.

(٣) سورة الشعراء: الآية ١٠.

و «التمني» - قولك: «وَدِدْتُكَ عِنْدَنَا» وقوله:

وَدِدْتُ - وما تُغني الوَدَادَةَ - أنني
بما في ضمير الحَاجِبِيَّةِ عَالِمٌ

قال قوم: هو من الأخبار، لأن معناه «ليس» إذا قال القائل:
«لَيْتَ لِي مَالاً» فمعناه: ليس لي مالٌ. وآخرون يقولون: لو كان خبراً
لجاز تصديق قائله أو تكذيبه، وأهل العربية مختلفون فيه على هذين
الوجهين.

أما «التعجب» - فتفضيل شخص من الأشخاص أو غيره على
أضرابه بوصف. كقولك: «ما أَحْسَنَ زَيْدًا». وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ وكذلك قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى
النَّارِ﴾ وقد قيل: إن معنى هذا: «ما الذي صَبَّرَهُمْ». وآخرون يقولون:
«ما أَصْبَرَهُمْ: ما أَجْرَاهُمْ». قال: وسمعت أعرابياً يقول لآخر: ما
أصبرك على الله، أي ما أجراك عليه.

باب الخطاب

يأتي بلفظ المذكر، أو لجماعة الذكور

إذا جاء الخطاب بلفظ مذكر ولم يُنصَّ فيه على ذكر الرجال فإنَّ
ذلك الخطاب شامل للذكور والإناث. كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾^(١). كذا تُعرف
العرب هذا. فإذا قال القائل: «هذا لقوم من بني فلان» فقد ذهب أكثر
أهل اللغة إلى أن «القوم» للرجال دون النساء، فسمعت علي بن
إبراهيم يقول، سمعت ثعلباً يقول: يقال «امروء». وأمرآن. وقوم»

(١) سورة البقرة: الآية ٤٣.

و«امرأة. وامرأتان. ونسوة». وسمعت علياً يقول، سمعت المفسر يقول، سمعت عبدالله بن مسلم يقول: «القوم» للرجال دون النساء، ثم يخالطهم النساء فيقال: «هؤلاء القوم قوم فلان» ولا يجوز للنساء ليس فيهن رجل: هؤلاء قوم فلان، ولكن يقال: هؤلاء من قوم فلان، لأن قومه رجال والنساء منهم. قال: وإنما سمي الرجال دون النساء قوماً لأنهم يقومون في الأمور وعند الشدائد يقال: قائم وقوم، كما يقال: زائر وزور. وصائم وصوم. ونائم ونوم. ومثله: «النفر» لأنهم ينفرون مع الرجال إذا استنفرهم. قال (امرؤ القيس):

فهو لا تنمي رميته ماله لا عد من نقره^(١)

ومما يدل على أن القوم للرجال قول (زهير):

وما أدري، وسوف إخال أدري،

أقول آل حصن أم نساء^(٢)

باب أقل العدد الجمع

الرتب في الأعداد ثلاث: رتبة الواحد. ورتبة الاثنين. ورتبة الجماعة، فهي للتوحيد والثنية والجمع، لا يزاحم في الحقيقة بعضها بعضاً. فإن عبّر عن واحد بلفظ جماعة وعن اثنين بلفظ جماعة فذلك كله مجاز والتحقيق ما ذكرناه. فإذا قال القائل: «عندي دراهم. أو أفراس. أو رجال» فذلك كله عبارة عن أكثر من اثنين. وإلى ذلك

(١) مطلع القصيدة التي منها البيت المذكور:

ربّ دام من بني ثعلب مثلج كفيه في قتره
وقوله: لا تنمي رميته: يريد إن هذه الرمية لا تجوز موضعها حتى تموت...

(٢) البيت من قصيدة زهير التي مطلعها:

عفا من آل فاطمة الجواء فيمن فالقوادم فالحساء

ذهب (عبدالله بن عباس) - ومكانه من العلم باللغة مكانه - في قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأَمِّهِ السُّدُسُ﴾^(١) إلى أن الحَجَبَ في هذ الموضوع عن الثلث إلى السدس لا يكون إلا بأكثر من اثنين، وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «الاثنان فما فوقهما جماعة» فإنما أراد أنهما إذا صَلَّى فقد حازا فضل الجماعة، لا أنّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم سمى الشخصين جماعة. وقول القائل: إن أقلّ ذلك أن يُجمع واحد إلى واحد فهذا مجاز، وإنما الحقيقة أن يُقال: كان واحد فثني ثم جمع. ولو كان الأمر على ما قالوه لما كان للثنية ولا للاثنتين معنى بوجه، ونحن نقول: «خرجا. ويخرجان» فلو كان الاثنان جمعاً لَمَا كان لقولنا «يخرجان» معنى، وهذا لا يقوله أحد.

باب الخطاب

الذي يقع به الإفهام من القائل، والفهم من السامع

يقع ذلك بين المتخاطبين من وجهين: أحدهما الإعراب، والآخر التصريف. هذا فيمن يعرف الوجهين، فأما من لا يعرفهما فقد يمكن القائل إفهام السامع بوجه يطول ذكرها من إشارة وغير ذلك. وإنما المَعْوَلُ على ما يقع في كتاب الله جلّ ثناؤه من الخطاب أو في سنة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أو غيرهما من الكلام المشترك في اللفظ.

فأما الإعراب - فيه تميّز المعاني ويُوقَف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلًا لو قال: «ما أحسن زيد» غير معرب» أو «ضرب عمر زيد» غير معرب لم يُوقَف على مراده. فإذا قال: «ما

(١) سورة النساء: الآية ١٠.

أَحْسَنَ زَيْدًا» أو «ما أَحْسَنُ زَيْدٍ» أو «ما أَحْسَنَ زَيْدٌ» أَبَانَ بِالْإِعْرَابِ عَنِ الْمَعْنَى الَّذِي أَرَادَهُ.

وللعرب في ذلك ما ليس لغيرها: فهم يَفْرُقُونَ بالحركات وغيرها بين المعاني. يقولون «مِفْتَحٌ» للآلة التي يُفْتَحُ بها. و«مَفْتَحٌ» لموضع الفتح و«مِقْصٌ» لآلة القص. و«مَقْصٌ» للموضع الذي يكون فيه القص. و«مِخْلَبٌ» للقدح يُحَلَبُ فيه و«مِخْلَبٌ» للمكان يُحْتَلَبُ فيه ذواتُ اللبن. ويقولون: «امرأة طاهر» من الحيض لأن الرجل لا يَشْرِكُهَا في الحيض. و«طاهرة» من العيوب لأن الرجل يَشْرِكُهَا في هذه الطَّهارة. وكذلك «قاعد» من الحَبَلِ و«قاعدة» من القعود. ثم يقولون: «هذا غلاماً أحسن منه رجلاً» يريدون الحالَ في شخص واحد. ويقولون «هذا غلام أحسنُ منه رجل» فهما إذاً شخصان. وتقول: «كم رجلاً رأيتَ؟» في الاستخبار و«كم رجلٍ رأيتَ» في الخبر يراد به التكثير. و«هُنَّ حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ» إذا كُنَّ قَدْ حَجَّجْنَ. و«حَوَاجُ بَيْتِ اللَّهِ» إذا أُرْدُنَ الْحَجَّ. ومن ذلك «جاء الشتاء والحطْبُ» لم يُرَدْ أَنَّ الحطب جاء، إنما أراد الحاجة إليه، فإن أراد مجيئهما قال: «والحطْبُ». وهذا دليل يدل على ما وراءه.

وأما التصريف - فإنَّ من فاتته علمُه فاتته المُعْظَمُ، لأننا نقول: «وَجَدَّ» وهي كلمة مبهمة فإذا صرفنا أفصحَتْ فقلنا في المال «وُجِدَّ» وفي الضالة «وِجْدَانًا» وفي الغضب «مَوْجِدَةً» وفي الحزن «وَجْدًا». وقال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(١) وقال: ﴿وَأَقْسَطُوا إِنْ لَمْ يَحِبُّوا الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢) كيف تحول المعنى بالتصريف

(١) سورة الجن: الآية ١٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

من العدل إلى الجور. ويكون ذلك في الأسماء والأفعال فيقولون للطريقة في الرمل «خِبة» وللأرض المخصبة والمجدبة «خِبة». وتقول في الأرض السهلة الخوارة «خارت، تخور، خوراً، وخوراً»، وفي الإنسان إذا ضعف «خار، خوراً»، وفي الثور «خار، خواراً». ويقولون للمرأة الضخمة «ضناك» وللزكمة «ضناك» ويقولون للإبل التي ذهبت ألبانها: «شول» وهي جمع «شائلة». والتي شالت أذنانها للّقح «شول» وهي جمع «شائل». ويقولون لبقية الماء في الحوض «شول» ويقولون للعاشق «عميد» وللبعير المتأكل السنّام «عمد» إلى غير ذلك من الكلام الذي لا يُحصى.

باب معاني ألفاظ العبارات التي يعبر بها عن الأشياء

ومرجعها إلى ثلاثة وهي: المعنى، والتفسير، والتأويل. وهي وإن اختلفت فإن المقاصد بها متقاربة.

فأما المعنى - فهو القصد والمراد. يقال: «عَنَيْتُ بالكلام كذا» أي: قَصَدْتُ وَعَمَدْتُ. أنشدني القَطَّان عن ثعلب عن (ابن الأعرابي):

مثلُ البُرَامِ غدا في أَصْدَةِ خَلْقِ
لم يَسْتَعِنِ وَحوامِي الموتِ تَغْشَاهُ
فَرَجَّتْ عنه بِصِرْعَيْنَا لأرْمَلَةَ
وبائس جاء معناه كمعناه

يقول في رجل قَدِمَ لِيُقْتَلَ، وأنه فرج عنه بِصِرْعَيْنِ، أي فِرْقَيْنِ من غنم: قد كنتُ أعددتُها لأرْمَلَةَ تَأْتِينِي تسألني أو لبائس مثل هذا المقدم ليقتل معناه كمعناه، أي إن مقصدهما في السؤال والبؤس

مقصد واحد ويجوز أن يكون المعنى «الحال» أي حالهما واحدة.

وقال قوم اشتقاق «المعنى» من «الإظهار» يقال: «عَنْتِ القِرْبَةَ» إذا لم تحفظ الماء بل أظهرته، و«عنوان الكتاب» من هذا. وقال آخرون: «المعنى» مشتق من قول العرب «عَنْتِ الأرض بنبات حسن» إذا أنبتت نباتاً حسناً. قال الفراء: «لم تَعْنُ بلادنا بشيء» إذا لم تُنبت وحكى (ابن السكيت): «لم تَعْنِ» من «عَنْتَ. تعني» فإن كان هذا فإن المراد بالمعنى الشيء الذي يفيد اللفظ كما يقال: «لم تَعْنِ هذه الأرض» أي: لم تُفد.

وأما «التفسير» - فإنه «التفصيل» كذا قال (ابن عباس) في قوله جل ثناؤه: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾ أي: تفصيلاً.

وأما اشتقاقه فمن «الفسر». أخبرني القَطَان عن المَعْدَانِي عن أبيه عن معروف عن الليث عن (الخليل) قال: الفسر البيان، واشتقاقه من فَسَّرَ الطبيب للماء إذا نظر إليه، ويقال لذلك: «التَّفْسِيرَةَ» أيضاً.

وأما «التأويل» - فَأَخِرُ الأمر وعاقبته. يقال: «إلى أي شيء مآل هذا الأمر؟» أي مَصِيرُهُ وآخِرُهُ وعقباه. وكذا قالوا في قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾^(١) أي: لا يعلم الآجال والمُدَدَ إِلَّا اللَّهُ جل ثناؤه، لأن القوم قالوا في مدة هذه الملة ما قالوه، فأعلموا أن مآل الأمر وعقباه لا يعلمه إلا الله جل ثناؤه.

واشتقاق الكلمة من «المآل» وهو العاقبة والمصير، قال (عَبْدَةُ بن الطبيب):

(١) سورة آل عمران: الآية ٧.

وَلِأَجِبَّةَ أَيامَ تَذَكَّرُهَا
وَلِنَوَى قَبْلَ يَوْمِ الْبَيْنِ تَأْوِيلُ

وقال (الأعشى):

عَلَى أَنَّهَا كَانَتْ تَأْوُلُ حُبَّهَا
تَأْوُلَ رِبْعِيٍّ السَّقَابِ فَأَصْحَبَا

يقول: إن حبها كان صغيراً في قلبه فال إلى العظم ولم يزل
يُنبت حتى أصحب، فصار كالسقب الذي لم يزل يشب حتى أصحب،
يعني أنه إذا استصحبت أمه صحبها.

باب الخطاب المطلق والمقيّد

أما الإطلاق - فإن يُذكر الشيء باسمه لا يُقرَن به صفة ولا شرط
ولا زمان ولا عدد ولا شيء يشبه ذلك.

والتقيّد - أن يُذكر بِقَرِينٍ من بعض ما ذكرناه، فيكون ذلك القرين
زائداً في المعنى. من ذلك أن يقول القائل: «زيدٌ لَيْثٌ»، فهذا إنما
شبهه بليث في شجاعته، فإذا قال: «هو كالليثِ الحَرَبِ» فقد زاد
«الحَرَبِ» وهو الغضبان الذي حُرِبَ فريسته، أي: سلبها. فإذا كان
كذا كان أدهى له. ومن المطلق قوله:

تراثيها مصقولة كالسجنجل^(١)

(١) هذا عجز بيت لأمرى القيس، من المعلقة، وفيه يقول:
مهفهفةً بيضاء غير مفاضة تراثيها مصقولة كالسجنجل
والتراث: أعلى الصدر - السجنجل (لفظة رومية) معناها: المرأة.

فشبه صدرها بالمرأة، لم يزد على هذا. وذكر (ذو الرمة) أخرى فزاد في المعنى حتى قيد فقال:

ووجه كمرأة الغريبة أسجح

فذكر المرأة كما ذكر (امرؤ القيس) السنجل، وزاد الثاني ذكر الغريبة فزاد في المعنى، وذلك أن الغريبة ليس لها من يعلمها محاسنها من مساوئها فهي تحتاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتربها ما تحتاج إلى رؤيته من سنن وجهها. ومنه قول (الأعشى):

تروح على آل المخلق جفنة
كجايبة الشيخ العراقي تفهق

فشبه الجفنة بالجايبة، وهي الحوض، وقيدها بذكر الشيخ العراقي، لأن العراقي إذا كان بالبدو لم يعرف مواضع الماء ومواقع الغيث، فهو على جمع الماء الكثير أحرص من البدوي العارف بالمناقع والأحساء. ومن هذا الباب قول (حميد بن ثور) يصف بعيراً:

محلّى بأطواق عتاق يبينها
على الضرّ راعي الثلّة المتعيّف

فقال «راعي ثلّة» ولم يطلق اسم الراعي، وذلك أنهم يقولون: إن راعي الغنم أجهل الرعاة، فيقول: إن هذا البعير محلّى بأطواق عتاق، أي كريمة، يبينها راعي الثلّة على جهله فكيف بغيره ممن يعرف.

باب الشيء يكون ذا وصفين فِيُعَلَّقُ بِحُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ عَلَى أَحَدٍ وَصْفِيهِ

أما الفقهاء فمختلفون في هذا.

فأما مذهب العرب فإنَّ العربي قد يذكر الشيء بإحدى صفتيه فيؤثِّر ذلك، وقد يذكره فلا يؤثِّر بل يكون الأمر في ذلك وفي غيره سواءً. ألا ترى القائل يقول:

مِنْ أَنْاسٍ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ
عَاجِلُ الْفُحْشِ وَلَا سَوْءُ الطَّمَعِ

فلو كان الأمر على ما يذهب إليه من يُخَالِفُ مذهبَ العرب لاستجيز عاجلُ الفُحْشِ إذ كان الشاعرُ إنما ذكر العاجل، وقد قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ والكفر لا يجوز في حال من الأحوال. وحكى ناس عن (أبي عبيد) إنما سلك فيما قاله من هذا مسلك التَّأْوُلِ ذاهباً إلى مذهب من يقول بهذه المقالة، ولم يحك ما قاله عن العرب، ولو حكاها عنهم للزم القولُ به، لأنَّ (أبا عبيد) ثقة أمين فيما يحكيه عن العرب، فأما في الذي تأوَّله فإننا نحن نخالفه فيه كما نخالفه في مسألة مُتعة الحج وفي ذوي الأرحام وغير ذلك من المسائل المختلف فيها.

باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز

نقول في معنى الحقيقة والمجاز:

إن «الحقيقة» - من قولنا «حقَّ الشيء» إذا وجب. واشتقاقه من الشيء المحقَّق وهو المُحَكَّم، تقول: «ثوب محقَّق النَّسْجِ» أي مُحَكَّمُهُ. قال الشاعر:

تَسْرِبُلُ جِلْدَ وَجهِ أَبِيكَ إِنَّا
كَفِينَاكَ الْمَحَقَّةَ الرَّقَاقَا

وهذا جنس من الكلام يُصَدِّقُ بعضُهُ بعضاً من قولنا: «حَقٌّ»
وحقيقة. ونصُّ الحِقَاقِ». فالحقيقة: الكلام الموضوع موضِعَه الذي
ليس باستعارة ولا تمثيل، ولا تقديم فيه ولا تأخير، كقول القائل:
«أحمدُ اللهَ على نِعَمِهِ وإِحسانِهِ». وهذا أكثر الكلام. قال الله جلَّ
ثناؤُهُ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ
هُمْ يوقِفُونَ﴾ وأكثر ما يأتي من الآي على هذا. ومثله في شعر
العرب:

لَمَالُ الْمَرْءِ يُضْلِحُهُ فَيَغْنِي
مَفَايِرَهُ أَعْفُفٌ مِنَ الْقُنُوعِ^(١)

وقول الآخر:

وفي الشَّرِّ نَجَاةٌ جِـ مِـنَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانُ
وأما «المجاز» - فمأخوذ من «جازَ، يَجُوزُ» إذا استنَّ ماضياً
تقول: «جاز بنا فلان. وجاز علينا فارس» هذا هو الأصل. ثم تقول:
«يجوز أن تفعل كذا» أي: يَنْفُذُ وَلَا يَرُدُّ وَلَا يُمْنَعُ. وتقول: «عندنا
دراهم وَضَحَ وازنة وأخرى تَجُوزُ جَوَازَ الْوَازِنَةِ» أي: إن هذه وإن لم
تكن وازنة فهي تجوز مجازها وجوازها لِقُرْبِهَا مِنْهَا. فهذا تأويل قولنا:
«مجاز» أي: إن الكلام الحقيقي يَمْضِي لِسَنَنِهِ لَا يُعْتَرِضُ عَلَيْهِ، وقد
يكون غيره يجوز جوازه لِقُرْبِهِ مِنْهُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ مِنْ تَشْبِيهِ وَاسْتِعَارَةٍ وَكَفِّ
ما ليس في الأول، وذلك كقولك: «عطاء فلان مُزْنٌ وَاكْفٌ» فهذا

(١) هذا البيت من شعر الشَّمَاخِ (وقد سبقت الإشارة إليه).

تشبيه وقد جاز مجاز قوله: «عطاؤه كثير وافٍ» ومن هذا في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرطوم﴾^(١) فهذا استعارة. وقال: ﴿وله الجوّاري المُنشآتُ في البحر كالأعلام﴾^(٢) فهذا تشبيه. ومنه قول الشاعر:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً
تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَدَبَّدَبُ
بِأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمَلوكُ كَوَاكِبُ
إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُنَّ كَوَكَبُ^(٣)

فالمجاز هنا عند ذكر «السورة» وإنما هي من البناء. ثم قال «يتدبذب» والتدبذب يكون لِدَبَابِيبِ الثوب وهو ما يتدلّى منه فيضطرب ثم شبهه بالشمس وشبههم بالكواكب.

وجاء هذان البابان في نُظوم كتاب الله جلّ ثناؤه، وكذلك ما يجيء بعدهما ما نذكره من سُنن العرب لتكون حجة الله جلّ اسمه عليهم آكد، ولئلاً يقولوا: إنما عجزنا عن الإتيان بمثله لأنه بغير لغتنا وبغير السُنن التي نَسْتُنُّهَا. لا، بل أنزله جلّ ثناؤه بالحروف التي يعرفونها وبالسُنن التي يسلكونها في أشعارهم ومخاطباتهم ليكون عجزهم عن الإتيان بمثله أظهر وأشهر. ثم جعله تبارك اسمه أحد دلائل نبوة نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. ثم أعلمهم ألا سبيل لهم إلى معارضة، وقطع العذر بقوله جلّ ثناؤه: ﴿قل لئن

(١) سورة «ن»: الآية ١٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٢٤.

(٣) هذان البيتان من شعر النابغة في مدح الملك النعمان بن المنذر.

اجتمعتِ الإنسُ والجنُّ على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴿١﴾ .

فمن سنن العرب مخالفة ظاهر اللفظ معناه، كقولهم عند المدح: «قاتله الله ما أشعره» فهم يقولون هذا ولا يريدون وقوعه. ومن قول (امرئ القيس) يصف رامياً:

فهو لا تَنَمِي رَمِيَّتُهُ ماله لا عُدَّ من نَفَرِهِ
يقول: إذا عُدَّ نفره لم يعدَّ معهم، كأنه قال: قتله الله،
أماته الله، حتى لا يعدَّ. ومنه قولهم: «هَوَتْ أُمُّهُ. وَهَبَلَتْهُ. وَثَكَلَتْهُ»
قال: (كعب بن سعد) يرثي أخاه:

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصَّبْحُ غَادِيَاً
وماذا يُوَدِّي اللَّيْلُ حِينَ يُوْبُ

وهذا يكون عند التعجب من إصابة الرجل في رميه أو في فعل يفعله وكان (عبدالله بن مسلم بن قتيبة) يقول في هذا الباب: من ذلك الدعاء على جهة الذم لا يراد به الوقوع كقول الله جل ثناؤه: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ. وَقُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ. وَقَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ وأشباه ذلك.

قال أحمد بن فارس: وهذا وإن أشبه ما تقدم ذكره فإنه لا يجوز لأحد أن يُطلق فيما ذكره الله جل ثناؤه أنه دعاء لا يراد به الوقوع، بل هو دعاء عليهم أراد الله وقوعه بهم فكان كما أراد، لأنهم قُتلوا وأهلكوا وقوتلوا ولعنوا، وما كان لله جل ثناؤه ليدعوا على أحد فتجيد الدعوة عنه: قال الله جل ثناؤه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ﴾^(١) - فدعا عليه ثم قال -

(١) سورة المسد أو تبت: الآية ١ .

﴿وَتَبَّ﴾ أي وقد تبَّ وحق به التَّبَاب. و (ابن قتيبة) يُطلق إطلاقات منكرةً ويروي أشياء شنعاء، كالذي رواه عن (الشَّعْبِيِّ) أنَّ أبا بكر وعمر وعلياً توفوا ولم يجمعوا القُرُون. قال: وروى شريك عن إسماعيل بن أبي خالد قال: سمعت الشَّعْبِي يقول ويحلف بالله: لقد دخل (عليّ) حُفْرته وما حفظ القرآن. وهذا كلام شنع جداً فيمن يقول: «سَلُونِي قبل أن تَفْقِدُونِي، سلوني فما من آية إلا أعلم أبليلٍ نَزَلَتْ أم بنهار، أم في سَهْل أم في جبل» وروى السُّدِّي عن عبد خيرٍ عن عليّ رضي الله تعالى عنه أنه رأى من الناس طَيْرَةً عند وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فأقسم ألا يضع على ظهره رداءً حتى يجمع القرآن قال: فجلس في بيته حتى جمع القرآن، فهو أول مصحف جُمع فيه القرآن، جَمَعَهُ من قلبه، وكان ند (آل جعفر). وحدثنا علي بن إبراهيم عن علي بن عبدالعزيز قال: قال أبو عبيد حدثني نصر بن باب عن الحجاج عن الحكم عن أبي عبدالرحمن السُّلَمِي أنه قال: ما رأيتُ أحداً أقرى من (عليّ) صلوات الله عليه، صلينا خلفه فأسوأ بَرزخاً ثم رجَع فقرأه ثم عاد إلى مكانه قال (أبو عبيد) البرزخ: ما بين كل شيئين، ومنه قيل للميت: هو في البرزخ، لأنه بين الدنيا والآخرة، فأراد أبو عبدالرحمن بالبرزخ ما بين الموضع الذي أسقط علي صلوات الله عليه منه ذلك الحرف إلى الموضع الذي كان انتهى إليه.

باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق

يكون ذلك على وجوه: فمنه اختلاف اللفظ والمعنى، وهو الأكثر الأشهر، مثل «رجل. وفرس» و«سيف. ورمح» ومنه اختلاف

اللفظ واتفاق المعنى، كقولنا: «سيف. وعَضِب» و«لَيْث. وأَسَد» على مذهبنا في أن كل واحد منهما فيه ما ليس في الآخر من معنى وفائدة.

ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا عين الماء وعين المال وعين الرّكبة وعين الميزان^(١) ومنه في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿قَضَى﴾ بمعنى: حَتَمَ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ وقضى بمعنى: أمرَ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلاَّ إِيَّاهُ﴾^(٢) أي أمر. ويكون قضى بمعنى: أعلمَ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب﴾^(٣) أي أعلمناهم. وقضى بمعنى: صَنَعَ كقوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ وكقوله جلّ ثناؤه: ﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ﴾ أي اعملوا ما أنتم عاملون. وقضى: فرَغ. ويقال للميت: قَضَى أي فرغ. وهذه وإن اختلفت ألفاظها فالأصل واحد.

ومنه اتفاق اللفظ وتضادُّ المعنى كـ«الظنّ» وقد مضى الكلام عليه.

ومنه تقارب اللفظين والمعنيين كـ«الحزْم» و«الحزن». فالحزْمُ من الأرض أرفع من الحزن. وكـ«الخَضْم» وهو بالفم كله. و«القَضْم» وهو بأطراف الأسنان.

ومنه اختلاف اللفظين وتقارب المعنيين كقولهم «مدحه» إذا كان حيّاً و«أبَّه» إذا كان ميتاً.

(١) انظر قصيدة ابن فارس في معاني العين، الواردة في مقدّمة هذا الكتاب.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٤.

ومنه تقارب اللفظين واختلاف المعنيين وذلك قولنا «حَرَجَ» إذا وقع في الحَرَجِ و«تَحَرَّجَ» إذا تباعد عن الحرج. وكذلك «أُثِمَّ: وتَأْتَمَّ». و«فَزَعَ» إذا أتاها الفَزَعُ و«فُزِعَ عن قلبه» إذا نَجِيَ عنه الفزع قال الله جَلَّ ثناؤه: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أراد والله أعلم: أخرج منها الفزع.

باب القلب

ومن سنن العرب القلبُ. وذلك يكون في الكلمة، ويكون في القِصَّة:

فأما الكلمة - فقولهم: «جَدَبَ وجَبَدَ» و«بَكَلَ. ولَبَكَ» وهو كثير وقد صنّفه علماء اللغة، وليس من هذا فيما أظن من كتاب الله جَلَّ ثناؤه شيءٌ.

وأما الذي في غير الكلمات - فقولهم:

كما عُصِبَ العِلباء بالعود
و: كما كان الزنأ فريضة الرّجم
و: كأنّ لون أرضه سماؤه
و: كأنّ الصفا أوراؤها

إنما أراد: كان أوراؤها الصفا، ويقولون: «أدخلت الخاتم في

إصبعي» و:

تشقى الرّماح بالضيا طرة الحمير
و: كما بطنت بالفدن السيّاعا
و: حَسَرْتُ كَفِّي عن السّربال

وإنما حَسَرَ السِّرْبَالَ عن كفه. ومثله في كتاب الله جَلَّ ثناؤه: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ﴾ ومنه قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ﴾^(١) ومعلوم أن التحريم لا يقع إلا على مَنْ يَلْزُمُهُ الأمر والنهي، وإذا كان كذا فالمعنى: وحرَّمْنَا على المراضع أن يَرْضِعْنَ. ووجه تحريم إرضاعه عليهن أن لا يَقْبَلَ إرضاعهن حتى يُرَدَّ إلى أمه. قال بعض علمائنا: ومنه قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) والأصنام لا تعادي أحداً، فكأنه قال: فأني عدوٌّ لهم. وعداوته لها بغضه إيَّها وبراءته منها.

باب الإبدال

ومن سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض، ويقولون «مَدَحَهُ. وَمَدَّهَهُ» و«فَرَسٌ رِفْلٌ. وَرِفْنٌ» وهو كثير مشهور قد أُلْفَ فيه العلماء. فأما ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه فقوله جل ثناؤه: ﴿فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ﴾ فاللام والراء يتعاقبان كما تقول العرب: «فَلَقَّ الصَّبْحَ. وَفَرَقَهُ». وذكر عن (الخليل) ولم أسمع سماعاً أنه قال في قوله جَلَّ ثناؤه: ﴿فَجَاسُوا﴾: إنما أراد «فحاسوا» فقامت الجيم مقام الحاء، وما أحسب الخليل قال هذا ولا أحقُّه عنه.

باب الاستعارة

ومن سنن العرب الاستعارة، وهو أن يضعوا الكلمة للشيء مستعارة من موضع آخر فيقولون: «انشقت عصاهم» إذا تفرقوا. وذلك

(١) سورة القصص: الآية ١٢.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٧٧.

يكون للعصا ولا يكون للقوم. ويقولون: «كشفت عن ساقها الحروب». وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿كأنهم حمرٌ مستنفرة﴾ يقولون للرجل المذموم: إنما هو حمار. وقال الشاعر:

دُفِعْتُ إِلَى شَيْخٍ بِجَنْبِ فِنَائِهِ
هُوَ الْعَيْرُ إِلَّا أَنَّهُ يَتَكَلَّمُ

ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿الْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾^(١) و﴿إنا لمردودون في الحافرة﴾ أي في الخلق الجديد. و﴿بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ وتقول العرب: «رَانَ بِهِ النُّعَاسُ» أي غلب عليه. و﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ أي ضيق وشدة. و﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾^(٢). و﴿أَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾^(٣) وقوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾^(٤) وتقول العرب «نَاقَةٌ تَاجِرَةٌ» يريدون أنها تُنْفِقُ نَفْسَهَا بِحُسْنِهَا. وقوله جل ثناؤه: ﴿وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ و﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ و﴿أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ ويُراد حظُّهم وما يحصل لهم. والعرب تقول:

فإني لستُ منك ولستُ مني
إذا ما طارَ من مالي الثمينُ

أي حصل. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾ أي ائتِ بها كما أمرت به و﴿إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾ أي عَصَمَكَ مِنْهُمْ. رواه شعبة عن أبي رجاء عن (الحسن) ومن الاستعارة قولهم: ﴿زَالَتْ

(١) سورة القيامة: الآية ٢٩.

(٢) سورة العلق: الآية ١٥.

(٣) سورة تبت: الآية ٤.

(٤) سورة الدخان: الآية ٢٩.

رِحَالَةٌ سَابِحٌ» كناية عن المرأة تستعصي على زوجها. قال (الشَّمَاحُ):

وَكُنْتُ إِذَا زَالَتْ رِحَالَةٌ سَابِحٌ
شِمْتُ بِهِ حَتَّى لَقَيْتُ مِثَالَهَا

وكانت امرأته نَشَزَتْ عليه، وذلك قوله:

أَلَا أَصِيحْتُ عِرْسِي مِنَ الْبَيْتِ جَامِحًا
بِغَيْرِ بَلَاءٍ سَيِّئٍ مَا بَدَأَ لَهَا

باب الحذف والاختصار

ومن سُنن العرب الحذف والاختصار، يقولون: «والله أفعلُ ذاك» يريد لا أفعل. و«أتانا عند مغيب الشمس. أو حين أراد. أو حين كادت تغرب» قال (ذو الرِّمَّة):

فَلَمَّا لَيْسَنَ اللَّيْلَ أَوْ حِينَ نَصَبْتُ
لَهُ مِنْ خَذَا آذَانَهَا وَهُوَ جَانِحٌ

ومنه في كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ أراد أهلها. و﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾. و﴿بَنُو فُلَانٍ يَطُؤُهُمُ الطَّرِيقُ﴾ أي أهله. و﴿نَحْنُ نَطَأُ السَّمَاءَ﴾ أي مَطَرَهَا. و﴿عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ﴾ أي من آل فرعون. و﴿وَإِذَا لَأَذَقْنَاكَمُ ضِعْفَ الْحَيَاةِ﴾ أي ضِعْفَ عَذَابِهَا. و﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ﴾. ومثله: ﴿أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلِقْ﴾ أي فُضِرَ فَانْفَلَقَ. ومنه ﴿إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِي﴾. قيل ادْخُلِ الْجَنَّةَ ﴿أَرَادَ الثَّنَاءَ الْحَسَنَ﴾. ومنه ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرَ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ﴾ معناه: فإذا عزم الأمر كذَّبُوهُ.

باب الزيادة

قال بعض أهل العلم: إنَّ العربَ تزيد في كلامها أسماءً وأفعالاً.

أما الأسماء - فالاسم والوجه والمثل. قالوا: فالاسم في قولنا «بسم الله» إنما أردنا «بالله» لكنه لما أشبه القسم زيد فيه الاسم. وأما الوجه فقول القائل: «وجهي إليك» وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿ويبقى وجه ربك﴾ ثم قال الشاعر:

أستغفر الله ذنباً لستُ مُحْصِيَهُ
ربَّ العباد إليه الوجهُ والعملُ

وأما المثل ففي قوله جل ثناؤه: ﴿فأتوا بسورة من مثله﴾ ويقول قائلهم: «مثلي لا يخضع لمثلك» أي: أنا لا أخضع لك. قال الشاعر:

يا عاذلي دعني من عذلكا
مثلي لا يقبل من مثلكا

وقوله جل ثناؤه: ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله﴾ أي عليه.

وأما الأفعال - فقولهم «كاد» في قول الشاعر:

حتى تناول كلباً في ديارهم
وكاد يسمو إلى الجرفين فارتفعاً

أراد «وسما»، ألا ترى أنه قال: «فارتفع». وما يُزاد أيضاً من الأفعال قول القائل: «لا أعلم في ذلك اختلافاً» وفي كتاب الله جل

ثناؤه: ﴿أَمْ تَنْبِئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ﴾ أراد والله أعلم: بما ليس في الأرض.

وقد تزداد حروف من حروف المعاني - كزيادة «لا» و«من» وغير ذلك. وقد مضى ذكره بشواهد.

باب التكرار

وسُنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإِبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال (الحارث بن عباد):

قَرَّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي
لَفِحَتْ حَرْبٌ وَاثِلٌ عَنِ حِيَالِ

فكرَّرَ قوله: «قَرَّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي» في رؤوس أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإِبلاغ في التنبيه والتحذير. وكذلك قول (الأشعر):

وَكَتَيْبَةٍ لَبَّسَتْهَا بَكْتِيْبَةٌ
حَتَّى يَقُولُ نَسَاؤُهُمْ: هَذَا فَتَى^(١)

فكرر هذه الكلمة في رؤوس أبيات على ذلك المذهب. وكتكرير مَنْ كَرَّرَ:

مَهْلًا بَنِي عَمَّنَا، مَهْلًا مَوَالِينَا

وكقول الآخر:

كَمْ نِعْمَةٌ كَانَتْ لَهُ كَمْ كَمْ وَكَمْ

فكرَّرَ لفظ «كم» لفرط العناية بقصد تكثير العدد. قال علماؤنا:

(١) وفي رواية أخرى: هذا الفتى.

فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله جل ثناؤه من قوله: ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ .

فأما تكرير الأنباء والقصاص في كتاب الله جل ثناؤه - فقد قيلت فيه وجوه . وأصح ما يقال فيه أن الله جل ثناؤه جعل هذا القرآن وعجز القوم عن الإتيان بمثله آيةً لصحة نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء وبأي عبارة عبّر . فهذا أولى ما قيل في هذا الباب .

باب العموم والخصوص

العامّ - الذي يأتي على الجملة لا يغادر منها شيئاً . وذلك كقوله جل ثناؤه: ﴿خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ وقال: ﴿خالق كل شيء﴾ .

والخاصّ - الذي يتحلل فيقع على شيء دون أشياء . وذلك كقوله جل ثناؤه: ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي﴾ وكذلك قوله: ﴿واتقون يا أولي الألباب﴾ فخطب أهل العقل .

وقد يكون الكلامان متصلين، ويكون أحدهما خاصاً والآخر عاماً . وذلك قولك لمن أعطى زيدا درهماً «أعط عمراً، فإن لم تفعل فما أعطيت» تريد: إن لم تعط عمراً فأنت لم تعط زيدا أيضاً، وذلك غير محسوب لك . ومثله في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ فهذا خاص، يريد: هذا الأمر المجدد بلغه، فإن لم تفعل ولم تبلغ هذا فما بلغت رسالته . يريد: جميع ما أرسلت به .

وأما العامّ الذي يراد به الخاصّ - فكقوله جل ثناؤه حكاية عن

موسى عليه السلام: ﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ولم يرد كل المؤمنين لأن الأنبياء قبله قد كانوا مؤمنين. ومثله كثير. ومنه ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا﴾ وإنما قاله فريق منهم. و﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمِ النَّاسُ﴾ إنما قاله (نُعَيْمُ بْنُ مَسْعُودٍ) إن الناس (أَبُو سَفْيَانَ) و(عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ). ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ﴾ أراد: الآيات التي إذا كذَّبَ بها نزل العذاب على المكذِّبين وكذلك قوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أراد به من المؤمنين لقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾.

وأما الخاصُّ الذي يُرادُ به العامُّ - فكقوله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ الخطاب له صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والمراد الناسُ جميعاً.

باب إضافة الفعل إلى ما ليس بفاعل في الحقيقة

ومن سنن العرب إضافة الفعل إلى ما ليس فاعلاً في الحقيقة، يقولون: «أراد الحائطُ أن يقع» وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ﴾ وهو في شعر العرب كثير. قال (الشَّمَاخُ):
أقامتُ على رِبْعَيْهِمَا جَارَتَا صَفَاً
كُمَيْتَا الْأَعَالِي جَوْتَا مُصْطَلَاهُمَا^(١)

(١) هذا هو البيت الثاني من قصيدة الشَّمَاخِ في مدح يزيد بن مريع الأنصاري، ومطلع القصيدة:

أمن دمتين عرج الركب فيهما

فَجَعَلَ الْأَثْفِيَّ مُقِيمَةً. وقال:

وَأَشَعَتْ وَرَادِ الْعِدَادِ كَأَنَّهُ
إِذَا انشَقَّ فِي جَوْزِ الْفَلَاةِ فَلَيْقُ^(١)

يصف طريقاً يَرِدُ ماء وهو لا وِرْدَ له. ومنه وقوله:

كَأَنِّي كَسَوْتُ الرَّحْلَ أَحَقَبَ سَهْوَقاً
أَطَاعَ لَهُ مِنْ^(٢) رَامَتَيْنِ حَدِيدُ

فجعل الحديث مطيعاً لهذا الحمارٍ لما تمكن من رعيه،
والحديق لا طاعة ولا معصية له.

باب الواحد يراد به الجمع

ومن سُنن العرب ذكر الواحد والمراد الجميع، كقوله للجماعة
«ضَيْفٌ» و«عَدُوٌّ». قال الله جلّ ثناؤه: ﴿هُؤُلَاءِ ضَيْفِي﴾ وقال: ﴿ثُمَّ
يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً﴾ وقال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾ والتفريق لا يكون
إلا بين اثنين. ويقولون: ﴿قَدْ كَثُرَ الدِّرْهَمُ وَالِدَيْنَارُ﴾ ويقولون:

فَقَلْنَا أَسْلِمُوا إِنَّا أَحُوكُمْ

ويقولون كَلُّوا فِي نِصْفِ بَطْنِكُمْ تَعِيشُوا

و﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ

الكَرِيمِ﴾.

(١) البيت أيضاً للشاعر الشَّمَاخ (انظر أيضاً لسان العرب: مادة جوز).

(٢) انظر ديوان الشَّمَاخ.

باب الجمع يراد به واحدٌ واثنان

ومن سُنن العرب الإتيان بلفظ الجميع والمراد واحد واثنان كقوله
جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَلَيْشَهَدَ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ﴾ يُرَادُ بِهِ وَاحِدٌ وَائْتَانٌ وَمَا فَوْقَ.
وَقَالَ (قَتَادَةُ) فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنْ يُعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ تُعَذَّبُ
طَائِفَةٌ﴾: كَانَ رَجُلًا مِنَ الْقَوْمِ لَا يَمَالُئُهُمْ عَلَى أَقْوَابِهِمْ فِي النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيَسِيرٌ مُجَانِبًا لَهُمْ فَسَمَّاهُ اللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
طَائِفَةٌ وَهُوَ وَاحِدٌ. وَمِنْهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ينادونك من وراء الْحُجُرَاتِ﴾
كَانَ رَجُلًا نَادَى «يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ مَدْحِي زَيْنٌ وَإِنَّ شَتْمِي شَيْنٌ» فَقَالَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيْلَكَ. ذَاكَ اللَّهُ جَلَّ
ثَنَاؤُهُ». وَقَالَ: «فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبِكُمَا» وَهَمَّا قَلْبَانِ وَقَالَ: «بِمَ يَرْجِعُ
الْمُرْسَلُونَ» وَهُوَ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِرْجِعْ إِلَيْهِمْ﴾.

باب آخر

العرب تصف الجميع بصفة الواحد كقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ
جُنُبًا﴾ فَقَالَ جُنُبًا وَهُمْ جَمَاعَةٌ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ
بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾. وَيَقُولُونَ: «قَوْمٌ عَدْلٌ وَرِضَى» قَالَ (زُهَيْرٌ):

وَإِنْ يَشْتَجِرُ قَوْمٌ يَقْلُ سَرَواتِهِمْ
هُمُ بَيْنَنَا، فَهُمْ رِضَى وَهُمْ عَدْلٌ^(١)

وربما وصفوا الواحد بلفظ الجميع فيقولون: «بُرْمَةٌ أَشْعَارٌ»
و«ثُوبٌ أَهْدَامٌ» وَ«حَبْلٌ أَحْذَاقٌ» قَالَ:

(١) هذا البيت من قصيدة زهير بن أبي سلمى في مدح سنان بن أبي الحارثة
المرّي، ومطلعها:

صحا القلب عن سلمى وقد كاد لا يسلو

جاء الشتاء وقميصي أخلاق
شراذم يضحك منه التَّوَّاقُ

فأخبرني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرح عن سلمة عن
(الفراء) قال: التَّوَّاقُ ابنه. ومن الباب ﴿ما كان للمشركين أن يعمرُوا
مساجد الله﴾ إنما أراد المسجد الحرام. ويقولون: «أَرْضُ سَبَّاسِب»
يسمّون كل بقعة منها «سَبَّاسِبًا» لا تَسَاعُهَا.
ومن الجمع الذي يُراد به الاثنان قولهم: «امرأة ذات أوراكٍ
وماكِم».

باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع

ومن سنن العرب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع، فيقال للرجل
العظيم «انظروا في أمري». وكان بعض أصحابنا يقول: إنما يقال هذا
لأنَّ الرَّجُلَ العظيم يقول: «نحن فعلنا» فعلى هذا الابتداء خُوطبوا في
الجواب. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُون».

باب آخر

العرب تذكر جماعة وجماعة، أو جماعة وواحدًا، ثم تخبر عنهما
بلفظ الاثنين. يقول (الأُسودُ):

إن المنية والحُتوفَ كلاهما
يوفي المَخارِمَ يَرْقُبَانِ سِوادي

وقال آخر:

ألم يَحْزُنْكَ أَنَّ حَبَالَ قَيْسٍ
وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَتَا انْقِطَاعًا

وقد جاء مثله في القرآن: قال الله تبارك اسمه: ﴿إِنَّ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

باب مخاطبة الواحد خطاب الجمع

إذا أريد بالخطاب هو ومن معه

قال الله جل ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ
لِعَدَّتِهِنَّ﴾ فخوِّط صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بلفظ الجميع لأنه
أريد هو وأُمَّته. وكان (ابن مسعود) يقرأ «ارجعوا إليهم» مِدْرَهُمْ.

باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب

العربُ تخاطبُ الشاهدَ، ثم تحول الخِطَابُ إلى الغائب. وذلك
كقوله (النَّابِغَةُ):

يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلِيَاءِ فَالْسَّنْدِ
أَقُوتَ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

فخاطب ثم قال «أقوت». وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿حَتَّى إِذَا
كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ وقال: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ
وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾. قال: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ
الْإِيمَانَ﴾ - وقال في آخر الآية - ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾. ومنه قوله:

أَسِيئِي بِنَا أَوْ أَحْسِنِي لَا مَلُومَةٌ
لَدَيْنَا وَلَا مَقْلِيَّةٌ إِنْ تَقَلَّتْ

باب تحول الخطاب من الغائب إلى الشاهد

وقد يجعلون خطابَ الغائب للشاهد، قال (الهذلي):

يا ويح نفسي كان جدّة خالدٍ
وبياض وجهك للتراب الأغر

فخبر عن خالد ثم واجه فقال: «وبياض وجهك». ومنه:

شطت مزار العاشقين فأصبحتُ
عسراً عليّ طلابك أبنه مخرم

باب مخاطبة المخاطب ثم جعل الخطاب لغيره

أو يُخبر عن شيء ثم يُجعل الخبر المتصل به لغيره

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿فإن لم يستجيبوا لكم﴾ - خطاب للنبي
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ثم قال للكفار - ﴿فاعلموا أنما أنزل
بعلم الله﴾ يدلّ على ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿فهل أنتم مسلمون﴾.
وقال: ﴿فمن ربكما يا موسى﴾. وقال: ﴿فلا يخرجنكما من الجنة
فتشقى﴾ وقريب من هذا الباب أن يبتدأ الشيء ثم يخبر عن غيره كقول
(شداد بن معاوية):

من يك سائلاً عني فإنني
وجرّوة لا ترود ولا تُعار

و«جرّوة» فرسه، فالمسألة عنه والخبر عن غيره. وقال

(الأعشى):

وإن امرأ أسرى إليك ودونه
من الأرض موتاة ويهماء سملق
لمحقوقة أن تستجيب لي لصوته
وأن تعلمي أن المعان موفق

وقد جاء في كتاب الله جلّ ثناؤه ما يشبه هذا وهو قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾ - فبدأ بهم ثم قال - ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾ بدأ بهم ثم حوّل الخطاب. ومنه قول القائل:

لَعَلِّي إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ مَيْلَةً
على (ابن أبي ذبّان) أَنْ يَتَنَدَّمَا

فذكر نفسه وترك وأقبل على غيره، كأنه أراد: لعل (ابن أبي ذبّان) أَنْ يَتَنَدَّمَا إِنْ مَالَتْ بِي الرِّيحُ عَلَيْهِ. ومثله في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبِّصْنَ﴾ فخبّر عن الأزواج وترك الذين. ومثله:

بَنِي أَسَدٍ إِنْ ابْنَ قَيْسٍ وَقَتْلَهُ
بَغِيرِ دَمٍ دَارُ الْمَذَلَّةِ حُلَّتْ

فترك (ابن قيس) وخبّر عن القتل، كأنه قال: قتل ابن قيس ذلّ.

باب الشيبين ينسب الفعل إليهما وهو لأحدهما

وينسبون الفعل إلى اثنين وهو لأحدهما. وفي كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حَوْتَهُمَا وَقَدْ بَلَغَا﴾ وكان النسيان من أحدهما لأنه قال: ﴿إِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ﴾. وقال: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ - ثم قال - ﴿يُخْرِجُ مِنْهُمَا اللَّوْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ﴾ وإنما يُخْرِجَانِ مِنَ الْمَلْحِ لَا الْعَذْبِ.

وينسبون الفعل إلى الجماعة وهو لواحد منهم. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا قَتَلْتُمْ نَفْسًا﴾ وإنما كان القاتل واحداً.

باب نسبة الفعل إلى أحد اثنين وهو لهما

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾
وإنما انفضوا إليهما. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾. وقال: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا﴾. ثم قال
الشاعر:

إِنَّ شَرْخَ الشَّبَابِ وَالشُّعْرَ الْأَسَدِ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جَنُونًا
وقال آخر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنَا وَأَنْتَ بِمَا عِنْدَ ذَكَ رَاضٍ وَالرَّأْيُ مُخْتَلِفٌ

باب أمر الواحد بلفظ أمر الاثنين

تقول العرب: «افعلوا ذلك» ويكون المخاطب واحداً. أنشد
(الفراء):

فَقُلْتُ لِصَاحِبِي: لَا تَحْبِسَانَا
بِنَزْعِ أَصُولِهِ وَاجْدِزْ شَيْحَا

وقال:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَا ابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ
وَإِنْ تَدْعَانِي أَحْمَ عِرْضًا مُمْنَعًا

وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ وهو خطاب لخزنة النار
والزبانية. قال: ونرى أن أصل ذلك أن الرفقة أدنى ما يكون ثلاثة نفر
فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ألا ترى أن الشعراء أكثر الناس قولاً
«يا صاحبي» و«يا خليلي».

باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهنُّ أو مستقبل

وبلفظ المستقبل وهو ماضٍ

قال الله جل ثناؤه: ﴿كُتِمَ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ أي: أنتم. وقال جل ثناؤه: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾ أي: يأتي. ويجيء بلفظ المستقبل وهو في المعنى ماضٍ. قال الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يسبُّني
فمضيتُ عنه وقلتُ: لا يعنيني

فقال «أمرُّ» ثم قال: «مضيت». وقال:

وما أضحي ولا أمسيتُ إلا
رأوني منهم في كرفانٍ

وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ﴾ وقال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ﴾ أي ما تلت. وقال آخر:

ونذمانٍ يزيدُ الكأسَ طيباً
سقيتُ إذا تغورتِ النجومُ

ومثله: ﴿وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، قل: فلم يعذبكم؟﴾ المعنى: فلم عذب آباءكم بالمسخ والقتل؟ لأن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم لم يؤمر بأن يحتج عليهم بشيء لم يكن، لأن الجاحد يقول: إني لا أعذب. لكن احتج عليهم بما قد كان.

باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل

تقول: «سِرُّ كاتم» أي مكتوم. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي لا معصوم و﴿مَنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ و﴿عَيْشَةَ رَاضِيَةً﴾ أي مَرْضِيٍّ بِهَا. و﴿جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ أي مأموناً فيه ويقول الشاعر:

إِنَّ الْبَغِيضَ لَمَنْ يُمَلُّ حَدِيثُهُ
فَانْقَعُ فَوَادَكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ

أي الموموق. ومنه:

أَنَا شِرْلَا زَالَتْ يَمِينُكَ آشِرَةَ

أي: مأشورة.

وزعم ناس أن الفاعل يأتي بلفظ المفعول به. ويذكرون قوله جل ثناؤه: ﴿إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا﴾ أي: آتياً. قال (ابن السكيت): ومنه «عَيْشٌ مَغْبُونٌ» يريد أنه غابن غير صاحبه.

باب آخر

من سنن العرب وصف الشيء بما يقع فيه أو يكون منه كقولهم «يَوْمٌ عَاصِفٌ» المعنى: عاصفُ الرِّيحِ. قال الله جل ثناؤه: ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ فقليل: عاصف لأنَّ عَصُوفَ رِيحِهِ يَكُونُ فِيهِ. ومثله: «لَيْلٌ نَائِمٌ» و«لَيْلٌ سَاهِرٌ» لأنه يُنَامُ فِيهِ وَيُسَهَّرُ قَالَ (أوس):

خُذِلْتُ عَلَى لَيْلَةٍ سَاهِرَةٍ
بِصَحْرَاءِ شَرْجٍ إِلَى نَاطِرَةٍ

وقال (ابنُ بَرّاق):

تَقُولُ سُلَيْمِي: لَا تَعَرِّضْ لِتَلْفَةِ
وَلِيْلِكَ مِنْ لَيْلِ الصَّعَالِيكِ نَائِمٌ

ومثله:

لَقَدْ لُمْنَا يَا أُمَّ غِيلَانَ فِي السُّرَى وَنَمَتِ وَمَا لَيْلُ الْمَطِيِّ بِنَائِمٍ
ويقولون: «لَا يَرُقُّدُ وَسَادُهُ» وإنما يريدون متوسِّد الوِساد.

باب معاني أبنية الأفعال في الأغلب الأكثر

أول ذلك (فَعَّلْتُ) يكون بمعنى التكثير. نحو ﴿غَلَّقْتُ
الْأَبْوَابَ﴾. وبمعنى «أَفْقَلْتُ» نحو «خَبَّرْتُ. وَأَخْبَرْتُ». ويكون مضاداً
لَأَفْعَلْتُ نحو «أَفْرَطْتُ»: جُزْتُ الحَدَّ. و«فَرَطْتُ»: قَصَّرْتُ. ويكون
بِنِيَّةٍ لَا لِمَعْنَى نَحْو: «كَلَّمْتُ». ويكون فَعَلْتُ: نَسَبْتُ كَقَوْلِكَ:
«شَجَعْتَهُ. وَظَلَمْتَهُ»: نَسَبْتُهُ إِلَى الشَّجَاعَةِ وَالظُّلْمِ.

وأما (أَفْعَلَ) فيكون بمعنى «فَعَلْتُ» تقول: «أَسْقَيْتَهُ وَسَقَيْتَهُ»:
قَلْتُ لَهُ «سَقِيًّا لَكَ». ويكون بمعنى: «فَعَلْتُ» نحو «مَحَضَّتْهُ الوُدَّ.
وَأَمَحَضَّتْهُ». وقد يختلفان نحو «أَجْبَرْتَهُ عَلَى الشَّيْءِ» و«وَجَبَرْتُ
العَظْمَ». وقد يَتَضَادَّانِ نَحْو «نَشَطَّتْ العَقْدَةُ»: عَقَدْتُهَا. و«أَنْشَطْتُهَا» إِذَا
حَلَلْتُهَا.

و (فَاعَلَ) يكون من اثنين. نحو «ضَارَبَ»، ويكون فاعلاً بمعنى
«فَعَلَ» نحو «قَاتَلَهُمُ اللهُ» و«سَافَرَ»، ويكون بمعنى «فَعَّلَ» نحو
«ضَاعَفَ. وَضَعَّفَ».

و (تَفَاعَلَ) يكون من اثنين، نحو «تَخَاصَمَا». ويكون من واحد،

نحو «ترآى له» ويكون إظهاراً لغير ما هو عليه، نحو «تغافل»: أظهر غفلةً وليس بغافل.

و(تَفَعَّلَ) يكون لِتَكْلُفِ الشَّيْءِ وليس به، نحو «تَشَجَّعَ» و«تَعَقَّلَ». ويكون بمعنى «تفاعل» نحو «تَعَطَّى» و«تعاطا». ويكون لأخذ الشيء نحو: «تَفَقَّهَ وتعلَّم». ويكون مبنياً نحو «تَكَلَّمَ». ويكون «تَفَعَّلَ» بمعنى «أفعل» نحو تعلَّم بمعنى اعلم. قال:

تعلَّم أن بعد الشرِّ خيراً
وأن لهذه الغمْرِ انقشاعاً

وأما (اسْتَفْعَلَ) فيكون بمعنى التكلف، نحو «تَعْظَمَ» و«اسْتَعْظَمَ» و«تَكَبَّرَ» و«اسْتَكَبَّرَ» ويكون استفعل بمعنى الاستدعاء والطلب نحو: «اسْتَوْهَبَ». ويكون بمعنى «فعل»: «قَرَّ» و«اسْتَقَرَّ».

وأما (افْتَعَلَ) فيكون بمعنى فَعَلَ، نحو: «شَوَى» و«اشتوى» ويكون بمعنى حدوثِ صفةٍ فيه نحو: «افتقر».

وأما (انْفَعَلَ) فهو فعل المطاوعة. نحو: «كَسَرْتُهُ» و«فانكسر» و«شَوَيْتُ اللَّحْمَ» و«فانشوى». قال:

قد انشوى شواؤنا المرعبلُ
فاقتربوا من الغداء فكلوا

باب الفعل اللازم والمتعدي بلفظ واحد

تقول: «كسبَ زيدُ المالَ» و«كسبه غيره». و«هبطَ» و«هبطَ غيره». و«جبرتَ اليدُ» و«جبرتها». ويكون فَعَلَ بمعنى متضادين نحو «بعثُ الشيء» و«بعثه»: اشتريته. و«رتوتُ الشيء» أرخيته وشددته. و«شعبتُ الشيء» جمعته وفرقته.

باب البناء الدال على الكثرة

البناء الدالّ على الكثرة «فَعُول . وَقَعَال» نحو: «ضَرُوب .
وَضْرَاب» وكذلك «مُفْعَال» إذا كان عادةً نحو: «مِعْطَار» و«امْرَأَةٌ مِذْكَارٍ»
إذا كانت تليدُ الذكور وكذلك «مِينَاث» في الإناث .

باب الأبنية الدالة في الأغلب الأكثر على معان

وقد تختلف

يقولون: ما كان على (فَعْلَان) دلّ على الحركة والاضطراب نحو
«النَّزْوَان . وَالغَلْبَان» . و(فَعْلَان) يجيء في صفات تقع من جُوع
وَعَطَش نحو: «عَطْشَان . وَغَرْثَان» أو ما يضاد ذلك نحو: «رِيَان .
وسكران» .

و(فَعِلَ) يكون في الوَجَع نحو «وَجِعَ . وَحِطَّ» أو ما أشبهه من
«فَرَع» . ويجيء من هذا (فَعِيل) نحو: «سَقِيم» ويكون من الباب
«بَطِرٌ . وَفَرِحٌ» وهذا على مُضَادَّةِ وَجَعٍ وَسَقِيمٍ .
قالوا: والصفات بالألوان تأتي على (أفْعَل) نحو «أَحْمَر .
وَأَسْوَد» .

والأفعال منها على «فَعْلَ» مثل «صَهَبَ» . وعلى «فَعِلَ» نحو
«صَدِيء» . وعلى «أفْعَالٌ» مثل «أَحْمَارٌ» . وكذلك العيوب والأدواء تكون
على «أفْعَلٌ» نحو «أَزْرَق . وَأَعْوَر» . وأفعالها على «فَعِلَ» نحو «عَوِر .
وَشَتِير» . ويكون الأدواء على (فُعَال) نحو: «القُلاب . والخُمار» .
والأصوات أكثرها على هذا نحو: «الدُّعاء . والصُّراخ» . وللأصوات
باب آخر على (فَعِيل) نحو «الهُدَيْر . والضَّجيج» . و(فُعَالَةٌ) يأتي أكثره
على ما يفضل عن الشيء وَيَسْقُطُ منه نحو «النُّحانة» . و(فُعَالَةٌ) في

الصناعات كالنَّجَارَة والنَّجَارَة. ويكون (الفِعَالُ) في الأشياء كالعيوب: كالنِّفَار والشمَّاس. وفي السِّمَات: نحو العِلَاط والخِبَاط، وفي بلوغ الأشياء نهايتها: نحو الصَّرَام والجِزَاز. وتكون الصفات اللازمة للنفوس على (فَعِيل) نحو: شريف وخفيف، وعلى أصدادها: نحو وَضِيع وكبير وصغير. هذا هو الأغلب وقد يختلف في اليسير.

باب الفرق بين ضديين بحرف أو حركة

الفرق بين ضديين بحرف - قولهم: «يُدَوِي» من الداء و«يُداوي» من الدواء. و«يُخْفِر» إذا أجار و«يُخْفِر» إذا نقض: من خَفَرَ وأخْفَرَ، وهو كثير.

وما كان فرقه بحركة - فقولهم: «لُعَنَهُ» إذا أكثر اللعن و«لُعِنَهُ» إذا كان يُلْعَن و«هُزَّأَهُ» و«هُزَّأَهُ» و«سُخِرَهُ» و«سُخِرَهُ».

باب التوهم والإيهام

ومن سنن العرب التوهم والإيهام، وهو أن يتوهم أحدهم شيئاً ثم يجعل ذلك كالحق. منه قولهم: «وقفتُ بالربع أسأله» وهو أكمل عقلاً من أن يسأل رسماً يعلم أنه لا يسمع ولا يعقل لكنه تفجع لما رأى السُّكَّنَ رحلوا وتوهم أنه يسأل الربع أين أنتوا. وذلك كثير في أشعارهم، قال:

وقفتُ على ربعٍ لميةٍ ناقتي
فما زلت أبكي عنده وأحاطبه
وأسأل حتى كادَ مما أبُّثُه^(١)

(١) ويروي أبُّثُه (بضم فكسر).

تَكَلَّمَنِي أَحْجَارُهُ وَمَلَاعِبُهُ
وَتَوَهَّمُوا وَهُمْ أَنْ تَمَّ كَلَامًا وَمُكَلِّمًا. وَبَيْنَ ذَلِكَ (لَيْدٌ) بِقَوْلِهِ:
فَوَقَفْتُ أَسْأَلُهَا وَكَيْفَ سَأَلْنَا
صُمًّا خَوَالِدًا مَا يَبِينُ كَلَامُهَا
وَمِنَ الْبَابِ قَوْلُهُ:

لَا يُفْزَعُ الْأَرْنَبَ أَهْوَالُهَا
إِنَّمَا أَرَادَ: لَيْسَ بِهَا أَرْنَبٌ يُفْزَعُ. وَكَذَلِكَ:
عَلَى لَاجِبٍ لَا يُهْتَدَى لِمَنَارِهِ
إِنَّمَا أَرَادَ: لَا مَارَ بِهِ. وَأَظْهَرَ ذَلِكَ قَوْلَ (الْجَعْدِيِّ):
سَبَقْتُ صِيَاخَ فَرَارِيحِهَا وَصَوْتُ نَوَاقِيسٍ لَمْ تُضْرَبِ
وَقَالَ (أَبُو ذُؤَيْبٍ):
مُتَّفَلِّقٌ أَنْسَاؤُهَا عَنِ قَانِيٍّ كَالْقَرْطِ صَاوٍ غُبْرُهُ لَا يُرْضَعُ
أَوْهَمَ أَنْ تَمَّ غُبْرًا، وَإِنَّمَا أَرَادَ: لَا غُبْرَ بِهِ فَيُرْضَعُ.

بَابُ الْبَسِيطِ فِي الْأَسْمَاءِ

العرب تبسط الاسمَ والفعل فتزيد في عدد حروفهما، ولعل أكثر ذلك لإقامة وزن الشعرِ وتسوية قوافيه، وذلك قول القائل:
وَلَيْلَةٌ خَامِدَةٌ خَمُودًا طَخِيَاءُ تُعْشِي الْجَدْيَ وَالْفَرْقُودَا
فَزَادَ فِي «الْفَرْقَدِ» الْوَاوَ وَضَمَّ الْفَاءَ لِأَنَّهُ لَيْسَ فِي كَلَامِهِمْ «فَعْلُولًا»
وَلِذَلِكَ ضَمَّ الْفَاءَ. وَقَالَ فِي الزِّيَادَةِ فِي الْفِعْلِ:

لَوْ أَنَّ عَمْرًا هَمَّ أَنْ يَرْقُودَا
وَمِنْهُ: أَقُولُ إِذْ خَرْتُ عَلَى الْكَلْكَالِ

أرادَ «الكلكل» وفي بعض الشعر «فانظور»^(١) أراد «فانظر» وهذا قريبٌ من الذي ذكرناه في الخزم والزيادة التي لا معنى لها.

باب القبض

ومن سنن العرب القَبْضُ محاذاةً للسط الذي ذكرناه، وهو النقصان من عدد الحروف كقول القائل:

غَرَّثِي الْوِشَاحِينَ، صَمَوْتُ الْخَلْخَلِ

أراد الخلخال. وكذلك قول الآخر: «وَسُرُوْحُ حَرْجُجٍ» أراد «حُرجوجاً» وهي الضامير. ويقولون: «دَرَسَ الْمَنَا» يريدون «المنازل» و:

كَأَنَّمَا تُذَكِّي سِنَابُكُهَا الْحُبَا

أراد نار الحباب. وقال (أبو النجم): «أَمْسِكَ فُلَانٌ عَنِ فُلٍ»^(٢) أراد عن فلان. و:

لَيْسَ شَيْءٌ عَلَى الْمَنُونِ بِخَالٍ

أي: بخالد. ويقولون:

أَسْعَدَبْنَ مَالِ أَلْمِ تَعَجَبُوا؟

وإنما أراد مالكاً. وقال آخر:

وَكَادَتْ فَرَازَةَ تَشْقَى بِنَا فَأُولَى فَرَازَةَ أُولَى فَرَازَا

وقال (أوس) وهو الذي يسميه النحويون «الترخيم»:

(١) انظر «باب القول في اختلاف العرب» من هذا الكتاب.

(٢) العبارة من رجز أبي النجم.

تَنَكَّرَتْ مِنَّا بَعْدَ مَعْرِفَةِ لَمِي

أراد: لَمَيْسَ . وهذا كثير في أشعارهم ، وما أحسب في كتاب الله جل ثناؤه منه ، إلا أنه رُوي عن بعض القُرَأة أنه قرأ: «ونادوا يا مالٍ» أراد «يا مالكُ» والله أعلم بصحة ذلك . وربما وقع الحذف في الأول نحو قوله :

بِسْمِ الَّذِي فِي كُلِّ سُورَةٍ سِمْهُ

أراد «اسمه» و«لاه ابن عمك» أراد: الله ابن عمك .

باب المحاذاة

معنى المحاذاة - أن يُجعل كلامٌ بحذاء كلام ، فيؤتى به على وزنه لفظاً وإن كانا مختلفين فيقولون : «الغدايا والعشايا» فقالوا : «الغدايا» لانضمامها إلى «العشايا» . ومثله قولهم : «أعوذ بك من السَّامة واللامَّة» فالسَّامة من قولك : «سَمَّتْ» إذا خَصَّتْ و«اللامَّة» أصلها «أَلَمَّتْ» لكل لما قُرنت بالسَّامة جُعِلت في وزنها . وذكر بعض أهل العلم أن من هذا الباب كتابة المصحف ، كتبوا ﴿والليل إذا سجي﴾ بالياء وهو من ذوات الواو لَمَّا قُرنت بغيره مما يكتب بالياء . قال : ومن هذا الباب في كتاب الله جل ثناؤه : ﴿ولو شاء الله لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ فاللام التي في «لَسَلَطَهُمْ» جواب «لو» ثم قال : ﴿فلقاتلوكم﴾ فهذه حُوذِيَتْ بتلك اللام ، وإلا فالمعنى : لَسَلَطَهُمْ عَلَيْكُمْ فقاتلوكم . ومثله : «لَأَعَذِّبَنَّه عَذَاباً شَدِيداً» أو «لَأَذْبَحَنَّه» - فهما لاما قَسَمَ ثم قال - «أو لِيَأْتِيَنِي» فليس ذا موضع قسم لأنه عُذِرَ للهُدْهِد فلم يكن لِيُقْسِمَ على الهدهد أن يأتي بعُذْرٍ ، لكنَّه لَمَّا جاء به على أثر ما يجوز فيه القسم أجراه مجراه ، فكذا باب المحاذاة . قال : ومن الباب «وَرَزَّتْهُ فَاتْرَنَ .

وَكَلَّتْهُ فَاتَّكَالَ» أي استوفاه كَيْلاً ووزناً. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُونَهَا﴾ تستوفونها لأنها حق للأزواج على النساء.

ومن هذا الباب الجزاء على الفعل بمثل لفظه، نحو ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ، اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ أي يجازيهم جزاء الاستهزاء. و﴿مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ و﴿يَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ و﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ و﴿وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾. ومثل هذا في شعر العرب قول القائل:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

باب الإضمار

من سنن العرب الإضمار. ويكون على ثلاثة أضرب: إضمار الأسماء، وإضمار الأفعال، وإضمار الحروف.

فمن إضمار الأسماء قولهم: «ألا يَسْلَمِي» يريدون «ألا يا هذه اسلمي». وفي كتاب الله جل ثناؤه ﴿ألا يَسْجُدُوا لِلَّهِ﴾ بمعنى: ألا يا هؤلاء اسجدوا. فلما لم يذكر «هؤلاء» بل أضمرهم اتصلت «يا» بقوله: «اسجدوا» فصار كأنه فعل مستقبل. ومثله قول (ذي الرمة):
ألا يَسْلَمِي يا دارِ مِيٍّ على البلى ولا زال مُنْهلاً بِجَرِّ عَائِكَ القَطْرُ

وأخبرني علي بن إبراهيم عن محمد بن فرج عن سلمة عن (الفراء) سمع بعض العرب يقول: (ألا يَرَحْمَنَا) يعني: ألا يا ربنا ارحمنا. ويقولون:

يا هل أتاهَا على ما كان من حَدَثٍ

و: يقولون لي يَحْلِفُ ولست بحالفٍ

بمعنى: يا هذا احلف.

وَيُضْمِرُونَ مِنَ الْأَسْمَاءِ «مَنْ» فَيَقُولُونَ: «مَا فِي حَيْنَا إِلَّا لَهُ إِبِلٌ»
 أَي: مَنْ لَهُ إِبِلٌ. وَ«كَذَبْتُمْ بَنِي شَابَ قَرْنَاها» أَي: مَنْ شَابَ. وَفِي
 كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ﴾ أَي: مِنْ لَهُ. وَيُضْمِرُونَ
 «هَذَا» كَقَوْلِ (حُمَيْدٍ):

أَنْتَ الْهَلَالِيُّ الَّذِي كَانَ مَرَّةً سَمِعْنَا بِهِ وَالْأَرْحَبِيُّ الْمُعَلْفُ
 أَي: وَهَذَا الْأَرْحَبِيُّ، يَعْنِي بَعِيرَهُ.

بَابُ إِضْمَارِ الْحُرُوفِ

وَيُضْمِرُونَ الْحُرُوفَ فَيَقُولُ قَائِلُهُمْ^(١):

أَلَا أَي هَذَا الزَّاجِرِيُّ أَشْهَدُ الْوَعْيِ

بِمَعْنَى أَنْ أَشْهَدُ. وَيَقُولُونَ: «وَاللَّهِ لَكَانَ كَذَا» بِمَعْنَى لَقَدْ. وَيَقُولُ

(النَّابِغَةُ):

لَكَفَّتَنِي ذَنْبَ امْرِئٍ

وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَلَمْ يَغْلِبِ الرُّومَ﴾ قَالُوا: مَعْنَاهَا
 لَقَدْ غَلِبَتْ. إِلَّا أَنَّهُ لَمَّا أَضْمَرَ «قَدْ» أَضْمَرَ اللَّامَ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ
 ثَنَاؤُهُ: ﴿سَنَعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ فَقَالُوا: إِلَى سِيرَتِهَا. وَ﴿اخْتَارَ
 مُوسَى قَوْمَهُ﴾ أَي مِنْ قَوْمِهِ. وَيَقُولُونَ: «أَشْتَقُّكَ» أَي إِلَيْكَ. وَ«هَلْ
 يَسْمَعُونَكُمْ» بِمَعْنَى لَكُمْ. وَ«أَوْجَاؤُكُمْ حَصَرْتُ» أَي قَدْ حَصَرْتُ.
 وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: «حَلَفْتُ بِاللَّهِ لَنَامُوا» أَي لَقَدْ. وَفِي كِتَابِ اللَّهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ:
 ﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ أَي فَعَلَيْكُمْ. وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ

(١) الْقَوْلُ لَطْرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ مِنْ مَعْلَقَتِهِ، وَمَطْلَعُهَا:

لِخَوْلَةَ أَطْلَالٍ بَيْرَقَةَ تَهْمَدٍ تَلُوْحُ كِبَاتِي أَلَوْشَمِ فِي ظَاهِرِ الْيَدِ

جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وترغبون أن تنكحوهن﴾ معناها عن وقوم يقولون: في أن تنكحوهن. وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ومن آياته يُريكم البرق﴾ أي أن يريكم. وكقوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿ومن آياته أن خلق﴾.

باب إضمار الأفعال

من ذلك: «قيل. ويقال». قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ﴾ معناها: فيقال لهم، لأن «أَمَّا» لا بد لها في الخبر من فاء، فلما أضمر القول أضمر الفاء. ومثله:
 فلا تدفِئوني إن دفِئني محرّمٌ عليكم ولكن خامري أمّ عامر
 أي اتركوني للتي يقال لها «خامري». ومنه ﴿ثم يُخْرِجْكُمْ طِفْلاً
 ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ﴾ أي: يعمركم لتبلغوا أشدكم. ومن باب الإضمار:
 «أَنْعَلِبًا وَتَفْرًا» أي: أترى ثعلباً. وفي كتاب الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وتتلقاهم
 الملائكة هذا يومكم﴾ أي يقولون: و«أَسْرَ رَجُلٌ أَسِيرًا لَيْلًا فَلَمَّا أَصْبَحَ
 رَأَاهُ أَسْوَدَ فَقَالَ: أَعْبَدًا سَائِرَ اللَّيْلَةِ» كأنه قال: أراني أسرت عبداً. ومن
 الإضمار: ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، قُلْ لِلَّهِ﴾ فهذا مضمر
 كأنه لما سألهم عادوا بالسؤال عليه ف قيل له: ﴿قُلْ لِلَّهِ﴾. ومن الإضمار
 ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا﴾، كذلك - معناها: ف ضربوه فحياً، كذلك -
 ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ ومثله في كتاب الله كثير.

باب من الإضمار الآخر

العرب تضمّر الفعل فيشبهه المعنى حتى يُعْتَبَرُ فَيُوقَفَ عَلَى
 المراد. وذلك كقول (الخنساء):
 يَا صَخْرُ وِرَادَ مَاءٍ قَدْ بَنَادَرَهُ أَهْلُ الْمَوَارِدِ مَا فِي وِرْدِهِ عَارُ

ظاهر هذا أن معناه: ما على ما وردَه عار، وليس في ورد الماء عار فيُجَحَّ به. ولكن معناه: ما في ترك وردِهِ مخافةً عاراً. وإنما عَنَّتْ أنه ورد ماءً مخوفاً يتحاماه الناس فيُنذِرُ بعضهم بعضاً، تقول: فهو يرد هذا الماء لجرأته. ومثله قول (النابغة):

فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام
يقول: لا ألام على ترك الدخول، لأنَّ النُّعْمان قد كان نذر دمَه متى رآه، فخطب بهذا الكلام حاجبه. وقال (الأعشى):

أأزمت من آل ليلي ابتكاراً وشطت على ذي هوى أن تزارا؟
ظاهرُ هذا: أأزمت أن تتكر منهم. وإنما المعنى: أأزمت من أجل آل ليلي وشوقك إليهم أن تتكر من أهلك؟ لأنه عزم الرحلة إليها لا عنها، ألا تراه يقول:

وبانت بها غربات النوى وبُذلت شوقاً بها وإدكارا
وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿أَلَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا﴾ التَّأْوِيلُ: لا يستأذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ أَنْ يَقْعُدُوا عَنِ الْجِهَادِ.

باب التعويض

من سُنن العرب التَّعْوِيضُ - وهو إقامة الكلمة مقامَ الكلمة. فيقيمون الفعلَ الماضي مقامَ الراهن، كقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ سَنَنْظُرُ
أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ المعنى: أم أنت من الكاذبين. ومنه
﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾ بمعنى: أنت عليها.

ومن ذلك إقامة المصدر مقامَ الأمر، كقوله جل ثناؤه:
﴿فَسَبِّحْ اللَّهَ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ والسُّبْحَةُ: الصلاة.

يقولون: «سَبَّحَ سُبْحَةَ الضحى». فتأويل الآية: سَبَّحُوا لِلَّهِ جَل ثناؤه،
فصار في معنى الأمر والإغراء، كقوله جَلّ ثناؤه: ﴿فَضْرَبَ الرَّقَابَ﴾.

ومن ذلك إقامة الفاعل مقامَ المصدر، يقولون: «قُمْ قائماً» قال:

قُمْ قائماً، قُمْ قائماً لَقَيْتَ عبداً نائماً
وعُشْرَاءَ رائماً وأمةً مُرَاغِماً

وفي كتاب الله جَلّ ثناؤه: ﴿لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كاذِبَةٌ﴾ أي تكذيب.

ومن ذلك إقامة المفعول مقامَ المصدر، كقوله جَلّ ثناؤه:

﴿بِأَيْكُمْ المَفْتُونُ﴾ أي الفتنة. تقول العرب: «ما له معقول. وحَلَفَ
مَحْلُوفُهُ بالله. وَجَهَدَ مَجْهُودُهُ». ويقولون: «ما له معقول ولا مجلود»
يريدون العَقْلَ والجَلْدَ. قال (الشَّمَاخ):

من اللواتي إذا لانت عريكتهَا يبقى لها بعدها آل ومجلودٌ
ويقول الآخر:

إن أخا المجلود من صَبَرَا

ومن ذلك إقامة المصدر مقامَ الفعل، يقولون: «لقيت زيداً وقِيلَهُ

كذا» أي يقول كذا. قال (كعب):

يسعى الوُشَاءُ حَوَالِيهَا وقِيلَهُمْ إِنَّكَ يا ابن أبي سُلمى لمقتولٌ^(١)

تأويله: يقولون. ولذلك نُصِبَ.

ومن ذلك وضعهم «فَعِيلًا» في موضع «مُفْعَلٍ» نحو «أمرٌ حكيمٌ»

بمعنى مُحَكَّم. ووضعهم «فَعِيلًا» في موضع «مُفْعَلٍ» نحو: ﴿عَذَابٌ

أَلِيمٌ﴾ بمعنى مؤلم وتقول:

(١) البيت من قصيدة كعب بن زهير في مدح النبي، ومطلعها:

بانَت سعادٌ فقلبي اليوم متبولٌ

أَمِنْ رِيحَانَةَ^(١) الداعي السميعُ

بمعنى: مسمِع .

ومن ذلك وضعهم: «مفعولاً» بمعنى «فاعل» كقوله جلّ ثناؤه: ﴿حِجَابًا مَسْتُورًا﴾ أي ساتراً، وقيل: مستوراً عن العيون كأنه أخذة لا يُحسُّ بها أحد.

ومن ذلك إقامة الفعل مقام الحال كقوله جلّ ثناؤه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تَحْرِمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ﴾ أي مبتغياً. وقال:

الرِّيحُ تَبْكِي شَجْوَهُ والبرقُ يلمعُ في غمامه
أراد: لامعاً.

باب من النظم الذي جاء في القرآن

من نظم كتاب الله جلّ ثناؤه: (الاقتصاص) - وهو أن يكون كلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو في السورة معها. كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ والآخرة دار ثواب لا عمل، وهو مقتصٌ عن قوله: ﴿وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى﴾. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِّينَ﴾ مأخوذ من قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾ وقوله: ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ﴾. فأما قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ فيقال: إنها مقتصة من أربع آيات لأن «الأشهاد» أربعة: الملائكة في قوله جلّ

(١) ريحانة: اسم علم على امرأة.

ثناؤه: ﴿وجاءت كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيدٌ﴾ والأنبياءُ صلوات الله عليهم ﴿كيف إذا جئنا من كلِّ أمةٍ بشهيدٍ وجئنا بك على هؤلاء شهيداً﴾ وأمةٌ محمدٌ صلى الله تعالى عليه وسلم لقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وكذلك جعلناكم أمةً وسطاً لتكونوا شهداءً على الناس﴾ والأعضاءُ لقوله جلَّ ثناؤه: ﴿يومَ تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾.

ومن الاقتصاص قوله جلَّ ثناؤه: ﴿إني أخاف عليكم يومَ التناد﴾ قرئت مخففةً ومشددةً: فمن شدَّد فهو «نَدَّ» إذا نفر، وهو مُقتَصَرٌ من قوله: ﴿يومَ يفرّ المرءُ من أخيه﴾ إلى آخر القصة، ومن خَفَّفَ فهو تَفَاعَلَ من النَّدَاءِ مُقتَصَرٌ من قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ونادى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النار﴾. ﴿ونادى أصحابُ النار أصحابَ الجنة﴾. ﴿ونادى أصحابُ الأعراف﴾ وما أشبه هذا من الآي الذي فيها ذكر النداء.

باب الأمر المحتاج إلى بيان وبيانه متصل به

قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ويسألونك عن الأنفال﴾ - فبيان هذا السؤال متصل به وهو قوله جل ثناؤه - ﴿قل الأنفال لله والرسول﴾ ومثله: ﴿يسألونك ماذا أحلَّ لهم، قل أحلَّ لكم الطيبات﴾ و﴿يسألونك عن الساعة، قل إنما علمها عند ربي﴾ ومنه ﴿أم يقولون شاعر نترَبِّصُ به رَيْبَ المنون، قل ترَبِّصوا﴾ فهذا وما أشبهه هو الابتداء الذي تمامه متصل به.

باب ما يكون بيانه مضمراً فيه

وذلك مثل قوله جلَّ ثناؤه: ﴿حتى إذا جاؤها وفُتِحَتْ أبوابها﴾ فهذا محتاج إلى بيان لأن ﴿حتى إذا﴾ لا بد لها من تمام فالبيان ها هنا

مُضْمَرٍ، قالوا: تأويله: حتى إذا جاؤها جاؤها وفتحت أبوابها. ومثله: ﴿ولو أن قرآنًا سُيِّرَتْ به الجبالُ﴾ فتمامه مضمَر كأنه قال جلّ ثناؤه: «لكان هذا القرآن». وهذا هو الذي يسمّى في سنن العرب «باب الكفّ» وقد ذُكر.

باب ما يكون بيانه منفصلاً منه

ويجيء في السورة معها أو في غيرها

قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم﴾ قال أهل العلم: بيانُ هذا العهد قوله جلّ ثناؤه: ﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمتم برسلي﴾ الآية، فهذا عهده جلّ ثناؤه، وعهدهم تمام الآية في قوله جلّ ثناؤه: ﴿لأَكْفِرَنَّ عنكم سيئاتكم﴾ فإذا وفوا بالعهد الأول أعطوا ما وعده. وقال جلّ ثناؤه: ﴿ويقول الذين كفروا أَلَسْتَ برسلاً؟﴾ فالردّ على هذا قوله جلّ ثناؤه: ﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ وهذا هو الذي يسميه أهل القرآن جواباً. ومن الباب قوله جلّ ثناؤه في الإخبار عنهم: ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ فقيل لهم: ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرٍ لَلْجُوا في طغيانهم﴾.

ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجلٍ من القريتين عظيم﴾ فردّ عليهم حين قيل: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة﴾. ومن الباب قوله: ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن؟ ومنه قوله: ﴿الرحمن علم القرآن﴾. ومنه قوله: ﴿قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾ فقيل لهم: ﴿لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله﴾. ومنه ﴿وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتم﴾ فقيل لهم في الجواب: ﴿فإن يصبروا فالنار مشوى

لهم ﴿. ومنه ﴿أم يقولون نحن جميع مُتَّصِرٌ﴾ فقيل لهم: ﴿ما لكم لا تَنَاصِرُونَ﴾. ومنه قوله جل ثناؤه في قِصَّة من قال: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾.

تَقَوْلُهُ ﴿ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾. ومنه قوله جل ثناؤه حكاية عنهم: ﴿ما لهذا الرَّسُولِ يَأْكُلُ مِنَ الْبَابِ قَوْلَهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ﴾ فَرَدَّ عَلَيْهِمْ: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾.

ومنه قوله جل ثناؤه حكاية عنهم: ﴿ما لهذا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ﴾ قيل لهم: ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾. ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ فقيل في سورة أخرى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ﴾. ومنه: ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون﴾ فتفسير هذا الاختصاص ما قيل في سورة أخرى: ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لِمَن آمَنَ مِنْهُ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحاً مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ﴾ إلى آخر القصة.

وقال في قصة قوم: ﴿لهم البشرى في الحياة الدنيا﴾ فالبشرى قوله جل ثناؤه في موضع آخر: ﴿تنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة﴾. ومنه حكاية عن فرعون أنه قال: ﴿وما أهديكم إلا سبيل الرشاد﴾ فَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وما أمر فرعون برشيد﴾. ومن الباب قوله جل ثناؤه: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾ وذكُرَ هَذَا الْحَلْفِ فِي قَوْلِهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾. ومنه قوله جل وعز في قصة نوح

عليه السلام: ﴿إِنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْتَصِرُ﴾ فقليل في موضع آخر: ﴿وَنَصْرَانَا مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا﴾. ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ﴾ أي أُوْعِيَةٌ لِلْعِلْمِ فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾. وهذا في القرآن كثير أفرَدْنَا له كتاباً وهو الذي يسمّى (الجوابات).

باب آخر من نظم القرآن

وذلك أن تجيء الكلمة إلى جنب الكلمة كأنها في الظاهر معها، وهي في الحقيقة غير متصلة بها: قال الله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةً أَهْلِهَا أَذِلَّةً. وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ فقوله: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ من قولِ الله جَلَّ اسْمُهُ لا قول المرأة ومنه: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ - انتهى قول المرأة ثم قال يوسف - ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ الْمَلِكُ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾. ومنه ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾ - وتمَّ الكلام فقالت الملائكة - ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾ ومنه قوله جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ - فهذه صفة الأتقياء المؤمنين ثم قال - ﴿وَإِخْوَانُهُمْ يُمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ﴾ فهذا رَجَعَ عَلَى كَفَّارِ مَكَّةَ أَنَّ كَفَّارَ مَكَّةَ يُمُدُّهُمْ إِخْوَانُهُمْ مِنَ الشَّيَاطِينِ فِي الْغَيِّ.

باب إضافة الشيء إلى من ليس له

لكن أضيف إليه لاتصاله به

وذلك قوله: «سَرْجُ الْفَرَسِ» و«ثَمَرَةُ الشَّجَرَةِ» و«غَنَمُ الرَّاعِي»

قال الشاعر:

فَرَوَّحَهُنَّ يَحْدُوهُنَّ قَصْرًا
كَمَا يَحْدُو قَلَائِصَهُ الْأَجِيرُ

باب آخر من الإضافة

ومن ذلك إضافة الشيء إلى نفسه وإلى نعته .

فالإضافة الأولى قول (النَّيْمِر):

سَقِيَّةٌ بَيْنَ أَنْهَارٍ وَدُورٍ وَزَّرَعٍ نَابٍ وَكُرُومٍ جَفْنٍ
وَالجَفْنُ هُوَ الكَرَمُ .

فأما إضافته إلى نعته فقولهم: «بَارِحَةٌ الأُولَى . وَيَوْمُ الخَمِيسِ .
وَيَوْمُ الجُمُعَةِ» . وفي كتاب الله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَدَارُ الآخِرَةِ﴾ و﴿وَحَقُّ
الْيَقِينِ﴾ .

باب جمع شيتين في الابتداء بهما

وجمع خبريهما، ثم يُرَدُّ إلى كل مبتدأ به خبره

من ذلك قول القائل: «إِنِّي وَإِيَّاكَ عَلَى عَدَلٍ أَوْ عَلَى جَوْرِ»
فَجَمَعَ شَيْئَيْنِ فِي الْإِبْتِدَاءِ وَجَمَعَ الْخَبْرَيْنِ . ومراده: إِنِّي عَلَى عَدَلٍ
وَإِيَّاكَ عَلَى جَوْرِ . وهذا في كلامهم وأشعارهم كثير . قال (امرؤ
القيس):

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا
لَدَى وَكُرْهَا العُنَابُ وَالْحَشْفُ البَالِي (١)

أراد: كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا العُنَابُ وَيَابَسًا الْحَشْفُ . ومن هذا
في القرآن: ﴿وَإِنَّا وَإِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مَبِينٍ﴾ معناه: وَإِنَّا
عَلَى هُدًى وَإِيَّاكُمْ فِي ضَلَالٍ . ومنه قوله جلَّ ثناؤه: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ

(١) الحشف البالي: اليبس من التمر والبيت من قصيدته التي مطلعها:
ألا عمَّ صباحاً أيها الطلل البالي وهل يعمن من كان في العُصْر الخوالي

كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ﴿ إذا رُدَّ كل شيء إلى ما يصلح أن يتصل به كان التأويل: «قل أرايتم إن كان من عند الله وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن وكفرتم به واستكبرتم». ومثله ﴿وزلزلوا حتى يقول الرسول والذي آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب﴾ قالوا: لَمَّا لم يصلح أن يقول الرسول متى نصر الله كان التأويل: وزلزلوا حتى قال المؤمنون متى نصر الله فقال الرسول ألا إن نصر الله قريب. رُدَّ كل كلام إلى من صلح أن يكون له. ومن الباب قول (ذي الرُّمة):

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفرية سرب
وفراء عرفيه أثنى خوارزها مثلشيل ضيعته بينها الكتب

فمعنى البيتين: كأنه من كلى مفرية وفراء عرفية أثنى خوارزها سرب مثلشيل ضيعته بينها الكتب. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله﴾ المعنى: جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من فضله. ومن قوله عز وجل: ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، ما عليك من حسابهم من شيء، وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين﴾ تأويله والله أعلم: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي فتكون من الظالمين، ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم. قال ومن هذا الباب قول (امرئ القيس):

فلا وأبيك ابنة العامري لا يدعي القوم أني أفر
تميم بن مبر وأشياعها وكندة حولي جميعاً صبر

معناه: لا يدعي القوم تميم وأشياعها أني أفر وكندة حولي.

باب التقديم والتأخير

من سُنن العرب تقديمُ الكلام وهو في المعنى مُؤخَّر، وتَأخِيرُهُ وهو في المعنى مُقَدَّم. كقول (ذي الرُّمَّة):

ما بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ

أراد: ما بالك عينك ينسكب منها الماء. وقد جاء مثل ذلك في القرآن قال الله جلّ ثناؤه: ﴿ولو ترى إذ فزعوا فلا فوتَ وأخذوا من مكان قريب﴾ تأويله والله أعلم: ولو ترى إذ فزعوا وأخذوا من مكان قريب فلا فوت. لأن لا فوت يكون بعد الأخذ. ومن ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿هل أتاك حديثُ الغاشية﴾ - يعني القيامة - ﴿وجوهٌ يومئذٍ خاشعةٌ﴾ وذلك يوم القيامة ثم قال: ﴿عاملةٌ ناصبةٌ﴾ والنصبُ والعملُ يكونان في الدنيا، فكانه إذاً على التقديم والتأخير معناه: وجوهٌ عاملة ناصبةٌ في الدنيا، يومئذ - أي يوم القيامة - خاشعة. والدليل على هذا قوله جلّ اسمه: ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمةٌ﴾. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿فلا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ، إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ المعنى: لا تُعْجِبْكَ أموالهم ولا أولادهم في الحياة الدنيا. وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ معناه: فَأَلْقِهِ إِلَيْهِمْ فَانظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ. ومن ذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لِمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ تأويله: لِمَقْتُ اللَّهِ إِيَّاكُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ دُعِيتُمْ إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرْتُمْ، وَمَقْتُهُ إِيَّاكُمْ الْيَوْمَ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ إِذَا دُعِيتُمْ إِلَى الْحِسَابِ وَعِنْدَ نَدْمِكُمْ عَلَى مَا كَانَتْ مِنْكُمْ. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾ فَأَجَلٌ مُسَمًّى عَلَى كَلِمَةٍ، التَّأْوِيلُ: وَلَوْلَا

كلمة سبقت من ربك وأجلّ مسمّى - أرادَ الأجلّ المضروبَ لهم وهي الساعة - لكان العذاب لازماً لهم.

باب الاعتراض

ومن سنن العرب أن يعترض بين الكلام وتمايمه كلام، ولا يكون هذا المعترض إلا مفيداً. ومثال ذلك أن يقول القائل: ﴿اعْمَلْ﴾ - واللّه ناصري - ﴿ما شئت﴾ إنما أراد: اعمل ما شئت. واعتراض بين الكلامين ما اعترض قال (الشماخ):

لولا ابن عفان والسلطان مرتقبٌ أوردتُ فجاً من اللّباء^(١) جلمودي

قوله: «والسلطان مرتقب» معترض بين قوله: «لولا ابن عفان» وقوله: «أوردت». ومن ذلك في كتاب الله جل ثناؤه: ﴿واتلّ عليهم نبأ نوح إذا قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله﴾ - فعلى الله توكلت - ﴿فأجمعوا أمركم﴾ إنما أراد: إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فأجمعوا أمركم. واعتراض بينهما قوله: فعلى الله توكلت. ومثله قول (الأعشى):

فإن يُمسّ عندي الهمُّ والشيبُ والعشا
فقد بنّ مني والسّلام تفلّقُ
بأشجع أخذٍ على الدهر حكمه
فمن أيّ ما تجني الحوادثُ أفرقُ

أراد: بنّ مني بأشجع. والسّلام تفلّقُ اعتراض. ومثل هذا في كتاب الله جل ثناؤه وإشعار العرب كثير، وإنما نذكر من الباب رسماً.

(١) اللّباء: اسم مكان.

باب الإيماء

العرب تُشيرُ إلى المعنى إشارةً وتوميءُ إيماءً دون التصريح، فيقول القائل: «لو أنَّ لي مَنْ يَقْبَلُ مَشُورَتِي لِأَشْرْتُ» وإنما يَحْتُ السَّامِعُ على قَبولِ المَشُورَةِ. وهو في أشعارهم كثير قال الشاعر:

إِذَا غَرَّدَ المُكَّاءُ فِي غَيْرِ رَوْضَةٍ
فَوَيْلٌ لِأَهْلِ الشَّاءِ وَالْحُمُرَاتِ

أوماً إلى الجذب، وذلك أن المُكَّاءَ يَأْلَفُ الرِّياضَ، فإذا أُجْدبت الأرض سقط في غير روضة. ومنه قول (الأفوه):

إِنَّ بَنِي أُوْدٍ هُمْ مَا هُمْ لِلحَرْبِ أَوْ لِلجَدْبِ عَامَ الشُّمُوسِ

أوماً بقوله: «الشموس» إلى الجذب وقلة المطر والغيم، أي إنَّ كَلَّ أَيامهم شُموس بلا غيم. ويقولون: «هو طويلُ نِجادِ السِّيفِ» إنما يريدون طولَ الرَّجُلِ. و«عَمُرُ الرِّداءِ» يومثون إلى الجواد. و«فِدأُ له ثُوبِي» و«هو واسعُ جِيبِ الكُمِّ» إيماءٌ إلى البَدَلِ. و«طَرِبُ العِنانِ» يومثون إلى الخِفَّةِ والرِّشاقَةِ. وفي كتاب الله جَلَّ ثَناءُ: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ هذا إيماءٌ إلى ﴿أَنْ يُصِيبُونِي بَسْؤًا﴾ وذلك أن العرب تقول: «اللَّبَنُ محضور» أي: تُصِيبُه الآفات.

باب إضافة الفعل إلى من وقع به ذلك الفعل

ومن سُننِ العرب إضافةُ الفعلِ إلى من يقع به ذلك الفعل. يقولون: «ضَرَبُ زَيْدًا وَأَعْطَيْتُهُ بَعْدَ - ضَرْبِهِ - كَذَا» فينسب الضربَ إلى زيد وهو واقع به. قال الله جَلَّ ثَناءُ: ﴿أَلَمْ. غَلَبَتِ الرُّومُ﴾ - فالغَلَبَةُ واقعة بهم من غيرهم ثم قال - ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾

فأضاف الغلب إليهم، وإنما كان كذا لأن الغلب وإن كان لغيرهم فهو متصل بهم لوقوعه بهم. ومثله: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ﴾. و﴿يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ﴾ فالحب في الظاهر مضاف إلى الطعام والمال، وهو في الحقيقة لصاحب الطعام وصاحب المال. ومثله: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ﴾ و﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾ أي مقامه بين يدي. ومثله قول (طرفة):

وَبَرَكَ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ مُخَافَتِي

فأضاف المخافة إلى نفسه وإنما المخافة للبرك.

باب ما يجري من غير ابن آدم مجرى بني آدم

في الإخبار عنه

من سنن العرب أن تُجْرِي المَوَاتَ وما لا يَعْقِلُ في بعض الكلام مجرى بني آدم. فيقولون في جمع أرض «أرضون» وفي جمع كره «كرون» وفي جمع إرة «إرون» وفي جمع ظبة السيف «ظبون» وينشدون:

يَرَى الرَّأُونَ بِالشَّفَرَاتِ مِنْهَا كِنَارِ أَبِي حُبَابٍ وَالظُّبِينَا

ويقولون: «لَقِيتُ مِنْهُ الأَقْوَرِينَ» و«أصَابَتْنِي مِنْهُ الأَمْرُونَ»

و«مضتُ له سِنُون» ويتعدون هذا إلى أكثر منه فيقول (الجعدي):

تَمَزَّرَتْهَا وَالدَّيْكَ يَدْعُو صَبَاحَهُ إِذَا مَا بَنُونَ عَشٍ دَنَوْا فَتَصَوَّبُوا

وقال الله جل ذكره: ﴿فِي فَلكٍ يَسْبَحُونَ﴾ و﴿وَلَقَدْ عَلِمْتِ مَا

هُؤَلَاءِ يَنْطِقُونَ﴾ و﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشْرٍ كوكِباً وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ

لِي سَاجِدِينَ﴾ و﴿يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ و﴿لَوْ كَانَ هؤَلَاءِ

آلهةً وَرَدُّوها ﴿١﴾ ويقولون في جمع بُرَّة «بُرِين». وأكثر من قول (النابعة)
قول القائل (١):

إذا أشرف الديك يدعو بعضَ أسرتهِ إلى الصَّباح وهم قومٌ معازيلُ (٢)
وجعل له أسرةً وسماهم قوماً.

باب اقتصارهم على ذكر بعض الشيء وهم يريدونه كله

من سنن العرب الاقتصارُ على ذكر بعض الشيء وهم يُريدونه
كله، فيقولون: «قعد على صدرِ راحلته ومضى». ويقول قائلهم:

الواطئينَ على صدورِ نعالهم

وذكر بعضُ أهل اللغة في هذا الباب قولَ (لبيد):

أو يرتبطُ بعضُ النفوسِ حمائمها

وإنه أراد كلاً وذكروا في هذا الباب قوله جل ثناؤه: ﴿قل

للمؤمنين يغضوا من أبصارهم﴾ وقال آخرون: «من» هذه للتبعيض
لأنهم أمرُوا بالغضِ عما يحرمُ النظرُ إليه. ومن الباب ﴿يحدركم الله
نفسه﴾ أي إياه. ومنه ﴿تعلم ما في نفسي﴾ ومنه قوله:

يوماً بأجود نائلاً منه إذا نفسُ البخيل تجهمت سؤالها

ومنه ﴿ويبقى وجهُ ربك﴾ و«تواضعتُ سورُ المدينة» و:

رأت مرَّ السنين أخذن مني

(١) القائل هو عبدة بن الطيب التميمي.

(٢) معازيل: جمع المعزال وهو الراعي المنفرد بماشيته يراها بمعزل عن
الناس، وأيضاً: المستبد برأيه، ومن لا سلاح له.

و: طُولُ اللَّيَالِي أَسْرَعَتْ فِي نَقْضِي
و: صَرَفَ الْمَنَايَا بِالرِّجَالِ تَقَلُّبٌ

وقال (الجمعي):

جَزِعَتْ وَقَدْ نَأَلْتِكَ حَدًّا رِمَاحَنَا بِقَوْهَاءَ يُثْنِي ذِكْرَهَا فِي الْمَحَافِلِ

باب الاثنين يعبر عنهما بهما مرة وبأحدهما مرة

قال (أبو زكرياء الفراء): العرب تقول: «رأيتُه بعيني . وبعيني» و«الدارُ في يدي . وفي يدي». وكل اثنين لا يكاد أحدهما ينفرد فهو على هذا المثل مثل: «اليدين . والرِّجلين» قال (الفردق):
فَلَوْ بَخِلْتَ يَدَايَ بِهَا وَضَنْتُ لَكَانَ عَلَيَّ لِلْقَدَرِ الْخِيَارُ

فقال: «ضَنْتُ» بعد قوله «يَدَايَ». وقال:

وَكَأَنَّ بِالْعَيْنَيْنِ حَبَّ قَرْنِفُلٍ أَوْ سُنْبُلًا كُجِلَتْ بِهِ فَأَنْهَلَتْ

وقال:

إِذَا ذَكَرْتُ عَيْنِي الزَّمَانَ الَّذِي مَضَى بِصَحْرَاءٍ فَلَجٍ ظَلَّتَا تَكِفَانِ

باب الحمل

هذا باب يترك حكم ظاهر لفظه لأنه محمول على معناه .
يقولون: «ثلاثة أنفُس» والنفْس مؤنثة لأنهم حملوه على الإنسان .
ويقولون: «ثلاث شخوص» لأنهم يحملون ذلك على أنهن نساء . و:
إِنْ كَلَابًا هَذِهِ عَشْرُ أَبْطِنٍ

يذهبون إلى القبائل . وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿السَّمَاءُ
مَنْفُطَةٌ﴾ حُمِلَ عَلَى السَّقْفِ . وهذا يتَّسع جداً . وقد ذُكر في هذا الباب

ما تقدم ذكره من قوله جلّ ثناؤه: ﴿مستهزؤون، الله يستهزيء بهم﴾ وهذا في باب المحاذاة أحسن. ومن الحَمَلِ قوله: ﴿أنا رسول ربّ العالمين﴾ قال (أبو عبيدة) أراد الرّسالة. ومن الباب قوله جلّ وعزّ: ﴿سعيراً﴾ - والسعيير مذكّر ثم قال - ﴿إذا رأتهم﴾ فحمله على النار. وقوله جلّ ثناؤه: ﴿فأحيينا به بلدة ميثاً﴾ حمله على المكان. ولهذا نظائر كثيرة.

باب من ألفاظ الجمع والواحد والاثنين

من الجمع الذي لا واحد له من لفظه «العالم». والأنام. والرّهط. والتفر. والمعشر. والجند. والجيش. والناس. والغنم. والنعم. والإبل.

وربّما كان للواحد لفظ ولا يجيء الجمع بذلك اللفظ نحو قولنا: «أمرؤ». وأمراء. ان. وقوم» و«أمرأة. وأمراة. ونسوة».

ومن الاثنين اللذين لا واحد لهما لفظاً قولهم: «كلا. وكلنا. واثنان. والمذروان. وعقله بشنّين. وجاء يضرب أضدرّيه. وأزدرّيه. ودواليه» من التداول و«لبيك. وسعديك. وحنانك» وقد قيل: إن واحد حنانك «حنان» وينشد:

فقلت: حنان ما أتى بك ها هنا أذونسب أم أنت بالحي عارف

باب ما يجري من كلامهم مجرى التهكم والهزء

يقولون الرجل يُستجهل «يا عاقل!» ويقول شاعرهم: فقلت لسيّدنا: يا حلي - لم إنك لم تأس أسواً رفيقا ومن الباب «أتاني فقرّيته جفاءً وأعطيته حرماناً» ومنه قوله:

ولم يكونوا كأقوامٍ علمتهم يَقْرُونَ ضَيْفَهُمُ الْمَلُوءَةَ الْجُدْدَا

يعني: السَّيَاط. ويقول (الفرزدق):

قَرِينَاهُمْ الْمَأْثُورَةَ الْبَيْضَ

وقال (عمرو):

قَرِينَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُمْ قَيْلَ الصُّبْحِ مِرْدَاةً طَحُونَا

ومن الباب حكايةً عنهم: ﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾.

باب الكف

ومن سنن العرب الكفُّ. وهو أن يكفَّ عن ذِكرِ الخَبَرِ اكتفاءً بما يدلُّ عليه الكلام. كقول القائل:

وَجَدَّكَ لَوْ شِئْتُ أَنَا رَسُولُهُ سِوَاكَ. وَلَكِنْ لَمْ نَجِدْ لَكَ مَدْفَعَا

المعنى: لو أتانا رسولُ سِوَاكَ لدفعناه. وقال آخر:

إِذَا قُلْتُ سِيرِي نَحْوَ لَيْلِي لَعَلَّهَا جَرَى دُونَ لَيْلِي مَائِلُ الْقَرْنِ أَعْضَبُ

وترك خبر «لعلها». وقال:

فَمَنْ لَهُ فِي الطُّغْنِ وَالضُّرَابِ يَلْمَعُ فِي كَفِيٍّ كَالشُّهَابِ

أي: مَنْ لَهُ فِي سَيْفٍ. ومنه قوله جَلَّ وَعَزَّ فِي قِصَّةِ فِرْعَوْنَ:

﴿أَفَلَا تَبْصُرُونَ أُمَّ﴾ أراد: أُمَّ تَبْصُرُونَ. وما يقرب من هذا الباب

قوله^(١):

تَضِيءُ الظَّلَامَ بِالْعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةٌ مُمَسِّي رَاهِبٍ مَتَبَيَّلِ

أراد: سُرُجُ مَنَارَةٍ.

(١) البيت لامرئ القيس من المعلقة المشهورة.

باب الإعارة

العرب تُعير الشيء ما ليس له . فيقولون : «مَرَّ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ
وَبَصَرِهَا» ويقول قائلهم :

كَذَلِكَ فَعَلَهُ وَالنَّاسُ طُرّاً بَكَفِّ الدَّهْرِ تَقْتَلُهُمْ ضُروباً
فَجَعَلَ لِلدَّهْرِ كَفّاً . ويقولون :

ثَأْرَتْ (المِسْمَعَيْنِ) وَقَلَّتْ بَوْأً بِقَتْلِ أَخِي فِزَارَةَ وَالخِيَارِ

قال (الأصمعي) : لم يكن واحد منهما مِسْمَعاً وإنما كانا (عامراً)
و(عبدالملك) ابني (مالك بن مِسمع) فأعارهما اسمَ جدّهما . ومثله
(الشعثمان) لم يكن اسم أحدهما شَعْثُماً وإنما أُعيرا اسم أبيهما
(شعثم) . ومثله (المهالِبَة) و(الأشعرون) .

باب أفعل في الأوصاف لا يراد به التفضيل

يقولون : «جَرَى لَهُ طَائِرٌ أَشَامٌ» ويقول شاعرهم^(١) :
هِيَ الهمُّ لو أنّ النوى أَصْقَبَتْ بِهَا وَلَكِنَّ كَرَّافِي رَكُوبَةَ أَعْسَرُ^(٢)

وقال (الفرزدق) :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا عِزّاً دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقال (أبو ذؤيب) :

مَالِي أَجِنَّ إِذَا جِمَالِكَ قَرَّبْتُ وَأَصْدُ عَنْكَ وَأَنْتِ مِنِّي أَقْرَبُ

(١) هو بشر بن أبي خازم .

(٢) البيت يتضمن مثلاً من أمثال العرب يضرب في الشديد من الأمور .

وقال :

بُثِينَةٌ مِنْ آلِ النِّسَاءِ وَإِنَّمَا يَكُنْ لِأَدْنَى لَا وِصَالَ لَغَائِبِ
وَيَقُولُونَ : إِنْ مِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ : ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ
عَلَيْهِ﴾ .

باب نفي الشيء جملة من أجل عدم كمال صفته

قال الله جلَّ وعزَّ في صفة أهل النار : ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا
يُحْيَى﴾ فنفي عنه الموت لأنه ليس بموت مُرِيحٍ ونفي عنه الحياة لأنها
ليست بحياة طيبة ولا نافعة . وهذا في كلام العرب كثير ، قال (أبو
النَّجْم) :

يُلْقِينَ بِالْخَبَارِ وَالْأَجَارِعِ كَلَّ جَهِيضٍ لَيْنِ الْأَكَارِعِ
بَلْهَاءٍ لَمْ تُحْفَظْ وَلَمْ تُضَيَّعِ لَيْسَ بِمُحْفُوظٍ وَلَا بِضَائِعِ

وقال :

وقد أجوبُ البَلَدِ الْبَرَاحَا الْمَرْمَرِيْسَ الْقَفْرَةَ الصَّحْصَاحَا
بِالْقَوْمِ لَا مَرْضَى وَلَا صِحَاحَا

ومن هذا الباب أو قريب منه قوله جلَّ ثناؤه : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا
يَفْقَهُونَ بِهَا، وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ومنه ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ﴾ - فأثبت علماً ثم قال - ﴿وَلِيُبَشِّرَ مَا شَرَوْا
بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لما كان علماً لم يعملوا به كانوا كأنهم
لا يعلمون . ومن الباب قول (مسكين) :

أَعْمَى إِذَا مَا جَارَتِي خَرَجَتْ حَتَّى يُوَارِي جَارَتِي السِّتْرُ

وَأَصَمَّ عَمَا كَانَ بَيْنَهُمَا سَمْعِي وَمَا بِالسَّمْعِ مِنْ وَقْرٍ^(١)

جعل نفسه أعمى أصمَّ لَمَّا لم ينظر ولم يسمع . وقال آخر:
وَكَلَامٌ بِسَيِّئٍ قَدْ وَقِرْتُ أذْنِي عَنْهُ وَمَا بِي مِنْ صَمَمٍ
وقريب من هذا الباب قوله جلَّ وعزَّ: ﴿وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا
هُمْ بِسُكَارَىٰ﴾ أي ما هم بسُكَارَى مشروبٍ ولكن سُكَارَى فزَع وَوَلِيهِ .
ومن الباب قوله جلَّ ثناؤه: ﴿لَا يَنْطِقُونَ، وَلَا يُؤَدِّنْ لَهُمْ فَيَعْتَدِرُونَ﴾
وهم قد نطقوا بقولهم: ﴿يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ﴾ لكنهم نطقوا بما لم ينفع
فكأنهم لم ينطقوا.

باب الشرط

الشرط على ضربين: شرطٌ واجبٌ إعماله كقول القائل: «إن
خرج زيدٌ خرجتُ». وفي كتاب الله جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِنْ طَبِنَ لَكُمْ مِنْ
شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.

والشرط الآخر مذكور إلا أنه غيرُ معزوم عليه ولا محتوم، مثل
قوله: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾
فقوله: ﴿إِنْ ظَنَّا﴾ شرط لإطلاق المراجعة. فلو كان محتوماً مفروضاً
لما جاز لهما أن يتراجعا إلا بعد الظنِّ أن يقيما حدود الله. فالشرط ها
هنا كالمجاز غير المعزوم. ومثله قوله جلَّ ثناؤه: ﴿فَذَكَّرْهُ إِنْ نَفَعَتِ
الذِّكْرَى﴾ لأن الأمر بالتذكير واقع في كلِّ وقت. والتذكير واجب نفع أو
لم ينفع، فقد يكون بعض الشروط مجازاً.

(١) يلاحظ الأقواء في هذا البيت.

باب الكناية

الكناية لها بابان: أحدهما أن يُكنى عن الشيء فيذكر بغير اسمه تحسناً للفظ أو إكراماً للمذكور، وذلك كقوله جلّ ثناؤه: ﴿وقالوا لجلودهم: لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا؟﴾ قالوا: إن الجلود في هذا الموضع كناية عن آراب الإنسان. وكذلك قوله جلّ ثناؤه: ﴿ولكن لا تواعدوهنَّ سِرّاً﴾ إنه النكاح. وكذلك: ﴿أو جاء أحد منكم من الغائط﴾ والغائط: مطمئن من الأرض. كل هذا تحسين اللفظ والله جلّ ثناؤه كريم يَكْنِي كما قال في قصة عيسى وأمه عليهما السلام: ﴿ما المسيح بنُ مريمَ إلا رسولٌ قد خَلَتْ من قبله الرُّسُلُ، وأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ، كانا يأكلان الطَّعامَ﴾ كناية عما لا بدّ لأكل الطعام منه.

والكناية التي للتبجيل قولهم: «أبو فلان» صيانة لاسمه عن الابتذال.

والكنى مما كان للعرب خصوصاً. ثم تشبّه غيرهم بهم في ذلك.

الباب الثاني من الكناية

الاسم يكون ظاهراً مثل: «زيد. وعمرو». ويكون مكنياً وبعض النحويين يسميه مضمراً، وذلك مثل «هو. وهي. وهما. وهنّ».

وزعم بعض أهل العربية أن أول أحوال الاسم الكناية، ثم يكون ظاهراً. قال: وذلك أن أول حال المتكلم أن يخبر عن نفسه ومخاطبه فيقول: «أنا. وأنت» وهذان لا ظاهر لهما. وسائر الأسماء تظهر مرة ويكنى عنها مرة.

والكناية متصلة ومنفصلة ومستجنة. فالمتصلة التاء في «حملت». و«قمت». والمنفصلة قولنا: «إياه أردت». والمستجنة قولنا: «قام زيد» فإذا كُنينا عنه قلنا: «قام» فَتَسْتَرُ الاسم في الفعل.

وربما كني عن الشيء لم يجر له ذكر، في مثل قوله جل ثناؤه: ﴿يُؤْفِكُ عَنْهُ﴾ أي يؤفك عن الدين أو عن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. قال أهل العلم: وإنما جاز هذا لأنه قد جرى الذكر في القرآن. قال (حاتم):

أماويٌّ ما يُغني الثراء عن الفتى إذا حَشْرَجَتْ يوماً وضاقَ بها الصدرُ

فكنى عن النفس فقال «حشرجت» ويقولون:

إذا اغْبَرَّ أَفْقٌ وَهَبَّتْ شَمَالاً

أضمرَ الريحَ ولم يجرِ لها ذكر.

ويكنى عن الشيتين والثلاثة بكناية الواحد، فيقولون: «هو أُنْتُنُ الناس وأخْبِثُهُ» وهذا لا يكون إلا فيما يقال هو أفعل، قال الشاعر:
شَرُّ يَوْمِيهَا وَأَشْقَاهُ لَهَا رَكِبْتُ عَنْزٌ بِحَمَلٍ جَمَلًا
ولم يقل: «أشقاها».

وتكون الكناية متصلةً باسم وهي لغيره، كقوله جل ثناؤه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ - فهذا آدم عليه السلام ثم قال - ﴿جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً﴾ فهذا لولده لأن آدم لم يُخلق من نُطفة. ومن هذا الباب قوله جل ثناؤه: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾ قيل: إنها نزلت في (ابن حُذَافَةَ) حين قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: من أبي؟ فقال: حُذَافَةُ. وكان يَسُبُّ به فسَاءَهُ ذلك، فنزلت: ﴿لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾. وقيل: نزلت في

الحج حين قال القائل: أفي كلِّ عام مرة؟ ثم قال: ﴿وإن تسألوا عنها﴾ يريد إن تسألوا عن أشياء أُخرَ من أمر دينكم وديناكم بكم إلى علمها حاجة تبد لكم ثم قال: ﴿قد سألتها﴾ فهذه الهاء من غير الكنايتين لأن معناها: قد طلبها، والسؤال ها هنا طلب، وذلك كقول عيسى عليه السلام حين سأله المائدة، وكقول موسى عليه السلام حين قالوا: ﴿أرنا الله جهرة﴾ فالسؤال ها هنا طلب والكناية مُبتدأة.

وربما كُني عن الجماعة كناية الواحد كقوله جل ثناؤه: ﴿قلُ رأيتم إن أخذ اللّهُ سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير اللّهُ يأتيكم به؟﴾ أراد والله أعلم: بهذا الذي تقدّم ذكره.

باب الشيء يأتي مرة بلفظ المفعول

ومرة بلفظ الفاعل والمعنى واحد

تقول العرب: «هو مُدَجِّجٌ. ومدَجِّجٌ» و«عبدٌ مكاتبٌ. ومكاتبٌ» و«شأؤٌ مُغرَّبٌ. ومُغرَّبٌ» و«سجنٌ مُخَيِّسٌ. ومُخَيِّسٌ» و«مكانٌ عامِرٌ. ومَعْمورٌ» و«مَنزِلٌ آهِلٌ. ومَأهولٌ» و«نَفِيسَتِ المرأةُ ونَفِيسَتٌ» و«لا يَنْبَغِي لك. ولا يُبَغِي لك» و«عُنِيْتُ به. وَعُنِيْتُ»: قال:

عانٍ بأخراها طويلُ الشُّغْلِ

و«رُهِّصَتِ الدَّابةُ. ورَهِّصْتُ» و«سُعِدُوا. وسَعَدُوا» و«رُهِمِي علينا. ورَهَمِي».

باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة

وقد مضى في الأسماء مثله

العرب تزيد في حروف الفعل مبالغة، فيقولون: «حلا الشيء»

فإذا انتهى قالوا: «أحلوّلى». ويقولون: «أقلوّلى على فراشه»
وينشدون:

واقلوّلينَ فوقَ المضاجعِ

وقرأ (ابن عباس): «ألا أنهم تثنوني صدورهم» على هذا الذي
قلناه من المبالغة.

باب الخصائص

للعرب كلام بالفاظ تختص به معانٍ لا يجوز نقلها إلى غيرها،
يكون في الخير والشرّ والحسن وغيره وفي الليل والنهار وغير ذلك.
من ذلك قولهم: «مكانك» قال أهل العلم: هي كلمة وضعت على
الوعيد، قال الله جل ثناؤه: ﴿مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشِرْكَاءُكُمْ﴾ كأنه قيل لهم:
انتظروا مكانكم حتى يُفصل بينكم. ومن ذلك قول النبي صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم: «ما حملكم على أن تتابعوا في الكذب كما
يتتابع الفَرَّاشُ في النار» قال (أبو عبيدة): هو التهافت، ولم نسمعه إلا
في الشرّ. ومن ذلك «أولى له» وقد فسّرناه. ومن ذلك: «ظَلَّ فلان
يفعل كذا» إذا فعله نهائراً. و«بات يفعل كذا» إذا فعله ليلاً. ومن ذلك
ما أخبرني به (أبو الحسن علي بن إبراهيم) قال سمعت (أبا العباس
المبرّد) يقول: «التأويب» سيرُ النهار لا تعريج فيه و«الإسَاد» سيرُ الليل
لا تعريس فيه. ومن الباب «جُعلوا أحاديث» أي: مُثِّلَ بهم، ولا يقال
في الخير. ومنه: ﴿لا عدوانَ إلَيَّ على الظالمين﴾.

ومن الخصائص في الأفعال قولهم: «ظننتني. وحسبنتني.
وخلنتني» لا يقال إلا فيما فيه أدنى شك، ولا يقال: «ضربتني».

ولا يكون «التأيين» إلا مدح الرجل ميتاً. ويقال: «غضبت به» إذا

كان ميتاً. و«المساعة» الزنا بالإماء خاصة. و«الراكب» راكب البعير خاصة. و«ألجَّ الجملُ» و«خلَّات الناقة» و«حزَنَ الفرس» و«نَفَشَتِ الغنم» ليلاً و«هملتُ» نهاراً. قال (الخليل): «اليَعْمَلَةُ» من الإبل اسم اشتق من «العَمَلُ» ولا يقال إلا للإناث. قال: و«النعْتُ» وصف الشيء بما فيه من حَسَنٍ إلا أن يتكلَّف متكلف فيقول: «هذا نعتُ سوءٍ» فأما العرب العاربة فإنها تقول: «للشيء نعت» يريدون به التهمة. قال (أبو حاتم): «ليلةُ ذات أريز» أي: قرٌّ شديد. ولا يقال يومٌ ذو أريز. قال (ابنُ دُرَيْدٍ): «أشُّ القومُ. وتَأَشَّشُوا» إذا قام بعضهم إلى بعض للشمر لا للخير. ومن ذلك «جَزَرْتُ الشاةَ» و«حَلَقْتُ العنزَ» لا يكون الحلق في الضَّان ولا الجَزَّ في المِعزَى. و«خَفِضَتِ الجاريةُ» ولا يقال في الغلام. و«حَقَبَ البعيرُ» إذا لم يَسْتَقِم بولُه لقصده، ولا يَحْقَب إلا الجمل. قال (أبو زيد): «أَبْلَمَتِ البكرة» إذا ورمَ حياؤها لا يكون إلا للبكرة. و«عَدَنَتِ الإبلُ في الحمض» لا تَعْدُن إلا فيه. ويقال: «عَطَّ البعيرُ» هَدَرَ ولا يقال في الناقة. ويقال: «ما أَطِيبَ قداوةَ هذا الطعام» أي: ريحُه ولا يقال ذلك إلا في الطبخِ والشواء. و«لَقَعَهُ بِنَعْرَةٍ» ولا يقال بغيرها. و«فعلتُ ذاك قبلَ عَيْرٍ وما جَرَى» لا يُتكلَّم به إلا في الواجب، لا يقال: سأفعله قبلَ عيرٍ وما جرى. ومن الباب ما لا يقال إلا في النفي كقولهم: «ما بها أرمٌ» أي ما بها أحد. وهذا كثير فيه أبواب قد صنَّفها العلماء.

باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم

يقولون: «عاد فلانٌ شيخاً» وهو لم يكن شيخاً قط. و«عاد الماء أجناً» وهو لم يكن أجناً فيعود. ويقول (الهدلي):
 قد عادَ رَهْباً رَذِيّاً طائِشَ القَدَمِ

قال:

قطعتُ الدهرَ في الشّهواتِ حتّى أعادتني عَسيفاً عبدَ عبدٍ
ومن هذا في كتاب الله جلّ ثناؤه: ﴿يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى
الظُّلُمَاتِ﴾ وهم لم يكونوا في نور قط. ومثله: ﴿يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ
الْعُمُرِ﴾ وهو لم يكن في ذلك قط. وقال الله جلّ ثناؤه: ﴿حَتَّى عَادَ
كَالْمُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴾ فقال: ﴿عاد﴾ ولم يكن عُرْجُوناً قبلُ.

باب إخراجهم الشيء المحمود

بلفظ يوهم غير ذلك

يقولون: «فلانٌ كريمٌ غير أنه شريف» و«كريمٌ غير أن له حسباً»
وهو شيء تنفرد فيه العرب. قال (١).

ولا عيبَ فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فُلُولٍ من قِراعِ الكتائبِ
وقال (١):

فتى كَمَلَتْ أخلاقه غير أنه جوادٌ فما يُبقي من المالِ باقياً
وهو كثير.

باب الإفراط

العرب تُفْرِطُ في صفة الشيء مُجَاوِزَةً لِلْقَدْرِ اقْتِدَاراً عَلَى الْكَلَامِ
كقوله:

(١) القائل هو النابغة الذبياني.

(٢) القائل هو النابغة الجعدي.

بِخَيْلٍ (١) تَضِلَّ الْبُلْتُ فِي حَجْرَاتِهِ تَرَى الْأَكْمَ فِيهِ سُجْدًا لِلْحَوَافِرِ
ويقولون:

لَمَا أَتَى خَبَرَ الزُّبَيْرِ تَوَاضَعَتْ سُرُورَ الْمَدِينَةِ وَخَشَعَتْ الْجِبَالَ (٢)
و: بَكَى حَارِثُ الْجَوْلَانِ مِنْ هُلْكَ رِبِّهِ (٣)

لَوْ أَنَّكَ تَلْقَى حَنْظَلًا فَوْقَ بَيْضِنَا تَحْدَرَجَ
ويقولون:

ضَرَبْتُهُ فِي الْمَلْتَقَى ضَرْبَةً فَزَالَ عَنِ مَنَكِبِهِ الْكَاهِلُ
فَصَارَمَا بَيْنَهُمَا رَهْوَةٌ يَمْشِي بِهَا الرَّامِحُ وَالنَّابِلُ

باب نفي ضمنه إثبات

تقول العرب: «ليس بخلو ولا حامض» يريدون أنه جمع من ذا
وذا. وفي كتاب الله جل ثناؤه: ﴿لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ﴾ قال (أبو
عبدة): لا شرقية تضحى للشرق ولا غربية لا تضحى للشرق لكنها
شرقية غربية يصيبها ذا وذا: الشرق والغرب.

باب الاشتراك

معنى الاشتراك: أن تكون اللفظة محتملة لمعنيين أو أكثر،
فكقوله جل ثناؤه: ﴿فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ، فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ﴾ فقلوه:
﴿فَلْيُلْقِهِ﴾ مشترك بين الخبر وبين الأمر، كأنه قال: فاقذفيه في اليم

(١) وفي رواية: بجيش.

(٢) وفي رواية: والجبال الخشع.

(٣) حارث (هنا): اسم جبل، والجولان: اسم موضع.

يُلَقِّه اليم. ومحمتمل أن يكون اليمُّ أمر بالقاءه. ومنه قولهم: «أرأيت» فهو مرّةً للاستفتاء والسؤال كقولك: «أرأيت إن صلى الإمام قاعداً كيف يُصَلِّي مَنْ خلفه؟». وَيَكُونُ مرّةً للتنبيه ولا يقتضي مفعولاً، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى، أَلَمْ يَعْلَمِ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾. ومن الباب قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً﴾ فهذا مشترك محتمل أن يكون لله جلّ ثناؤه لأنه انفردَ بِخَلْقِهِ، ومحمتمل أن يكون: خَلَقْتُهُ وَحِيداً فريداً من ماله وولده.

باب يسميه بعض المحدثين: الاستطراد

وذلك أن يشبه شيء ثم يمرّ المتكلم في وصف المشبه، كقول الشاعر حين شبه ناقته فقال:

كأني ورَحْلِي إِذَا رُعْتُهَا على جَمَزِي جازِيءٍ بِالرِّمَالِ
فشبهه ناقته بثور ومضى في وصف الثور، ثم نقل الشبه إلى الحمار فقال:

أَوْ أَصْحَمِ حَامٍ جَرَامِيْزِهِ حَزَابِيَّةٍ حَيْدَى بِالذِّحَالِ
ومر في صفة العَيْرِ إلى آخر كلمته. وقد قيل: في كتاب الله جلّ ثناؤه من هذا النظم قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ﴾ ولم يجر للذِّكْرِ خبر، ثم قال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وجواب: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قوله جلّ ثناؤه: ﴿أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

باب الاتباع

للعرب الاتباع - وهو أن تُبَعَّ الكلمةُ الكلمةَ على وزنها أو رويًا
إشباعاً وتأكيذاً. وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: هو شيءٌ
نتدبر به كلامنا. وذلك قولهم: «سَاغِبٌ لِأَغِبٍ» و«هُوَ حَبٌّ ضَبٌّ»
و«خَرَابٌ يَبَابٌ». وقد شاركت العجمُ العربَ في هذا الباب.

باب الأوصاف التي لم يسمع لها بأفعال والأفعال التي لم يُوصَفَ بها

قال (الخليل): «ظَبِيٌّ عَنبَانٌ» أي نشيط، قال: ولم نسمع للعنبان
فعالاً، قال: «يَشُدُّ شَدَّ العَنبَانِ البارح» قال: و«الْحَضِيْعَةُ» صوت يخرج
من قُنْبِ الدَّابَّةِ ولا فعل لها. ويقولون في التحقير: «هُوَ دُونٌ» ولا فعل
له. قال (أبو زيد): يقال للجبان: «إِنَّهُ لَمَفْوُودٌ» ولا فعل له. قال:
و«الْحَظِيْطَةُ» مثل الرَّفْضِ مِنَ اللبنِ والماءِ ولا فعل لها. وقال: «أَمَجَدْتُ
الإِبِلَ إِمَجَاداً» إذا أنت أشبعتها ولا فعل لها في هذا. و«الْمَزِيَّةُ»
الفضل ولا فعل لها. قال (أبو زيد): يقال: «مَا سَاءَهُ وَنَاءَهُ» تأكيدٌ
للأول ولم يعرفوا من «نَاءَهُ» فعلاً، لا يقولون: «يُنُوُّهُ» كما يقال:
«يَسُوُّهُ».

ومن الأفعال التي لم يُوصَفَ بها قولنا: ﴿ذَرَأَ اللهُ الخَلْقَ﴾ قال الله
عزَّ وجلَّ: ﴿يَذَرُّوكُمْ فِيهِ﴾ ولم يُسمع في صفاته جل ثناؤه:
﴿الذَّارِي﴾.

باب النحت

العرب تَنَحَّتْ من كلمتين كلمةً واحدةً، وهو جنس من

الاختصار، وذلك: «رجل عَبْشَمِيّ» منسوب إلى اسمين، وأنشد (الخليل):

أقول لها ودمع العين جارٍ أَلَمْ تَحْزُنْكِ حَيْعَلَةُ المِنادي
مكن قوله: «حَيَّ عَلِيّ». وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على
ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت، مثل قول العرب للرجل الشديد «ضَبْطَرُّ»
وفي «الصِّلْدَم» إنه من «الصِّلْدُ» و«الصَّدْم». وقد ذكرنا ذلك بوجوهه
في كتاب (مقاييس اللغة).

باب الإشباع والتأكيد

تقول العرب: «عَشْرَةٌ وَعَشْرَةٌ فتلك عشرون» وذلك زيادة في
التأكيد ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا
رَجَعْتُمْ، تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ وإنما قال هذا لنفي الاحتمال أن يكون
أحدهما واجباً إما ثلاثة وإما سبعة فأكد وأزيل التوهم بأن جُمِعَ بينهما.
ومن الباب قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ إنما ذكر
الجناحين لأن العرب قد تُسَمِّي الإِسْرَاعَ طَيْرَانًا، قال رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «كَلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةَ طَارٍ إِلَيْهَا أُخْرَى».
وكذلك قوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾ فذلك الألسنة لأن الناس يقولون:
«قال في نفسه كذا» قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا
يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ﴾ فاعلم أن ذلك باللسان دون كلام النفس.

باب الفصل بين الفعل والنعت

النعت يؤخذ عن الفعل نحو: «قَامَ فَهُوَ قَائِمٌ» وهذا الذي يسمّيه
بعض النحويين (الدائم) وبعض يسميه (اسم الفاعل). وتكون له رتبة
زائدة على الفاعل. قال الله جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى

عُنُقِكَ ﴿ ولم يقل: لا تغلّ يدك، وذلك أن النعت ألزَم، ألا ترى أنا نقول: ﴿وعصى آدم ربّه فغوى﴾ ولا نقول: آدمُ عاصٍ غاوي، لأنّ النعوت لازمة وآدم وإن كان عصى في شيء فإنه لم يكن شأنه العصيان فيُسمى به، فقوله جلّ ثناؤه: ﴿لا تجعل يدك مغلولة﴾ أي لا تكوننّ عادتك المنع فتكون يدك مغلولة. ومنه قوله جلّ ثناؤه: ﴿وقال الرسول: يا ربّ إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ ولم يقل هَجَرُوا لأنّ شأن القوم كان هجران القرآن وشأن القرآن عندهم أن يُهجر أبداً فلذلك قال والله أعلم: ﴿اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ وهذا قياسُ الباب كله.

باب الشعر

الشِعْر - كلام مؤزونٌ مُقْفَى دالٌّ على معنى. ويكون أكثر من بيت.

وإنما قلنا هذا لأنّ جائزاً اتَّفَاقٌ سَطْرٍ واحد بوزن يُشبه وزن الشِعْر عن غير قصد، فقد قيل: إن بعض الناس كتب في عنوان كتاب «للأمير (المُسَيَّب بن زهير) - من عِقال بن شَبَّة بن عِقال» فاستوى هذا في الوزن الذي يُسَمَّى «الخفيف». ولعلّ الكاتب لم يقصد به شِعراً.

وقد ذكر ناس في هذا كلمات من كتاب الله جلّ ثناؤه كَرِهْنَا ذَكَرَهَا، وقد نَزَّهَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ كِتَابَهُ عَنِ شَبِّهِ الشِّعْرِ كَمَا نَزَّهَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنِ قَوْلِهِ. فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا الْحِكْمَةُ فِي تَنْزِيهِ اللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ نَبِيَّهُ عَنِ الشِّعْرِ؟ قِيلَ لَهُ: أَوَّلُ مَا فِي ذَلِكَ حَكَمَ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِأَنَّ: ﴿الشعراء يتبعهم الغاؤون، وأنهم في كل واد يهيمون، وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ ثم قال: ﴿إلا الذين آمنوا

وعملوا الصالحات ﴿ ورسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وإن كان أفضل المؤمنين إيماناً وأكثر الصالحين عملاً للصالحات فلم يكن ينبغي له الشعر بحال، لأن للشعر شرائط لا يُسمى الإنسان بغيرها شاعراً، وذلك أن إنساناً لو عملَ كلاماً مستقيماً موزوناً يتحرى فيه الصدق من غير أن يُفِرط أو يتعدى أو يمين أو يأتي فيه بأشياء لا يمكن كونها بتة لما سماه الناس شاعراً ولكان ما يقوله مَحسولاً ساقطاً.

وقد قال بعض العقلاء وسُئِلَ عن الشعر فقال: «إن هزل أضحك، وإن جد كذب» فالشاعر بين كذب وإضحاك، فإذا كان كذا فقد نزه الله جل ثناؤه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن هاتين الخصلتين وعن كل أمر دنيء.

وبعد فإننا لا نكاد نرى شاعراً إلا مادحاً ضارِعاً أو هاجياً ذا قذع، وهذه أوصاف لا تصلح لنبي. فإن قال: فقد يكون من الشعر الحكم كما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «إن من البيان لسحراً، وإن من الشعر لحكمة» أو قال: «حكماً» - قيل له: إنما نزه الله جل ثناؤه نبيه عن قيل الشعر لما ذكرناه، فأما الحكمة فقد آتاه الله جل ثناؤه من ذلك القسم الأجزَل والنصيب الأوفى الأزكى: قال الله جل ثناؤه في صفة نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: ﴿ويزكّهم ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾ وقال: ﴿واذكُرْ ما يُتلى في بيوتكنّ من آيات الله والحكمة﴾ فأيات الله القرآن، والحكمة سنته صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

ومعنى آخر في تنزيه الله جل ثناؤه نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن قيل الشعر أن أهل العروض مُجمعون على أنه لا فرق بين صناعة العروض وصناعة الإيقاع. إلا أن صناعة الإيقاع تقسم الزمان بالنغم، وصناعة العروض تقسم الزمان بالحروف المسموعة. فلما

كان الشعر ذا ميزان يناسب الإيقاع، والإيقاع ضربٌ من الملاهي لم يصلح ذلك لرسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم. وقد قال صلى الله تعالى عليه وآله وسلم: «ما أنا من ددٍ ولا ددٌ مني».

والشعر ديوان العرب، وبه حُفِظَت الأنساب، وعُرِفَت المآثر، ومنه تُعَلِّمَت اللغة. وهو حُجَّةٌ فيما أشكَل من غريب كتاب الله جل ثناؤه وغريب حديث رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وحديث صحابته والتابعين.

وقد يكون شاعرٌ أشعرَ، وشِعْرٌ أحلى أو أظرف. فأما أن يتفاوت الأشعار القديمة حتى يتباعد ما بينها في الجودة فلا. وبِكُلِّ يُحْتَجُّ وإلى كلِّ يُحْتَاج. فأما الاختيار الذي يراه الناس للناس فشَهَوَات، كلُّ مستحسِنٌ شيئاً.

والشعراء أمراء الكلام، يقصرون الممدود، ولا يمدُّون المقصور، ويقدمون ويؤخرون، ويومثون ويشيرون، ويختلسون ويُعيرون ويستعيرون. فأما لحنٌ في إعراب أو إزالة كلمة عن نهج صواب فليس لهم ذلك. ولا معنى لقول من يقول: إن للشاعر عند الضرورة أن يأتي في شعره بما لا يجوز. ولا معنى لقول من قال:

ألم يأتِكَ والأنباء تَنمي

وهذا وإن صحَّ وما أشبهه من قوله:

لما جفا إخوانه مضعباً

وقوله: قفا عند مِّمّا تعرفان رُبوع

فكلُّه غلط وخطأ. وما جعل الله الشعراء معصومين يُوقُونَ الخطأ والغلط، فما صحَّ من شعرهم فمقبول، وما أبتُّه العربية وأصولها

فَمَرْدُودٌ. بَلَى لِلشَّاعِرِ إِذَا لَمْ يَطَّرِدْ لَهُ الَّذِي يُرِيدُهُ فِي وَزْنِ شِعْرِهِ أَنْ يَأْتِيَ بِمَا يَقُومُ مَقَامَهُ بَسْطًا وَاخْتِصَارًا وَإِبْدَالًا بَعْدَ أَنْ لَا يَكُونُ فِيهَا يَأْتِيهِ مُخْطِئًا أَوْ لَاحِنًا، فَلَهُ أَنْ يَقُولَ:

كَالنَّحْلِ فِي مَاءِ رُضَابِ الْعَذْبِ

وَهُوَ يُرِيدُ الْعَسَلَ، وَلَهُ أَنْ يَقُولَ:

مِثْلَ الْفَنِيقِ هَنَاتَهُ بِعَصِيمٍ

و«العصيم» أثر الهناء. وإنما أراد هَنَاتَهُ بهناء. وله أن يبسط فيقول كما قال (الأعشى):

إِنْ تَرَكَبُوا فِرْكَوْبَ الْخَيْلِ عَادَتُنَا أَوْ تَنْزِلُونَ فَإِنَّا مَعْشَرٌ نَزُلُ

معناه: إن تركبوا ركبنا وإن تنزلوا نزلنا، لكن لم يستقم له إلا بالبسط وكذلك قوله:

وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبَّذَا نَجْدُ

أراد: أن تسكني نجدًا سكناه، فبسط لما أراد إقامة الشعر، أنشدنيها أبي (فارس بن زكرياء) قال أنشدني (أبو عبدالله محمد بن سعدان النحوي الهمداني) قال أنشدني (أبو نصر) صاحب الأصمعي: قَضَيْتِ الْغَوَانِي، غَيْرَ أَنْ مَوَدَّةً لِدَلْفَاءِ مَا قَضَيْتِ آخِرَهَا بَعْدُ^(١) فَيَا رَبْوَةَ الرَّبْعَيْنِ حُيَيْتِ رَبْوَةً عَلَى النَّأْيِ مَنِي، وَاسْتَهَلَّ بِكَ الرَّغْدُ فَإِنْ تَدْعِي نَجْدًا نَدْعُهُ وَمَنْ بِهِ وَإِنْ تَسْكُنِي نَجْدًا فَيَا حَبَّذَا نَجْدُ

وما سوى هذا مما ذكرت الرواة أن الشعراء غلطوا فيه فقد ذكرناه في (كتاب خضارة) وهو (كتاب نعت الشعر).

(١) قيل: هو شمر بن عمرو.

وهذا (تمام الكتاب الصحابي) أتم الله على (الصاحب) الجليل
النعم، وأسبغ له المواهب، وسنى له المزيد من فضله، إنه ولي ذلك
والقادر عليه. وصلى الله تعالى على نبيه محمد وآله أجمعين
وحسبنا الله ونعم الوكيل.

* * *

وكتب (نوح بن أحمد اللوباساني) في شعبان سنة اثنتين وثمانين
وثلاثمائة. كذا بأصله المقروء على المؤلف وعليه خطه.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
● مقّمة المحقق: التعريف بـ «ابن فارس»	٥
● رسالة ابن فارس لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب	٢١
● مقّمة كتاب «الصّاحبي»	٣٣
أبواب الكتاب	
١ - باب القول على لغة العرب: أتوقيف أم اصطلاح	٣٦
٢ - باب القول على الخطّ العربي	٣٨
٣ - باب القول على أن لغة العرب أفضل اللغات	٤٣
٤ - باب القول في لغة العرب وهل يجوز أن يحاط بها	٤٩
٥ - باب القول في اختلاف لغات العرب	٥٠
٦ - باب القول في أفصح العرب	٥٥
٧ - باب اللغات المذمومة	٥٦
٨ - باب القول في اللغة التي بها نزل القرآن	٦١
٩ - باب القول في مأخذ اللغة	٦٤
١٠ - باب القول على لغة العرب: هل لها قياس	٦٦
١١ - باب القول على أن لغة العرب لم تنته إلينا بكلّيتها	٦٧
١٢ - باب مراتب الكلام	٧٣
١٣ - باب ذكر ما اختصت به العرب	٧٥

- ١٤ - باب الأسباب الإسلامية ٧٧
- ١٥ - باب القول في حقيقة الكلام ٨١
- ١٦ - باب أقسام الكلام ٨٢
- ١٧ - باب الفعل ٨٦
- ١٨ - باب الحرف ٨٧
- ١٩ - باب أجنس الأسماء ٨٧
- ٢٠ - باب النعت ٨٨
- ٢١ - باب القول على الاسم: من أي شيء أخذ؟ ٨٩
- ٢٢ - باب آخر في الأسماء ٩٠
- ٢٣ - باب ما جرى مجرى الأسماء ٩٤
- ٢٤ - باب الأسماء التي تسمى بها الأشخاص ٩٥
- ٢٥ - باب القول في أصول الأسماء ٩٦
- ٢٦ - باب الأسماء كيف تقع على المسميات ٩٧
- ٢٧ - باب في زيادات الأسماء ١٠١
- ٢٨ - باب الحروف ١٠٢
- ٢٩ - باب ذكر دخول «ال»، في الأسماء ١٠٣
- ٣٠ - باب وجوه دخول (الألف) في الأفعال ١٠٤
- ٣١ - باب «الباء» ١٠٧
- ٣٢ - باب «التاء»، ١١١
- ٣٣ - باب «الياء» ١٢٤
- ٣٤ - باب القول على الحروف المفردة ١٢٥
- ٣٥ - باب الكلام في حروف المعنى ١٢٩
- باب أم ١٢٩
- باب أو ١٣١
- باب إي وأي ١٣٣

- باب إنَّ، أنْ، إن ١٣٣
- باب إلى ١٣٦
- باب ألا ١٣٧
- باب إنما ١٣٨
- باب إلا ١٣٨
- باب إيا ١٤٢
- باب إذاً ١٤٥
- باب أي ١٤٥
- باب أنى ١٤٥
- باب أين، أينما، آيان، الآن ١٤٦
- باب إما، لا، أمّا، إمّا، بلى ١٤٨
- باب بل، بله ١٤٩
- باب بيد، بينا، بينما، بعد ١٥٠
- باب تعال، ثمّ ١٥١
- باب ثمّ، جيّر ١٥٢
- باب لا جرّم ١٥٣
- باب حتّى ١٥٤
- باب حاشأ، خلا ١٥٥
- باب ربّ، رويد، ذو، ذات ١٥٦
- باب سوف، سوى، سيما ١٥٨
- باب شتان، عن، على ١٥٩
- باب عوض، عسى ١٦٠
- باب غير، في، قد ١٦١
- باب كم، كيف ١٦٢
- باب كاد، كان ١٦٤

الموضوع	الصفحة
● باب كَأَيْنَ، كَأَنَّ	١٦٥
● باب كَلَا	١٦٦
● باب لَوْ، لَوْلَا	١٦٧
● باب لَمَ، لَمَّا	١٦٨
● باب لَنْ، لَا	١٦٩
● باب لَات	١٧٢
● باب لَدُنْ، لَدَى، لَيْسَ	١٧٣
● باب لَعَلَّ، لَكِنْ	١٧٤
● باب مَذْ، مِنْذُ، مَا	١٧٥
● باب مِزْنُ، مِزْنٌ	١٧٧
● باب مَهْ، مَهْمَا	١٧٨
● باب مَتَى، نَعَمَ، نَعِمَ، هَلَمْ	١٧٩
● باب هَا، هَاتِ، وَيَكُنَّ	١٨٠
● باب أَوْلَى	١٨١
● باب يَا	١٨٢
٣٦ - باب معاني الكلام	١٨٣
● باب الخبر	١٨٣
● باب الاستخبار	١٨٦
● باب الخطاب	١٩٤
● باب أقل العدد الجمع	١٩٥
● باب الإفهام، والفهم	١٩٦
● باب معاني ألفاظ العبارات	١٩٨
● باب الخطاب المطلق والمقيّد	٢٠٠
٣٧ - باب سنن العرب في حقائق الكلام والمجاز	٢٠٢
٣٨ - باب أجناس الكلام في الاتفاق والافتراق	٢٠٦

الموضوع	الصفحة
باب القلب	٣٩ -
باب الإبدال، الاستعارة	٤٠ -
باب الحذف والاختصار	٤١ -
باب الزيادة	٤٢ -
باب التكرار	٤٣ -
باب العموم والخصوص	٤٤ -
باب الفعل	٤٥ -
باب الواحد يراد به الجمع	٤٦ -
باب الجمع يراد به واحد واثنان	٤٧ -
باب مخاطبة الواحد بلفظ الجميع	٤٨ -
باب تحويل الخطاب من الشاهد إلى الغائب، ومن شرط الغائب إلى الشاهد	٤٩ -
باب مخاطبة المخاطب ثم جعل الخطاب لغيره	٥٠ -
باب الشئيين ينسب الفعل إليهما	٥١ -
باب نسبة الفعل إلى أحد اثنين، أمر الواحد	٥٢ -
باب الفعل يأتي بلفظ الماضي وهو راهن أو مستقبل	٥٣ -
باب المفعول يأتي بلفظ الفاعل	٥٤ -
باب معاني أبنية الأفعال	٥٥ -
باب الفعل اللازم والمتعدي	٥٦ -
باب البناء	٥٧ -
باب الفرق بين ضدّين، التوهم، الإيهام	٥٨ -
باب البسيط في الأسماء	٥٩ -
باب القبض	٦٠ -
باب المحاذاة	٦١ -
باب الإضمار	٦٢ -

٢٣٥	٦٣ - باب التعويض
٢٣٧	٦٤ - باب من النظم . . في القرآن
٢٣٨	٦٥ - باب الأمر المحتاج إلى بيان
٢٣٩	٦٦ - باب ما يكون بيانه منفصلاً عنه
٢٤١	٦٧ - باب آخر من نظم القرآن
٢٤٢	٦٨ - باب الإضافة
٢٤٤	٦٩ - باب التقديم والتأخير
٢٤٥	٧٠ - باب الاعتراض
٢٤٦	٧١ - باب الإيماء
٢٤٩	٧٢ - باب الحمل
٢٥٠	٧٣ - باب التهكم والهزاء
٢٥١	٧٤ - باب الكف
٢٥٢	٧٥ - باب الإعارة
٢٥٣	٧٦ - باب نفي الشيء
٢٥٤	٧٧ - باب الشرط
٢٥٥	٧٨ - باب الكناية
٢٥٧	٧٩ - باب الزيادة في حروف الفعل للمبالغة
٢٥٨	٨٠ - باب الخصائص
٢٥٩	٨١ - باب نظم للعرب لا يقوله غيرهم
٢٦٠	٨٢ - باب الإفراط
٢٦١	٨٣ - باب الاشتراك
٢٦٢	٨٤ - باب الاستطراد
٢٦٣	٨٥ - باب الاتباع
٢٦٤	٨٦ - باب الإشباع والتأكيد
٢٦٥	٨٧ - باب الشعر

